



UNIVERSITY OF CALICUT
SCHOOL OF DISTANCE EDUCATION

MA Arabic
(2019 Admission Onwards)

II SEMESTER

CORE COURSE

MODERN ARABIC FICTION
(ARA2C05)

190105

MODERN ARABIC FICTION
(ARA2C05)

STUDY MATERIAL

II SEMESTER

CORE COURSE

MA Arabic
(2019 Admission Onwards)



UNIVERSITY OF CALICUT
SCHOOL OF DISTANCE EDUCATION

Calicut University- PO, Malappuram,
Kerala, India - 673 635

UNIVERSITY OF CALICUT
SCHOOL OF DISTANCE EDUCATION

STUDY MATERIAL SECOND SEMESTER

MA Arabic
(2019 Admission Onwards)

CORE COURSE

MODERN ARABIC FICTION
(ARA2C05)

Prepared by:

Dr. Muhammad Riyas K V

Assistant Professor

Department of Arabic, University of Calicut

Scrutinized By:

Dr. Sainuddeen P T

Assistant Professor of Arabic,

T M G college , Tirur

المحتويات

الوحدة الأولى – دراسة عامة

- ٥..... فن القصة العربية.
- ١٨..... الرواية العربية وتطورها.
- ٣٥..... القصة القصيرة وتطورها.
- ٤٧..... الرواية ديوان العرب الحديث.
- ٤٩..... أبرز كتاب القصة القصيرة.
- ٧٤..... أبرز الروائيين.
- ٩٨..... الجائزة العالمية للرواية العربية.
- ١٠١..... الفائزون بالجائزة العالمية للرواية العربية.

الوحدة الثانية - مختارات من القصة القصيرة

- ١٢٢..... زهرة تدخل الحي- ليلي العثمان.
- ١٣٩..... الجثة الغربية - محمد شكري.
- ١٤٨..... شيء في صدري- إحسان عبد القدوس.
- ١٦١..... أكابر - ميخائيل نعيمة.

الوحدة الثالثة - دراسة عن رواية مختارة

- ١٦٨..... السمان والخريف- نجيب محفوظ.

الوحدة الأولى- دراسة عامة

الدرس ١

فن القصة العربية

تعريف القصة

القصة فن أدبي يقوم بسرد أحداث تاريخية أو خيالية، وتكون القصة شعرية أو نثرية، أما الشعرية فتكون ملحمة أو قصيدة قصصية، وأما النثرية فتكون خبراً أو حكاية أو رواية، وتهدف القصة إلى غاية أدبية فنية تبلغ إليها عن طريق الوحدة الموضوعية والتحليل النفسي والمتعة الأخاذة والإنشاء المتين، ويقول روبرت لويس ستيفنسون (Robert Louis Stevenson)، وهو من رواد القصص المرموقين: ليس هناك إلا ثلاثة طرق لكتابة القصة: فقد يأخذ الكاتب حبكة ثم يجعل الشخصيات ملائمة لها، أو يأخذ شخصية ويختار الأحداث والمواقف التي تنمي تلك الشخصية، أو قد يأخذ جَوْاً معيناً ويجعل الفعل والأشخاص تعبر عنه أو تجسده.

الأنواع القصصية

لقد تعددت أشكال القصة وتنوعت ووضع النقاد لكل منها مسمى خاصاً:

فن القصة العربية ٦

١- الرواية: هي أكبر الأنواع القصصية حجماً.

٢- الحكاية: وهي وقائع حقيقية أو خيالية لا يلتزم فيها الحاكي بقواعد الفن الدقيقة.

٣- القصة القصيرة: تمثل حدثاً واحداً، في وقت واحد وزمان واحد، يكون أقل من

ساعة (وهي حديثة العهد في الظهور).

٤- الأصوصة: وهي أقصر من القصة القصيرة وتقوم على رسم منظر.

عناصر القصة

فالقصة بشكلها الفني المعاصر تتكون من عناصر، وهذه العناصر جميعها تشترك في

تشكيل الفنيات المتميزة للقصة وهي كالاتي:

١. الرؤية (فكرة القصة)

وهي جوهر العمل الفني، ونواته الفكرية التي قد تصدر عن الفنان دون وعي ومنه لفرط

خبرته، فهي تعبر عن مفهومه ونظرته للحياة، فالمبدع الحقيقي هو الذي تكون له نظرة ما حول

ما يقدمه من أعمال فنية، فبالرؤية يختلف الكاتب الكبير عن الكاتب الصغير.

٢. الموضوع

هو الحدث أو الحدوثة التي تتجسد من خلالها الرؤية، التي يعتبرها المبدع أساس عمله،

وهي حدث يتم في مكان وزمان محددين، تنشأ عنه علاقات إنسانية مختلفة متمثلة في أنماط

سلوكية بشرية تسعى لتحقيق هدف ما، ومعبرة عن آمالها ومشاعرها الوجدانية.

يختار القاص موضوعه من:

أ- تجاربه. متناولا النفس البشرية وسلوكها وأهوائها.

ب- تجارب الآخرين: متناولا المجتمع بالنقد والتحليل.

ج- ثقافته: متناولا موضوعات فكرية وفلسفية.

د- من التاريخ: متناولا نضال الشعوب والأحداث الوطنية والسياسية.

هـ- من الوثائق.

٣. اللغة

في صدارة كل العناصر التي تشكل القصة القصيرة، تأتي اللغة ولولا أن الرؤية والموضوع – من الناحية الزمنية- يسبقان الجميع لكانت من فرط أهميتها تتقدم كل العناصر، لأنها تكاد تمثل الشخصية الرئيسة في البناء القصصي بلا منازع، بل إنها تتجاوز الرؤية والموضوع من حيث القيمة والدور والأثر.

فاللغة عنصر مهم لبث الروح في القصة وجعلها كائنا نابضا في الحياة حتى تبتعد عن الرتابة، فكانت القصة الجيدة يتركز ويؤكد على أهمية اللغة.

فالنص القصصي سواء أكان قصة أو قصة قصيرة أو قصيرة جدا لا بد أن يمتلك لغة شعرية عالية، ويمكن ذكر ما أطلقه الناقد شجاع مسلم العاني على الشعرية –شعرية اللغة-

فن القصة العربية ٨

في القصة القصيرة حيث قال: "إن هذا التيار يقترب من الاتجاهات الجديدة في القصص العالمي المعاصر".

٤. الشخصية

وهذه الأخيرة هي جوهر القصة القصيرة فهي التي تقوم بالحدث الذي تنبئ عليه القصة وقد يكون شخص أو قوى غيبية أو بمعنى أدق كل شيء مؤثر في اتجاه الحدث صعودا وهبوطا، انبساطا أو تازما، والشخصية في القصة القصيرة تختلف من ناحية العدد عن القصة حيث أن الشخصيات في القصة القصيرة يكون عددها قليل.

أنواع الشخصيات بحسب الدور

أ- شخصيات رئيسية: تلعب الأدوار ذات الأهمية الكبرى في القصة.

ب- شخصيات ثانوية: دورها مقتصر على مساعدة الشخصيات الرئيسية أو ربط الأحداث.

أنواع الشخصيات بحسب الثبات والظهور

أ- شخصيات نامية: تتطور مع الأحداث.

ب- شخصيات ثابتة: لا يحدث في تكوينها أي تغيير، وتبقى تصرفاتها ذات طابع واحد

لا يتغير

٥- الحدث

هو مجموعة الأعمال التي يقوم بها أبطال القصة ويعانونها، وتكون في الحياة مضطربة، ثم يرتبها القاص في قصته بنظام منسق لتغدو قريبة من الواقع، ويتم عرض الحوادث بوحدة من الطرق الثلاثة الآتية:

أ- النوع التقليدي: وفيه ترتب الأحداث من البداية ثم تتطور ضمن ترتيب زمني سببي.

ب- الطريقة التي تنطلق من النهاية ثم تعود بالفارئ إلى البداية والظروف والملابسات التي أدت إلى النهاية.

ج- الطريقة التي يبدأ الكاتب الحوادث من منتصفها، ثم يرد كل حادثة إلى الأسباب التي أدت إليها

٦- الحكمة

هي فن ترتيب الحوادث وسردها وتطويرها.

والحكمة تأتي على نوعين هما:

أ- الحكمة المحكمة: وتقوم على حوادث مترابطة متلاحمة تتشابك حتى تبلغ الذروة ثم تنحدر نحو الحل.

ب- الحكمة المفككة: وهنا يورد القاص أحداثا متعددة غير مترابطة برباط السببية، وإنما هي حوادث ومواقف وشخصيات لا يجمع بينها سوى أنها تجري في زمان أو مكان واحد.

فن القصة العربية ١٠

٧- أسلوب السرد

السرد: وهو نقل الأحداث من صورتها المتخيلة إلى صورة لغوية.

وله ثلاث طرق:

أ- الطريقة المباشرة: ويكون الكاتب فيها مؤرخا.

ب - طريقة السرد الذاتي: وفيها يجعل الكاتب من نفسه إحدى شخصيات القصة،

ويسرد الحوادث بضمير المتكلم.

ج - طريقة الوثائق: وفيها يسرد الكاتب الحوادث بواسطة الرسائل أو المذكرات.

٧- الصراع

وهو التصادم بين إرادتين بشريتين

نوعا الصراع

أ- خارجي: بين الشخصيات.

ب- داخلي: في الشخصية نفسها.

٨. البناء

وهي مراحل أو شكل العمل الأدبي، وهي إعادة لا نقل عن ثلاثة مراحل هي:

البداية، قم الوسط، الذي قد يطول أو يقصر وفيه يكون ذروة الصراع ثم النهاية وفيها يكون

الكشف عن كل محتوى العمل وهدفه الأساسي.

٩. الأسلوب الفني

وهو التقنية الفنية التي يتم بها تصوير الحدث أو الحالة، والكاتب في حاجة لتشكيل هذه الصياغة الفنية لوسائل عديدة ينفذ بها لشخصياته ومواقفه بحيث تتعاون في النهاية في رسم صورة جيدة للعمل الأدبي، فهي المنظور الذي منه يتم رؤية العمل الفني، فيتم الإعجاب به من قارئه، فحرفية القاص تنبع من الأسلوب الأخاذ الذي عبر به عن قصته، بحيث تبدو كما لو كانت عملا واقعيًا، وإن كان دور الكاتب فيها هو عمله على نقلها على الورق.

والأسلوب الفني يأتي كالاتي

أ. السرد: هو الوصف أو التصوير، فهو جزء من الحدث والشخصية، ومن كل عناصر القصة، فقصة بلا سرد ولا وصف ليست بقصة ويجب أن ينبعا من صميم العمل فلا يكونا دخيلين عليه.

ب. الحوار: هو الديالوج والمحادثة التي تدور بين شخصيات العمل، فهو أحد أهم

التقنيات الفنية المشاركة في بناء العمل وذلك لأنه:

أ- هو نافذة يطل منها القارئ على ثنايا القصة

ب- وسيلة فنية لتقديم الشخصيات والأحداث والتعريف بها من داخلها.

١٠- البيئة

لقد اتضح من حديثنا عن الحدث أن الحدث لا بد له من بداية ووسط ونهاية لكن هذا الحدث لا يتحقق من فراغ بل لا بد له من بيئة مناسبة تساعده على النمو وهذه البيئة تتكون

فن القصة العربية ١٢

من الزمان والمكان وعليه فالبيئة هي التي تحتضن الشخصيات والحدث، وتعطي المعنى للقصة، فكلاهما بحاجة إلى ذلك الوعاء الذي يحتضنها، وهذا الوعاء هو البيئة زمانا ومكانا.

١١- العقدة والحل

وهي: تأزم الأحداث وتشابكها قبيل الوصول إلى الحل.

التراث القصصي عند العرب

فقد عرف العرب أنواعاً قصصية ومن أهمها:

أ. أساطير الأولين: وهي أقرب للقصص البطولي المدهش، وأشهر أعلام هذا النوع قصاص جاهلي اسمه النضر بن الحارث. جلب قصصه من بلاد فارس والحيرة (عاصمة المناذرة)، فروى قصص رستم وإسفنديار وغيرهما قبل جمع هذه القصص فيما يعرف بالشاهنامة الفارسية، وهي ملحمة مطولة منسوبة للفردوسي.

ب. الخرافة: وجاء اسمها من قصة عرفت باسم (حديث خرافة)، وحسب القصة: خرافة رجل استهوته الجن فعاش معها زمناً، ثم عاد ليحدث بقصته العجيبة، فصارت الخرافة من بعد اسماً للقصة العجيبة المرتبطة بعالم الجن وقصص الكهان.

ج. السيرة: ومن نماذجها السيرة النبوية لابن إسحاق، وابن هشام، والسيرة الشعبية (مثل سيرة عنترة، وسيرة الزبير سالم - المهلهل بن ربيعة، وسيرة سيف بن ذي يزن وسيرة الأميرة ذات الهمة... وغيرها). أما السيرة الذاتية، فمن أهم أمثلتها: كتاب التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً، وكتاب طوق الحمامة لابن حزم الأندلسي.

فن القصة العربية ١٣

د. الرسالة القصصية، أو القصة الفلسفية: ومن نماذجها: قصة حي بن يقظان لأحمد بن طفيل، ورسالة الغفران لأبي العلاء المعري، ورسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي. والرسالة القصصية حكاية مطولة نسبياً، تقترب من طول الرواية في العصر الحديث، وتعالج فكرة تأملية فلسفية بأسلوب قصصي.

هـ. ألف ليلة وليلة: وهي القصة المشهورة المرتبطة بشهرزاد وشهريار، وتعد من نفائس السرد العالمي بعد أن ترجمت إلى أكثر لغات العالم، وقد كرست ألف ليلة وليلة جملة من مبادئ السرد العالمي كمبدأ الإطارية، والربط بين القصة والحياة، وفكرة القصة المسلسلة. و. المقامة: وقصص المقامات قصص واقعية ناقدة تصور تحولات المجتمع وأزماته، ومن ناحية شكلها القصصي تقتزن ببطل محتال ذكي وبراي، أو سارد مصاحب للبطل، كما تتميز بلغتها المسجوعة واضحة الإيقاع، وأشهر نماذجها: مقامات بدیع الزمان الهمذاني، ومقامات الحريري.

ز. المنامة: من نمط الأحلام، وتقرن مبكراً بين السرد والحلم، وأهم نماذجها: منامات الوهراني.

ح. تكاذيب الأعراب وقصص الفشر: القصة هنا كذبة بيضاء تميل إلى المبالغة والإدهاش، وقد أفرد لها أبو العباس المبرد باباً واضحاً في كتابه (الكامل في اللغة والأدب).

فن القصة العربية ١٤

ط. النوادر: وهي الحكاية المرححة أو الطرفة، وترتبط بشخصيات ضاحكة ومضحكة، منها شخصيات في عصر صدر الإسلام، وشخصيات الحمقى والطفيليين من مثل: هبنقة، جحا.

ي. قصص الرحلة: مثل رحلة ابن فضلان، ورحلة ابن جبير، ورحلة ابن بطوطة.

ق. الكرامة الصوفية: المرتبطة بقصص العجائب عن كرامات الأولياء والصالحين من المتصوفة، كالحلاج ومحيي الدين بن عربي، وتتوافر الرسالة القشيرية على نماذج مناسبة منها، وكذلك كتاب أخبار الحلاج.

نشأة فن القصة عند العرب

كانت الصورة الأولى للقصة في النثر العربي ما كان يروى من أيام العرب وحروبهم، وكانت هذه القصص تروى وتنقل عبر الأجيال، وكذلك يروى عن العرب الجاهليين كثير من الأمثال. وهذه الأمثال متولدة عن قصة أو حادثة متكاملة العناصر والمقومات، والأمثال يمكن عدّها النواة الأولى لفن القصة لدى العرب.

والشعر العربي أيضا مليء بهذه القصص منذ عصوره الأولى. وكانت أخبار أيام العرب وحروبهم محورا أساسيا لتلك القصص. ويمكن الاطلاع على أنواع كثيرة من هذه القصص في المعلقات المشهورة، كما في معلقة عنتر بن شداد والأعشى وغيرهما والتي تحفل بالملحمت، كما أن في المعلقات نوعا آخر من القصص، وهو قصة المغامرات الغرامية، كما في معلقة امرئ القيس.

فن القصة العربية ١٥

ولما جاء الإسلام، وانشغل به العرب، المسلمون منهم بنشره والدعوة إليه وغير المسلمين بمحاربهته والصد من انتشاره، لم تكن الظروف مناسبة للخوض في الممارسات الشعرية والنثرية. ولكن القرآن الكريم قص كثيرا من أخبار الأقاليم الغابرة مثل قوم عاد وثمود وأصحاب الأيكة وبنو إسرائيل، وانتهج الرسول صلى الله عليه وسلم أيضا منهج سرد القصة كواحد من أبرز أساليب دعوته.

ولما هدأت الأمور وساد الأمن والسلام ظهرت القصة جنسا أدبيا وفنا مستقلا، وكان في مسجد الرسول في عهد الخلفاء الراشدين، قصاصون. وجاء العصر الأموي، وازدادت القصة نشاطا وحيوية، فكانت المساجد ومجالس الأمراء وقصور الحكام أبرز مساح الفن القصصي، وفي هذه الفترة ظهر في الشعر نوع جديد يعرف بالشعر القصصي والغنائي، وهو الشعر يكون محوره القصص الغرامية ومغامرات العاشق للوصول إلى معشوقه.

وفي العصر العباسي، احتك العرب بالحضارات الأجنبية، وظهرت حركة الترجمة والتأليف، وجمعت كتب الأدب أخبار الماضين وأحاديث الغابرين، ومن أشهر تلك الكتب التي حفلت بهذه الروايات والأخبار، كتابا "البيخلاء" و"الحيوان" للجاحظ، وفي هذا العصر تنوعت ألوان القصة، فكان للفلاسفة وأرباب الفكر قصصهم الخاصة بهم، تحمل آراءهم وأفكارهم.

وكتاب "كليلة ودمنة" الذي يعد أول كتاب في فن القصة، ظهر على الساحة الأدبية في هذا العصر، وكانت صورته الأصلية باللغة السنسكريتية، ترجم إلى الفارسية أولا، ومنها إلى العربية، إلا أن أصله الهندي والفارسي مفقود، ترجمه إلى العربية عبد الله بن المقفع. وكتاب

فن القصة العربية ١٦

"البخلاء" للجاحظ مجموعة قصصية ألفت في هذه الفترة، تجمع أخبار البخلاء خاصة وتنتقد المجتمع حوله بشكل عام.

وفي هذا العصر نشأت القصة الخرافية أو القصة على لسان الحيوان، القصة النادرة، القصة المقامية، القصة الفلسفية، (حي بن يقظان، رسالة الغفران) القصص والسير الشعبي مثل: سيرة عنتر بن شداد، وسيف بن ذي يزن، وقصص بني هلال وغيرها، وظهر في أواخر القرن العاشر كتاب "ألف ليلة وليلة"، وكان اسمه الأول "ألف حكاية"، ثم تحول إلى "ألف ليلة" ثم إلى "ألف ليلة وليلة". وقد أضيفت إليه قصص مختلفة في عصور مختلفة حتى يأخذ صورته الأخيرة.

وفي الفترة بين انهيار الدولة العباسية وبين العصر الحديث تعد فترة انحطاط في تاريخ الأدب العربي، أصيبت القصة أيضا بشيء من الخمول والاضمحلال، ومن أبرز كتاب القصص في هذا العصر أبو بكر محمد بن يحيى الصولي (ت: ٩٤٦ هـ)، وتلميذه أبو علي محسن التنوخي (ت: ٩٩٤ هـ). وجمع ابن عبد الحكيم كثيرا من القصص المتعلقة بالفتوحات الإسلامية في مصر، وجاء العهد الطولوني، واشتهر فيه أحمد بن يوسف بن إبراهيم الشهير بابن الداية، وجمع في كتابه "المكافأة" إحدى وسبعين قصة.

عوامل نشأة الرواية والقصة القصيرة العربية الحديثة

وقد بدأ تطور الفن القصصي في الأدب العربي في عصر النهضة العربية الحديثة منذ منتصف القرن التاسع عشر، حيث أسهم العديد من رواد النهضة الأدبية في نمو وتطور فن

فن القصة العربية ١٧

القصة، استجابة لتطور المجتمع العربي، وثمره من ثمار النهضة، ومظهرا من مظاهرها. وذلك بتأثير من عدة عوامل أبرزها:

أ. الموروث السردى العربي: فأمة لها ذاكرة سردية غنية لابد أن تفيد من ذاكرتها في عصورها المتجددة.

ب. الترجمة والاطلاع على الروايات الأوروبية: فقد شهدت تلك المرحلة بوادر البعثات العلمية، وتأثير المدارس التبشيرية التي علّمت باللغات الأجنبية مما سمح باطلاع بعض الرواية الأوروبية التي كانت في أفضل حالاتها.

ج. تحولات النهضة ودوافع التقدم: إضافة إلى الانتباه للواقع العربى وضرورة تغييره فكانت الرواية أحج الأشكال الفنية المرشحة لقراءة المجتمع وللتأثير فيه أيضاً.

د. انتشار الطباعة وتطور الصحافة: مما استدعى نشر القصص والروايات المسلسلة، بما فيها من جاذبية وتشويق وتشجيع للقارئ على متابعة الوسيلة الإعلامية والتفاعل معها.

الرواية العربية وتطورها

تطور الرواية العربية في الأقطار العربية

الرواية عمل فني نثري معتمد على المخيلة ويستوعب كل التجارب الإنسانية والقيم الكونية بأسلوب أدبي رائع مبدع، ولا حدود للشخصيات والأحداث والزمن والجنس، والرواية تصوير للحياة وتشكيلها، والرواية تحتل مكانة مرموقة في الأدب العربي المعاصر. وتطورت الرواية العربية هو نتاج عملية طال أمدها، ومما لا شك فيه أن الرواية العربية، تعود نشأتها إلى الاتصال والتأثر المباشر بالغرب بعد منتصف القرن التاسع عشر الميلادي. وفي العصر الحديث تغيرت الأحوال، وظهرت الرواية على أيدي بعض المثقفين السوريين والمصريين واللبنانيين الذين درسوا من بلاد الغرب والذين زاروا واستقوا من مناهلها العلمية والثقافية، منقولة معظمها من الفرنسية وبعضها من الإنجليزية. وفي مقدمتهم رفاعة الطهطاوي الذي ترجم رواية "فينلون (Fenelon) مغارات تليماك (Telmaque)) باسم مواقع الأفلاك في وقائع تليماك، ثم ظهر روايته باسم "تلخيص الإبريز"، وبعده فرح أنطون، والموليحي بـ "حديث عيسى بن هشام" وكان هؤلاء هم الذين برزوا أولاً في مجال فن الرواية حديثاً.

وظلت الرواية العربية قبل الحرب العالمية الأولى على حالة من التشويش والبعد عن قواعدها الفنية، وأقرب ما تكون إلى التعريب والاقْتباس، وكانت لرواية حديث عيسى بن هشام للموليحي بصمة واضحة في ظهور الرواية ولغيره من المحدثين الذين أخذوا من أسلوب المقامة شكلاً فنياً تاماً لهم، واختلف الدارسون في تحديد الرواية الأولى، الأشد نضجاً وفنية، بحيث تصلح لأن تعد أول رواية عربية حديثة، فهناك من يذكر أن أول رواية عربية صدرت، كانت

الرواية العربية وتطورها ١٩

للجنوبية اللبنانية -زينب فواز وعنوانها (حسن العواقب عام ١٨٩٩) وهناك من يذكر رواية أم حكيم لمحمد أحمد التميمي عام ١٩٠٥، وهناك من يذكر رواية سليم البستاني "الهيام في جنان الشام" أول رواية عربية ولكنها ليس من جانبها الفني، وهناك من يركز على رواية زينب لمحمد حسين هيكل التي صدرت عام ١٩١٥، وهي رواية تنطلق من البيئة المصرية بأسلوب رومانسي، عن علاقة شاب غني بفتاة عادية من الشعب، واتفق النقاد على أنها بداية الرواية العربية الفنية التامة.

وكذا ظهرت الرواية وبرزت شخصيات عديدة في فن الرواية في القرون التالية، وكان معظمهم متأثرين بالثقافة الغربية أمثال طه حسين وتوفيق الحكيم وعيسى عبيد والمازني، ومن أبرز كتابها عبد الحميد جودة السحار ويوسف السباعي وإحسان عبد القدوس، غير أن الروائي المصري نجيب محفوظ يعتبر سيد هذا الميدان بدون أدنى شك، فرواياته اللص والكلاب، وخان الخليلي، وزقاق المدق، والثلاثية (السكرية، بين القصرين، قصر الشوق) والقاهرة الجديدة، وأولاد حارتنا تمثل رؤية جديدة أضافت إلى أجواء الرواية عوالم أوسع وأرحب.

وفي المنتصف الثاني من القرن العشرين بدأ نجيب محفوظ عالمه الروائي الجديد باستخدام التقنيات المبدعة الجديدة، وكذا تتابع ظهور روايات عديدة حتى كان قفزة كبيرة في عالم الرواية العربية، وبعد ذلك ظهر جيل جديد من الروائيين داخل مصر وخارجها، وعرف هذا الجيل بالحدائين وخرجوا على رؤية الرواية التقليدية وتقنياتها السردية، وظهر على أيديهم رؤية روائية جديدة تحمل اتجاهات معاصرة متعددة وحدائية مختلفة، ومن أبرز كتاب الجيل

الرواية العربية وتطورها ٢٠

الحديث صنع الله إبراهيم، وحنا مينا، وجمال الغيطاني، وإدوار الخراط والطيب صالح، وبهاء طاهر، وإيميل الحبيبي، وعبد الرحمن منيف، والغازي القصيبي، ورجاء عبد الله الصانع، ورجاء عالم، وليلى عثمان، وخيري شلبي، ويوسف زيدان، وعلاء الأسواني، وأحلام مستغانمي، وسعود السنعوسي، وواسيني الأعرج، ومحمد زفزاف، وعبد خال، وغيرهم .

الرواية في سوريا ولبنان

نشأت وتطورت الرواية في سوريا ولبنان كما ظهرت وتطورت في البلدان العربية أخرى، وقد جرت بمراحل مختلفة إلى أن تصل بالنهاية إلى الشكل الذي هو عليه اليوم، وجدير بالذكر في هذا المجال اسم المطران "حير مانوس فرحات" المتوفي عام ١٧٣٢م باعتبار أول من حاول بعث الاهتمام باللغة العربية، وبالنسبة إلى التجارب المبكرة في مسيرة تطور الفن الروائي العربي المعاصر في منطقة سوريا ولبنان أعمال فرانسيس مراه (١٧٣٦ - ١٨٧٣)، وسليم البستاني (١٨٤٧ - ١٨٨٤). فالأول منهما ولد بحلب وسافر إلى فرنسا. ونشر في حلب عام ١٨٦٥ كتابا تحت عنوان "غابة الحق" هو عمل ممتاز ناضج بالأفكار الفلسفية والمثالية، ويعد حكاية رمزية عن الحرية، وكتابه الثاني بعنوان مسجع وهو "درّ الصدف في غرائب الصدف". فالثاني سليم البستاني قد قام بعملية ممتازة يجتذب بها جمهور القراء عن طريقة كتابة سلسلة من القصص التاريخية، والتي بدأ نشرها في دورية "الجنان". وكانت تلك القصص تشمل حوادث من التاريخ الإسلامي إلى جانب الأسفار والرحلات وقصص المغامرات والحب، حيث تشمل الإرشاد والتسلية معا.

الرواية العربية وتطورها ٢١

ولابد من الإشارة إلى مدرسة المهجر وأدبائها في الولايات المتحدة، وكان الأدباء المهاجرين إما من سوريا أو من لبنان، وكان في مقدمتهم الأديب الشهير العالمي جبران خليل جبران (١٨٨٣-١٩٣٢) وظهر على يديه الكتب القصصية، وهي تشمل معالجة حيوية لبعض المشكلات الاجتماعية التي تعاني بها تلك الفترة، فتصور "الأجنحة المتكسرة" و"الأرواح المتمردة" مسألة المرأة، والزواج القائم على الإكراه، وطغيان رجال الدين وذلك بطريقة واضحة صريحة. "لم تساهم كتابات جبران بصورة مباشرة في تطوير تقاليد الرواية العربية بحد ذاتها، ولكن أهميتها الكبرى تكمن في خلق جمهور من قراء الأدب السردي الذي يدعوه، وبحماس للتغيير الاجتماعي خصوصا، وإن هذا الأدب كتب بأسلوب يختلف كل الاختلاف عن أساليب التعقيد اللفظي التي يتسم بها أدب المقامة، أو أنواع الأدب الأخرى التي تستهدف إبراز الجمال اللفظي فقط .

قام ميخائيل نعيمة بدور كبير في تطوير القصة، وقصته "العافر" تعد من أعمال الأوائل في مجال القصة، أما جورجى زيدان الشبيه السوري، فمساهمته قيمة بالرواية التاريخية، وعالج في رواياته الشخصيات الإسلامية مثل عمر بن الخطاب، ثاني خلفاء الراشدين، وطارق بن زياد بطل فتح الأندلس في القرن الثامن الميلادي .

أما في سوريا لم تطور الرواية إلا بالصعوبة والبطء حتى عام ١٩٦٧، فظهرت أول رواية سورية عام ١٩٣٧ برواية "هم" للروائي الشهير السوري الشهير شكيب الجابري وهو يعتبر رائدا حقيقيا للرواية السورية. والرواية السورية مرت بثلاث مراحل كالآتي:

الرواية العربية وتطورها ٢٢

المرحلة الأولى ١٩٣٧-١٩٣٩ م، واعتبرها مرحلة الطفولة في حياة القصة السورية، والمرحلة الثانية من ١٩٥٠ إلى ١٩٥٨ م. ويعتبر لتغيرات أساسية في سورية، نتيجة للتمدن ونمو التعليم وازدهار الصحافة. والمرحلة الثالثة من عام ١٩٥٩ إلى عام ١٩٦٧ م واعتبرها بداية لهوض الرواية العربية السورية.

وظهر روائيون كثيرون منهم حنا مينة، ونبيل سليمان، وعبد النبي حجازي، وعبد السلام العجلي، وفارس زرزور، ووليد إخلاصي، وأحمد يوسف دود، وهاني الراهب، غادة السمان، فاضل السباعي، وحيدر حيدر.

الرواية في العراق

تحتل العراق في شرق سوريا، وكان هناك حيز منيع يفصل العراق عن الأقطار العربية الأخرى التي كانت على اتصال بدول حوض البحر الأبيض المتوسط، وكانت صلات العراق المعظمة من النواحي الدينية والثقافية والتجارية مع الدول المجاورة، وهي إيران والخليج العربي والهند والشرق. وسادت هذه العوامل الجغرافية أو الأدبية، إلى استمرار تتبع الأنماط التقليدية والمعايير النقدية في الأدب حتى القرن العشرين، كما أشار يوسف عز الدين "فقد كان تطور فن القصة في العراق من ظواهر القرن العشرين".

ترتبط بدايات فن الرواية بظهور الصحافة، "وكانت التجارب الأولى لكتابة الرواية محصورة ضمن نطاق الأنماط التاريخية وأدب التسلية، نسبة إلى النمط الأول، رواية تاريخية مترجمة عن هنري الرابع ملك إنجلترا، تحت عنوان "العدل أساس المُلْك" (١٩١٩)، وأخرى كتبها

الرواية العربية وتطورها ٢٣

سليمان الدخيل تحت عنوان "ناظم باشا" (١٩١١) تدعى كونها قصة أدبية، تاريخية، اجتماعية وسياسية". وكان أبرز نقاد في تلك الفترة هو محمود أحمد السيد، كما كانت رواية "في سبيل الزواج" (١٩٢١) هي قصة ميلودرامية شديدة الرومانتيكية تجري أحداثها في الهند. ولكن الرواية التالية له بعنوان "جلال خالد" (١٩٢٨) "تعتبر أكثر أهمية في تاريخ تطور الرواية العراقية، اعتبارا بأنها استخدمت بعض الأحداث التي تدور حول الثورة العراقية ضد الاحتلال البريطاني للعراق في عام ١٩٢٠م."

الرواية في المغرب العربي

والبلاد المغاربية تشير إلى القطاع الغربي في المنطقة الممتدة من المحيط الأطلسي إلى الخليج العربي وهي في ضمن إطار الجغرافية السياسية لأقطار شمال إفريقيا، وقد يطلق المغرب على كامل المنطقة الواقعة إلى الغرب من مصر حينما يطلق بشكل خاص على المغرب الأقصى، أو ما يسمى مراكش.

وقد عانا المغرب كما عانى العراق من الانفصال عن المركز الجغرافي للعالم العربي، خاصة المغرب والجزائر وتونس. ففي هذه المناطق لم تتغير الأحوال الأدبية، إلا أنها سادت الأنماط الثقافية التقليدية، ولم يجد هناك تأثير حركة الانبعاث التي كانت في المشرق من العالم العربي إلا في القرن العشرين. وذلك باستعمار فرنسا على الجزائر عام ١٨٣٠م، وحدثت هنا حرب المليون شهيد، وبها تم نجاح الفرنسيين بالتغلغل في أعماق التركيب الثقافية والاجتماعية للجزائر.

الرواية العربية وتطورها ٢٤

احتلت فرنسا تونس عام ١٨٨١ م، فبدأت حركة الانبعاث القومي هناك، وهذا ما أدت إلى قيام الناس في صفوف المكافحة ضد الثقافة الفرنسية، فبرز الشاعر الناصر أبو القاسم الشابي، وهو شخصية نادرة في تاريخ تطور الأدب الحديث في المغرب العربي. ومما أبعد الناس عن دراسة الأدب العربي في تلك القطاعات من السكان هو الانفصال الجغرافي، وفرض النظام التعليمي الفرنسي، بحيث إنه أهمل من قبل الباحثين والنقاد.

وتطور الرواية في المغرب أيضا متصل بتطور الصحافة. "تأثر تطور الرواية العربية في المغرب من ناحية الأسلوب ومن الناحيتين الفنية والإبداعية بتطور الصحافة، كما تأثر بالمفاهيم الغربية وبالنماذج المترجمة التي نقلتها هذه الصحافة". وتكونت هذه مجتمعا محافظا على الثقافة المتميزة والتعليم الموروث. فلذا تأخرت تغيير تقاليد النثر السردى باللغة العربية، حتى وقت متأخر نسبيا. ومن الكتاب البارزين في تلك الفترة من تونس محمود المسعدي، وقد قدم مساهمات في نطاق النثر السردى العربي المعاصر تختلف كل الاختلافات عن أدب المشردين. وكان أشهر أعمال المسعدي "السد" كتبه بين عامي ١٩٣٩ و١٩٤٠ ميلادية، إلا أنها لم تنشر حتى عام ١٩٥٥ م. وكانت على نمط القصص الفلسفية التي قدمها جبران ونعيمة. والعمل الآخر الذي كتبه المسعدي ويحمل عنوان "حدثنا أبو حورية قال" شهد أيضا مرور فترة زمنية بين تاريخ كتابته ونشره، حيث كتبه عام ١٩٤٤ ونشره عام ١٩٧٩. "وفي عام ١٩٨٠ نشر أحمد رضا، هو ما يعتبر عامة أول رواية جزائرية باللغة العربية بعنوان "غادة أم القرى" كما يوحي عنوانها، تعالج بشكل خاص موضوع الحب والزواج."

الرواية العربية وتطورها ٢٥

وأما تطور الرواية في المغرب مرتبط "بالحاجة إلى مناقشة القضايا المتعلقة بالتوترات الاجتماعية والسياسية التي أدت إلى ثورة عام ١٩٥٢. وفي الواقع، لم تنشر الرواية التي يعتبرها النقاد أول رواية مغربية بالعربية حتى عام ١٩٧٥، وهي رواية "في الطفولة" لعبد المجيد بن جلون. ومن الواضح أن الرواية العربية ظاهرة أدبية حديثة نسبياً في مناطق المغاربة وذلك يعود لأسباب ثقافية وسياسية معينة.

ولكن بالنسبة إلى هذا العصر قد جرت البلاد المغاربة مجرى البلاد الأخرى في فن الرواية، فظهر الكتاب أمثال محمد زفزاف، وميلودي حمدوشي، وإدريس الناقوري، وعبد القادر الشاوي، وسالم حميش، ونجيب العوفي، ومحمد الرايس، ويوسف فاضل، والحبيب عبد الدائم ربي، وعبد الحميد عقار، وعبد الله كنون، والعربي الورياشي، وإبراهيم الخطيب وغيرهم.

الرواية في جزيرة العرب

عرفت الكويت بحضورها الروائية داخل الجزيرة العربية بصفة خاصة، حيث ظهرت الرواية فيها عام ١٩٤٨ م. برواية فرحان راشد الفرحان. ويعرف فهد إسماعيل فهد بعميد الرواية الكويتية، حيث يمثل مكانة مرموقة في ساحة الرواية العربية بما يزيد على ٢٢ رواية، ثم برزت كثير من الكتاب والكاتبات في مجال الرواية مثل صبيحة المشاري ونورية السداني وفاطمة العلي وعبد الله خلف وخليل محمد الوادي وناصر الظفيري وفهد الدويري وحمد الحمد وطالب الرفاعي وليلى عثمان وفيصل السعد وعبد العزيز محمد عبد الله وميس العثمان وسليمان الخليفي وبثينة العيسى وهديل الحساوي ومحمد هشام وسعد الجوير وخولة

الرواية العربية وتطورها ٢٦

القزويني وسعاد الولايتي وفطامي زيد العطار وخالد الشايحي وفوزية الشويش السالم ونواف النومس وعبداللطيف خضر الخضر وهبة بوخمسين ويعقوب اليوسفي ومنى الشافعي وعلياء الكاظمي ووليد جاسم الجاسم واسرار الجراح وخالد الحربي ومحمد الشارخ وجمال عبد الخضر عبدالرحيم.

أما نشأة الرواية في المملكة العربية السعودية قد بدأت عام ١٩٣٠ بظهور أول رواية سعودية "التوأمان" لعبد القدوس الأنصاري، ومنذ صدورها إلى عام ١٩٨٠ كان تطورها بطيئا جدا لأسباب سياسية.

ولكن هناك تطور سريع في الرواية في المملكة منذ ١٩٨٠ إلى عصرنا الحاضر، وتراكت الرواية واحدا تلو واحد بشكل ملحوظ، وذلك لأسباب، ومنها: تحولت الأحوال الاجتماعية والثقافية والعلمية مع وسائل جديدة لتعبير العواطف والمشاعر مثل الإنترنت. فصارت مجالا للنشر غير المراقب وأتاحت الأدباء أن يتحرر بدون أن يظهر اسمه.

ومنها: ظهور "الشقة الحرة" لغازي عبد الرحمن القصبي، أنه كتب رواية حينما كان يعمل في مؤسسة ثقافية واجتماعية رسمية، وهو يحكي فيها عن طالب يدرس في مدينة القاهرة وتجاربه هناك عادة، ولا يظهر أحد في سن مثله، ولكنه عرض هذه ببساطة وكتبتها في رواية. وكانت جراته نادرة في ذلك الحين. وبعد ظهور هذه الرواية كانت بداية فكرة الآخرين في كتابة الرواية.

الرواية العربية وتطورها ٢٧

ومن الروائيين المرموقين من المملكة العربية السعودية والذين ساهموا في تطور الرواية العربية السعودية، هم: عبد الرحمن غازي القصيبي، ومحمد نور عبد الله الجوهري، وحامد دمنهوري، وإبراهيم الناصر، وعبد العزيز مشري، وعبد محمد محمد خال، ورجاء عبد الله الصانع.

الرواية العربية في مصر

مصر بلدة ذات تراث ضخمة قيمة، لها تاريخ حافل ممزوج بالثقافات المتعددة. وكانت الاتصالات بالغرب تدريجيا كما كان في العديد من الأقطار العربية، حيث استغرقت حقبة زمنية طويلة، إلا أنه وضع مختلف تماما بالنسبة لمصر، حيث التقى بين مصر والغرب كان سريعا مفاجئا إلى حد أقصى، وذلك باحتلال نابليون على مصر عام ١٧٩٨م. وقبلت مصر التقدم الأوربي في مجالات التكنولوجيا والعلوم العسكرية، وبعد هزيمة مصر وجدت نفسها في مواجهة غرائب الثقافة الأوروبية والمعرفة العلمية، وكانت هذه بداية عهد جديد.

بعدما انسحبت القوات الفرنسية تولى زمام الأمور في مصر محمد علي باشا، وهو ضابط عثماني من أصل ألباني، وأنه أعجب بفعالية الجيش الفرنسي، قرر أن مصر بحاجة إلى جيش منظم مدرب على هذا المتوال نفسه، ولذا أخذ أن يرسل بعثات من الشبان المصريين إلى إيطاليا أولا، ثم إلى فرنسا منذ عشرينات القرن التاسع عشر. واختير رفاعة الطهطاوي إماما للبعثة في إحدى البعثات، وبعد إقامته في فرنسا، التي تمتد خمس سنوات ألف كتابه الشهير "تخليص الإبريز في تلخيص باريز". "يعد هذا الكتاب أول نموذج من سلسلة من الكتب السردية التي يسجل فيها أولئك الذين زاروا أوروبا انطباعاتهم حولها... أن هذا الموضوع شكل إطارا

الرواية العربية وتطورها ٢٨

لسلسلة من الروايات التي ظهرت في القرن العشرين بقلم كتاب معروفين مثل: توفيق الحكيم وطلح حسين ويحيى حقي وسهيل إدريس والطيب صالح وعبد الرحمن منيف.

ولا ينكر أحد أهمية رفاة الطهطاوي وكتابه تخلص الإبريز في تلخيص باريز وتأثيره واهتمام القراء به، ومع ذلك هناك أهمية كبرى بالنسبة إلى تطور الرواية العربية المبكر لعنصرين أساسيين هما: الترجمة والصحافة، وعين رفاة الطهطاوي محررا لصحيفة "الوقائع المصرية" التي أنشأها محمد علي عام ١٨٢٣م. ثم أدت الظروف إلى تأسيس عدة صحافات عربية تبعا للوعي القومي، ولم تكن هذه الصحافات منبرا لمناقشة الآراء المتعلقة بالأمر القومي والأفكار الإصلاحية والإسلامية فحسب، بل أصبحت منبرا لنشر الأعمال القصصية، والعديد من تلك الصحف كرسّت لنشر الآداب المسلية. وقد لعبت جريدة الأهرام التي أسست في الإسكندرية عام ١٧٨٥ مجالا لنشر الآداب السردية. فقد قامت الصحف بنشر الروايات على شكل حلقات وسلسلة. "وتجدر الإشارة إلى أن الصحافة في البلدان العربية ما تزال حتى الآن تقوم بهذا الدور، حيث تنشر تلك الأعمال القصصية قبل أن تنشر في هيئة كتاب. وقد تختلف فرص وإمكانات النشر في كل من طبيعتها ونطاقها بين بلد عربي وآخر، علما بأن نجيب محفوظ، الفائز بجائزة نوبل للآداب عام ١٩٨٨، ما يزال يستخدم الصفحات الأدبية للصحف والمجلات في القاهرة لتقديم أعماله للقراء."

أما بالنسبة إلى الترجمة فيذكر أيضا اسم رفاة الطهطاوي الذي كان مسؤولا عن مدرسة جديدة، هي مدرسة اللغات في القاهرة عام ١٨٣٦. وخلال العقود التالية ترجم هو وتلامذته أعمالا هامة من عيون الفكر الأوروبي لكل من فولتير ومونتسكيو وفيلون وكثيرين

الرواية العربية وتطورها ٢٩

غيرهم، وكانت في سبعينات وثمانينات القرن التاسع عشر، ونقل الأعمال الهامة مثل كتابات ألكسندر دوماس الأب وجوليوس فيرن والتي لاقت استحسانا كبيرا و"تيليمارك" في عام ١٨٥٩، ورواية البؤساء لفكتور هوجو في عام ١٨٦٢ ورواية "الكونت مونت كريستو" عام ١٨٧١ م.

وقد ساهم في تطور النثر السردى العربى العديد من الكتاب، كان أبرزهم مصطفى لطفي المنفلوطي، صاحب النظرات والعبرات، ومحمد المويلحي، صاحب "حديث عيسى بن هشام"، الذي يعد بداية للرواية المصرية، وعلي مبارك صاحب "علم الدين" وغيرهم.

صعدت الرواية في النصف الثاني من القرن العشرين، مواكبة لتحولات المجتمع العربي بأقطاره وبيئاته وأطيافه، وقد وُفرت الرواية بإمكاناتها السردية، وبما تتسع له من استيعاب التفاصيل والتقاط التغيرات والتحولات فرصة ثمينة للتعبير عن حقبة صعبة، شهدت ذبول الاستعمار ورحيله، كما شهدت نكبة فلسطين الأولى وأثارها الفادحة وما تبعها من تبدلات مركزية. وظهر النفط أيضاً وكان اكتشافه إيذاناً بظهور تحولات ارتبطت بما خلفه من آثارية إقليمية ووطنية، وأثاره الاقتصادية والاجتماع. كذلك شهد النصف الثاني من القرن العشرين ظهور الدولة القُطرية، أو دولة الاستقلال التي وعدت مواطنيها بأحلام كثيرة، لكنها خيبت آمالهم في المستوى الواقعي، وباسم التحرر والاستقلال مورس الاستبداد وحرمت الديمقراطية، وقُعمت وكُعمت الصحافة الحرة، وحوُرت الأحزاب المعارضة، حدثت النكبة الثانية لفلسطين عام ١٩٦٧.

أبرز الموضوعات والاتجاهات في الروايات العربية الحديثة

١. العلاقة مع الغرب: منذ زمن مبكر ظهر اتجاه مميز يصور العلاقة مع الغرب

بالتباسات المختلفة حضارياً وسياسياً، ومن أبرز روايات هذا الاتجاه:

١. عصفور من الشرق: توفيق الحكيم

٢. موسم الهجرة من الشمال: الطيب صالح

٣. بدوي في أوروبا: جمعة حماد

٤. متاهة الأعراب في ناطحات السحاب: مؤنس الرزاز

٢. قضية فلسطين: شكّلت فلسطين منطلقاً لتيار واضح في كتابة الرواية العربية،

فصورت تلك الروايات أحوال فلسطين كما رصدت آثار نكبة ١٩٤٨ ونكبة حزيران ١٩٦٧،

وظهر تيار المقاومة، وآخر لتصوير أحوال المخيمات والظواهر الاجتماعية والإنسانية اللاحقة

للكبة. ومن أهم روايات هذا المحور:

١. ما تبقى لكم، عائد إلى حيفا: غسان كنفاني.

٢. المتشائل، إخطية: إميل حبيبي.

٣. العشاق، البكاء على صدر الحبيب: رشاد أبو شاور.

٤. باب الشمس: إلياس خوري.

٥. الملهة الفلسطينية: إبراهيم نصر الله.

الرواية العربية وتطورها ٣١

٣. تحولات النفط والجزيرة العربية: وأوضح من عبر عن هذه التحولات عبد الرحمن منيف في رواية خماسية تتكون من خمسة أجزاء بأسماء فرعية هي: (التيه، الأخدود، تقاسيم الليل والنهار، المنبت، بادية الظلمات). ومن بعده ظهرت أصوات مميزة في الجزيرة العربية.
٤. السجن والقمع السياسي: صورت الرواية أحوال الاستبداد، وظاهرة السجن السياسي، وعبرت من خلال ذلك عن أشواق الحرية ومن أمثلة هذا التيار:

١. السجن، سمر الليالي: نبيل سليمان

٢. شرق المتوسط الآن هنا أو شرق المتوسط مرة أخرى: عبد الرحمن منيف

٣. تلك الرائحة: صنع الله إبراهيم

٥. الحرب الأهلية في لبنان: خلّفت الحرب الأهلية في لبنان آثاراً بالغة صورتها مجموعة

من الروايات اللبنانية والعربية ومنها:

١. كوايبس بيروت: غادة السمان

٢. طواحين بيروت: توفيق يوسف عواد

٣. حكاية زهرة: حنان الشيخ

٤. قامات الزبد: إلياس فركوح

الرواية العربية وتطورها ٣٢

٦. بينات عربية، وصور من المحليّة: صورت مجموعة من الروايات خصوصية بعض البيئات في الريف أو البيئة البحرية أو الصحراء، بما يظهر التنوع الثقافي، وأحوال الواقع ومن ذلك:

١. الريف المصري (صورة الصعيد): صورها يوسف القعيد في عدد من أعماله: أخبار عزبة المنسي، بلد المحبوب، وكذلك هباء طاهر في روايته: خالتي صفية والدير.

٢. الصحراء العربية وقبائل الطوارق: نجد صورتها في أعمال إبراهيم الكوني الذي اعتمد مركزياً على أساطير تلك المنطقة وغدا الناطق باسمها ومن رواياته: نزيه الحجر، التبر.

٣. الريف الأردني: صورته واضحة في أعمال سميحة خريس (شجرة الفهود)، وسليمان القوابع (حوض الموت).

٤. بيئة البحر والميناء: صور حنا مينا مدينة اللاذقية وواقع المدينة البحرية في كثير من رواياته وخصوصاً: الباطر، حكاية بحار، حكاية رجل شجاع.

٧. قضية المرأة: ظهر في الرواية العربية تيار واضح ركّز على معاناة المرأة العربية وقضايا حقوق المرأة، ومن هذه الروايات:

١. كوليت خوري: أيام معه.

٢. لطيفة الزيات: الباب المفتوح.

٣. نوال السعداوي: امرأة عند نقطة الصفر.

٤. سحر خليفة: لم نعد جوارى لكم

٨. روايات التحول السياسي: صورت هذه الروايات الصراع السياسي، ورسمت صورة للتيارات السياسية المتعارضة، وتتميز بأنها محكمة بالرؤية الأيديولوجية والسياسية، ومن أهمها:

١. الشمس في يوم غائم: حنا مينة

٢. نجمة أغسطس، أمريكا نللي: صنع الله إبراهيم

٣. الرهينة: زيد مطيع دماج

٤. اللاز: الطاهر وطّار

٥. أحياء في البحر الميت: مؤنس الرزاز

٩. روايات الهاجس الفكري والرؤية الفلسفية: وهي روايات قليلة في التجربة العربية

مقابل غلبة النوع الواقعي ورواية الهموم الاجتماعية والسياسية، ومن الروايات ذات الارتباط بالهاجس الفكرية والفلسفية.

١. أولاد حارتنا: نجيب محفوظ

٢. الغرف الأخرى: جبرا إبراهيم جبرا

٣. ممرات الصمت: فاضل الربيعي

٤. حجارة بوبيللو: إدوار الخراط

١٠. تيار الموروث السردى: وهو تيار واضح عبر الاعتماد على تقنيات السرد التراثي، أو

محاولة إحياء نوع سردي قديم، ومن أمثلة هذا التيار:

١. حدث أبو هريرة قال: محمود المسعدي

٢. رحلة ابن فطومة: نجيب محفوظ

٣. المقامة الرملية: هاشم غرايبة

٤. الدراويش يعودون من المنفى: إبراهيم درغوثي

٥. نوار اللوز: واسيني الأعرج

٦. النخاس: صلاح الدين بوجاه

١١. روايات تاريخية: هناك تيار اختار التاريخ سبيلاً لمعالجة الواقع، فكانت المادة

التاريخية هي المكون والمادة الأساسية، ومن هذه الروايات:

١. الزيني بركات: جمال الغيطاني

٢. ثلاثية غرناطة: رضوى عاشور

٣. أبناء القلعة، الزوبعة: زياد قاسم

الرواية العربية وتطورها ٣٥

١٢. روايات الهجرة اللغوية: هناك رواثيون من أصول عربية، كتبوا لغات أخرى معبرين

عن هواجس عربية وشرقية ومنهم:

١. كاتب ياسين: نجمة

٢. الطاهر بن جلّون: ليلة القدر

٣. أمين معلوف: ليون الإفريقي، حدائق النور

القصة القصيرة وتطورها

القصة القصيرة لغة واصطلاحا

وفي المعاجم قصّ الأثر أي تتبع مساره ورصد حركة أصحابه والتقط بعض أخبارهم. ومن هذا المعنى قوله تعالى: "قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا". ويقال اقتص أثره وتقصص أثره.

كلمة " القصيرة" أضيفت إلى "القصة" للتفريق بينها وبين القصة الطويلة لأنها تأخذ منها العناصر الأساسية لتركيبها وتمتنع عن الشمولية في السرد والتوسيع، ولأنها غالبا ما تتحقق فيها الوحدات الثلاث الزمان والمكان والموضوع، وقد تتألف من عدة صفحات وتتناول حادثة واحدة أو شخصية واحدة أو موقفا واحدا، ويكون التركيز فيها ضروريا على الموضوع المعالج وطريقة السرد وتركيب المفردة بحيث لا يسمح المجال للحشو والإطالة.

ورغم اختلاف الكتاب والنقاد حول وضع تعريف ما للقصة القصيرة فإنهم تلاقوا على أنها "نص أدبي نثري تناول بالسرد حدثًا وقع أو يمكن أن يقع"، أو هي "حكاية خيالية لها معنى، ممتعة بحيث تجذب انتباه القارئ، وعميقة بحيث تعبر عن الطبيعة البشرية"، ولقد افترض الكاتب الأمريكي إدجار ألان بو محددًا للقصة القصيرة عندما قال: "إنها عمل روائي يستدعي لقراءته المتأنية نصف ساعة أو ساعتين"، وربما كان ما يسعى لتعريفه هو "أنها يجب أن تقرأ في جلسة واحدة"، لكن يبدو التعريف الأشمل هو الذي يطرحه د. الطاهر مكي – الناقد الأدبي هو أنها: حكاية أدبية – قصيرة، وبسيطة الخطة- تحكي حدثًا محددًا طبقًا لنظرة رمزية -

الشخوص فيها غير نامية- تُوجز في لحظات أحداثًا جسامًا معتمدة على مبدأ التكتيف فكراً ولغة وشعوراً مما يمكنها من النجاح في نقل دفعة شعورية فائرة.

خصائص القصة القصيرة

للقصة القصيرة عدة خصائص، ومن أهمها

وحدة العناصر: وذلك يعني أن تتمحور أحداث القصة القصيرة حول فكرة محددة أو حدث معين، وشخصية وحيدة رئيسية، وذلك بالإضافة إلى هدف واحد؛ حتى يركز الكاتب كل أفكاره على هدف محدد دون أن يحمده عنه.

تكتيف الجمل: إذ إن الكاتب يتوجه مباشرة نحو هدف القصة وغايتها، من أول كلمة فيها، ثم يزيد عدد الجمل القصيرة والعبارات، التي تحمل دلالات ومعاني عديدة. الإثارة والحركة: مما يعني أن القصة القصيرة تحوي عناصر الإثارة، والحيوية، والحركة في أحداثها، حتى وإن كانت تخلو من أي صراع خارجي، أو كانت تحوي شخصيةً وحيدةً لا غير.

أنواع القصة القصيرة

القصة التسجيلية: هذا النوع من القصص لا يهتم بالطريقة التقليدية لكتابة القصة، لا يهتم بالخواطر الوجدانية، بل هو من خيال الكاتب عن طريق إطلاق معين من فكر الكاتب. القصة الميثولوجيا: هي مزيج بين زمن الأساطير والزمن الحديث، وقد يعتمد على سحر الخيال الذي يتواجد في الأساطير.

الرواية العربية وتطورها ٣٨

القصة الفانتازيا: هي من الأنواع الأثرس ما بين أنواع القصص القصيرة، فأفكارها فوضوية، ولا تتقيد بالواقع.

القصة السيكولوجية: يعتمد هذا النوع من القصص القصيرة على أن الكاتب تتحول أحاسيسه ومشاعره إلى كلمات، ومن خلال القصة يتمكن من عكس أفكاره، وقد يحتوي هذا النوع على الكثير من الخفايا إلى النفس البشرية.

الموروث السردى العربى للقصة القصيرة

١. قصص الأمثال: وأقدم كتاب تخصص فيها هو كتاب أمثال العرب للمفضل الضبي

٣. قصص البخلاء ونوادهم: كما في كتاب البخلاء للجاحظ

٤. كتاب الأخبار: كما في الأخبار الموفقيات للزبير بن بكار وكذلك ما جاء عند القاضي التنوخي في كتابه الهام: الفرج بعد الشدة

٥. المقامة: وأشهرها مقامات بديع الزمان الهمداني

تطور القصة القصيرة في الأقطار العربية

كانت المقامة هي الإرهاصة الأولى لفن القصة القصيرة العربية بشكلها المتعارف عليه الآن، وفي منتصف القرن التاسع عشر بدأت موجة من الترجمات عن الغرب وإن كانت قد بدأت قبل ذلك وتحديداً في الثلاثينيات، على يد رفاة الطهطاوي، ظهرت القصة كفن أدبي في بداية القرن العشرين، وكان لها ذبوع كبير، وقد نشأت بصورتها الحديثة مترامنة مع نشأة الرواية في

الرواية العربية وتطورها ٣٩

أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، كما نضجت ونشطت مع تطور الصحافة وظهور أعداد متزايدة من المجلات والصحف، إضافة إلى تعدد التفاصيل والأحوال التي استلزمت التعبير القصصي الموجز، أما أول قصة قصيرة عربية بالشكل المتعارف عليه كانت قصة "في القطار" لمحمد تيمور، والتي نشرت في جريدة "السفور" سنة ١٩١٧، بينما هناك آراء أخرى تقول بأن أول قصة قصيرة عربية تظهر في العصر الحديث كانت لميخائيل نعيمة، وهي قصة "سنتها الجديدة" التي نشرت في بيروت عام ١٩١٤.

وفي مصر كانت ثمة جهود ومحاولات للاقتراب من كتابة القصة القصيرة العربية، واضطلع بالقيام بهذه المحاولات "عبد الله النديم" من خلال مجلته "التنكيث والتبكيث"، كذلك تجربة لبببة هاشم ومنصور فبهي وخلييل مطران، وإن كانت كلها لم تتعدَّ الإسهام في الشكل الهيكلي للقصة، ثم كانت تجربة "محمد المويلحي" في "حديث عيسى بن هشام"، والتي اقتضى فيها أثر المقامة العربية القديمة، وأيضاً كتابات "مصطفى لطفي المنفلوطي" التي كانت وعظيمة انتقادية في المقام الأول، لكن كان لها دور مهم في هذه المرحلة؛ ما وفر لها فرصة الذبوع والانتشار، وجاءت مرحلة أخرى مهمة وهي مرحلة الرواد الذين ضربوا بحماس وقوة في أرض ذلك الفن الجميل، والذين أنتجوا بالفعل تجارب قصصية لها كيانها الفني والفكري، طبقاً لعصرهم وظروفه، وهؤلاء هم: محمد تيمور، عيسى عبيد، شحاتة عبيد، محمود تيمور، محمود طاهر لاشين.

في هذا الوقت كانت ثورة ١٩١٩ قد فتحت وعي الكثيرين على ضرورة التجديد والثورة على القديم، وظهر إلى النور ما سعي "المدرسة الحديثة في القصة" والتي قادها "أحمد خيرت

الرواية العربية وتطورها . ٤٠

سعيد" من خلال مجلة "الفجر" التي كان شعارها الهدم من أجل البناء، ومن أبرز أعضاء هذه المدرسة: حسين فوزي، يحيى حقي، إبراهيم المصري، حسن محمود، سعيد عبده، محمود البدوي.

ثم جاء جيل الخمسينيات كما اصطلح على تسميته، ومن أبرز كتاب هذا الجيل: يوسف الشاروني، يوسف إدريس، أبو المعاطي أبو النجاء، عبد الرحمن الخميسي، محمد صدقي، وفي الستينيات برز في هذا الجيل أسماء عديدة، فلقد قفز هذا الجيل بكتابة القصة قفزات واسعة، ومن أبرز هذه الأسماء: محمد حافظ رجب، يحيى الطاهر عبد الله، إدوار الخراط، سليمان فياض، محمد البساطي، جمال الغيطاني، يوسف القعيد، إبراهيم أصلان، عبد الحكيم قاسم، مجيد طوبيا، محمد إبراهيم مبروك، بهاء السيد، عز الدين نجيب، محمد جاد الرب، محمد عباس، الدسوقي فهي، خيري شلبي، محمد مستجاب، محمد جبريل.

وفي المغرب، كانت القصة القصيرة خلال الثلاثينيات من القرن العشرين في صورة محاولات وترجمات ومعارضات، ولذلك ستكون الستينيات من القرن الماضي هي الميلاد الفعلي للقصة المغربية القصيرة على أيدي قصاصين مغاربة استلهموا النمط القصصي الغربي ونسخته المصرية بالخصوص: عبد المجيد بن جلون، عبد الكريم غلاب، عبد السلام البقالي، محمد بيدي، خاتمة بنونة، رفيقة الطبيعة، محمد عزيز الحيايي، عبد الجبار السحيمي، مبارك ربيع، إبراهيم بوعلو، محمد الصباغ، محمد زنيبر، محمد زفزاف، احمد المديني، محمد برادة، طه أبو يوسف، إدريس الخوري.

الرواية العربية وتطورها ٤١

ومع مطلع السبعينيات ستعرف القصة القصيرة في المغرب مرحلة جديدة من تاريخها، نتيجة ما عرفته هذه الفترة التاريخية من تضخم إيديولوجي وصراع سياسي حاد أكسب جل الأدباء المغاربة وعيا فنيا وثقافيا بالأدب ومن ذلك وعي القصاصين بجوهر جنسهم القصصي وفنيته وتقنياته باعتباره أقرب الأجناس الأدبية إلى وجدان الفئات الاجتماعية المتوسطة، الحديثة العهد بالتعليم العصري والصحافة وصناعة الكتاب، في هذا المجال تبرز الأسماء التالية إدريس الصغير، مصطفى يعلى، محمد غرناط، عز الدين التازي، محمد زفزاف، إدريس الخوري، مبارك ربيع، احمد المديني، حاضي بوشته، محمد صوف، احمد زيادي، خنانة بنونة، رضوان احدادو، محمد شكري، محمد برادة، مصطفى المسناوي، محمد الهادي، احمد بوزفور، محمد عزيز المصباحي، بشير جمكار، منير البوريحي، المهدي الودغيري، عبد الرحيم المودن، محمد الدغمومي، محمد بيدي وغيرهم.

وفي الجزائر نشأت القصة على يد رجال الإصلاح ومقاومة المحتل مثل: محمد بن العابد الجلاي، ومحمد سعيد الزهراوي، وكانت تسمى القصة الإصلاحية وتتناول القيم التي يجب أن تسود المجتمع وضرورة التخلص من المحتل، وأهمية الحرية وكان ذلك في حوالي ١٩٢٤، لكن التطور والنضج الحقيقي كان على يد جيل الثورة الأدبي؛ حيث عرفت الحياة الأدبية والثقافية في الجزائر بعد الحرب العالمية الثانية (١٩٤٤) تطوراً ملحوظاً، وبعد قيام حرب التحرير الوطنية الكبرى في أول نوفمبر عام ١٩٥٤ من أهم عوامل تطور الأدب الجزائري المعاصر، ومن القصص من تفرغ للثورة، وتخصص فيها، ولم يكتب عن أي موضوع سواها مثل عثمان سعدي وعبد الله ركيبي، وفاضل المسعودي ومحمد الصالح الصديق.

الرواية العربية وتطورها ٤٢

وفي السودان شهدت فترة الثلاثينيات نشاطاً واسعاً للنقاد والقاصص معاوية محمد نور، من كتابة للقصة، ويعتبر أول من كتب القصة القصيرة بمعناها المحدد والمعروف، وقدم أمثلة حية بكتاباتة للقصة القصيرة، وأدى ظهور مجلتي "النهضة" و"الفجر" إلى المساهمة في استقطاب وتشجيع الكُتّاب ونشر أعمالهم ودراساتهم عن فن القصة. فظهرت في تلك الفترة أسماء: عبد الحليم محمد، السيد الفيل، حسن أحمد ياسين، ومحمد عشري الصديق، ودارت أغلب قصصهم عن الزواج والحب والتزوج من القرية والسفر.

أما فترة الأربعينيات فقد جاء التأثير فيها واضحاً بالمذاهب الفكرية التي ظهرت في السودان، ومن أبرزها ما سمي بالواقعية الاشتراكية، وأصبحت القصة أكثر ديناميكية، واكتسبت صفة الحيوية باستجائها للشخصيات والحواريات من عمق المجتمع ورصد حالاته وتحليلها. ومن أبرز الأسماء في هذه الفترة: خليل علي، أبو بكر خالد، وعثمان علي نور الذي أصدر مجلة «القصة» كأول مجلة سودانية متخصصة تعنى بالقصة القصيرة.

وفي سوريا نُشر في فترة ١٩٣١-١٩٤٧ اثنتا عشرة مجموعة قصصية، كان فن القصة القصيرة واضحاً في بعضها، وفي قسم آخر ترجح بين الصورة والمقالة والخطابة، لكنها في مجملها تحمل بذور نضوج فن القصة القصيرة في تاريخ الأدب السوري، والهيم الاجتماعي كان من أبرز الهموم التي شغلت القاصين.

وفي فترة ١٩٥٩-١٩٦٨ ظهر في تاريخ القصة السورية عدد من الأسماء التي لا تزال تعدّ من أميز الكُتّاب، مثل: زكريا تامر، وليد إخلاصي، حيدر حيدر، محمد حيدر، وتأثرت القصة السورية بانكسار الحلم القومي إثر انهيار الوحدة المصرية السورية وكذلك الصفعة الكبرى في

الرواية العربية وتطورها ٤٣

حرب ٦٧، وتميزت بالمقدرة الواضحة في المزج بين القضايا الاجتماعية والقضايا الوطنية والقومية.

وفي العراق أثرت حقبة الخمسينات في ولادة بنية قصصية واعية لذاتها على يد عبد الملك نوري في مجموعته (نشيد الأرض) وفؤاد التكرلي في (الوجه الآخر)، ثم طغمت الشعارات السياسية في أعقاب ١٩٥٨ والانقلابات العسكرية، بعد هذا تليها الفترة الواقعة بين ١٩٦٤ . ١٩٧٠ من تأريخ ظلال الحرية، حيث ولد جيل الستينات الأدبي المتمرد متأثراً بأفكار سارتر وكاموا الوجودية، وبأفكار جيفارا الثورية، ثم تليها مرحلة المحنة حيث ينتقل النص القصصي العراقي الى أبعاد أخرى في تأمل شأن الإنسان، وكانت الفترة السبعينية قد اهتزت أيضاً بسبب الخطابات الايدولوجية المتصارعة، بعدها الحرب العراقية الإيرانية، ومن مرحلة التسعينات بدأ يتبلور تيار جديد بعد حروب وحصار وجوع وقمع، هذا المخاض القصصي العراقي المحترم احتدام الواقع العراقي الثقافي والاجتماعي والسياسي.

وفي فلسطين مرت القصة القصيرة في ثلاث مراحل، وفي مرحلة المخاض والولادة التي امتدت منذ العام ١٩٢٤-١٩٤٨، نشأت القصة القصيرة على أيدي جماعة من البرجوازية، كانت نشأة رومانسية في مجملها، تعمل على تقاليد القصة الأوروبية الحديثة، ويعد خليل بيدس من الطلائع في القصة الحديثة في فلسطين، وأشهر قصة له فهي مسرح الأذهان عام ١٩٢٤، ويعد نجاتي صدقي وجبرا إبراهيم ومحمود الإيراني وعبد الحميد ياسين وأحمد شاکر الكرمي، ومحمد أديب العامري، وعارف العزوني، وعبد الحلیم عباس، وإسحاق موسى الحسيني من الرواد الأوائل. وفي مرحلة التأسيس والتكوين الفني التي امتدت منذ العام ١٩٤٨

الرواية العربية وتطورها ٤٤

إلى العام ١٩٦٧، التقت الرومانسية بالواقعية الجديدة والرمزية، وفي الخمسينات تعزز حضور القصة القصيرة على يدي سميرة عزام وغسان كنفاني، وأهم الكتاب في الخمسينات لطفي ملحس ومحمد سعيد الجنيدي، وفي الستينات أخذ كتاب القصة القصيرة ينشرون إنجازاتهم في مجلة الأفق الجديدة، وحرصوا على التعبير عن القضية الفلسطينية وتوزعت القصة على اتجاه النضال واتجاه الحنين واتجاه الوعي، ومن أشهر قصاصي هذه المرحلة صبيح شحروري، ونمر سرحان، ومحمد أبو غربية، وماجد أبو شرار، ومحمود الشريف، وحكم بلعاوي ومحمود شقير، ويحيى يخلف، وفي مرحلة القصة الراهنة كان كتاب القصة داخل الخط الأخضر يكتبون القصة القصيرة المعبرة عن التمسك بالأرض ومن كتاب هذه الفئة حسن حميد، ونعمان إسماعيل، وسمير حجازي، ورجاء بكرية وسحر أبو ليل، ومن كتاب الأجيال الجديدة ماجد أبو شرار، ومحمود إبراهيم غانم، ومحمود شقير، وفي غزوة بدأت مجموعة من الشباب في كتابة القصة ومنهم عبد الله تايه، زكي عيلة، غريب عسقلاني، محمد أيوب.

وفي الأردن يعد خليل بيدس رائد فن القصة القصيرة، حيث سبق إلى الترجمة والنقد والتأليف، ويعد محمود سيف الدين الإيراني القطب الثاني بعد بيدس، إذ بدأ بكتابة القصة منذ مطلع الثلاثينيات من القرن العشرين حتى وفاته، ومن أوائل كتاب القصة القصيرة في الأردن نجاتي صدقي وعاف العزوني وأحمد الدباغ وحنّا سويده وعبد الحميد ياسين، والى جانب هؤلاء كان هناك محمد صبيح أبو غنيمية وشكري شعشاعة، وعبد الحليم عباس، وإسحاق موسى الحسيني، ومحمد أديب العامري، وحسني فريز.

الرواية العربية وتطورها ٤٥

ومن القاصات المميزات سميرة عزام ونجوى قعوار وصبحي أبو غنيمة صاحب (أغاني الليل) وهي أول مجموعة قصصية في الأردن، وقد صدرت عام ١٩٢٢، وفي الأربعينيات، كان هناك عدد من الأسماء مثل: عيسى الناعوري، وفتى اليرموك، وفالح الداود الغرابية وعقلة راجعي، ومثري شرايحة، وعبد الحليم عباس وغيرهم، وتعد الخمسينيات بداية نشوء القصة القصيرة بملامحها الواضحة في الأردن؛ إذ شهدت هذه الفترة انقلاً كبيراً في الحياة الفكرية، وبلغ ما نشر من القصة القصيرة في عقد الستينيات في الأردن، إحدى عشرة مجموعة، وقد أسهمت مجلة (الأفق ال جديد ١٩٦١ - ١٩٦٥) في نشر نتاجات الكتّاب الأردنيين من القصة القصيرة في هذه الفترة، وشهدت السبعينات ظهور مبدعين آخرين في مجالي القصة والرواية منهم: إبراهيم العبسي، ويوسف ضمرة، وهند أبو الشعر، وإلياس فركوح، وهاشم غرابية، وخليل قنديل، وعدي مدانات، ورجاء أبو غزالة، وتريز حداد، وسهير التل ن وزهرة عمر، وغيره. وقد ازدهر فن القصة في العقد الأخير من القرن العشرين، ولمعت أسماء كتّاب من مثل: مفلح العدوان واحمد النعيمي و غسان عبد الخالق وزياد بركات وباسم الزعبي وسعيد الخواجة ويحيى عبابنة، وكان هناك حضور لافت للقاصات مثل: جواهر رفاعية، وجميلة عمارة، وتغريد قنديل، ومريم جبر فريجات، ونوال عباسي، وحزامة حبابي.

وفي الجزيرة العربية، بدأت القصة القصيرة تظهر في السعودية في الثلاثينات من القرن العشرين، وكان أول مجموعة قصصية لأحمد عبد الغفور عطار بعنوان: "أريد أن أرى الله"، وذلك عام ١٩٤٦، ثم توالى صدور المجموعات القصصية ليصل عددها حتى عام ١٩٦٤ إلى

الرواية العربية وتطورها ٤٦

خمس عشرة مجموعة قصصية، وقفزت بهذا الرقم ليصل إلى خمس وثلاثين مجموعة قصصية، وهي للفترة الأولى للتطور الفني للقصة القصيرة السعودية ١٩٧٩.

ومن أهم ما تميز به فن القصة السعودية خلال العصر الحديث أنه في بدايته كان عبارة عن مقالات قصصية، ومن أبرز من مثلها محمد حسن عواد في كتابه "خواطر مصرحة" عام ١٩٢٦ تحت عنوان: "الزواج الإجباري"، وقصة أخرى بعنوان: "على ملعب الحوادث"، وقد كتبت في نفس السنة وصيغت بأسلوب المقامات.

ومن القصص ما كان أقرب إلى المقالة الاجتماعية؛ لأنها تنتقد التقاليد الاجتماعية البالية، وممن برع في مثل هذا النوع من القصص باستخدام الأسلوب المباشر أحمد السباعي، حيث نشر "ملاحظات حرة"، "أوراق العيد" والتي كانت تنشر في جريدة صوت الحجاز عام ١٩٣٥. ومن أبرز كتاب القصص القصيرة في السعودية: عبد الوهاب أشي، وأحمد رضا حوحو، ومحمد عالم الأفغاني، وأمين سالم الروبيحي، وخالد خليفة وإبراهيم الناصر.

وفي الكويت تعد مجموعة فاضل خلف، "أحلام الشباب" ١٩٥٤ أول مجموعة قصصية لأديب كويتي، وقدم عقد السبعينات من القرن العشرين البداية الحقيقية للقصّ الفني في الكويت، ومثال على ذلك ثريا البقصي وليلى عثمان، وتابعت القصة القصيرة في الكويت تطورها في سنوات الثمانينيات التي شهدت ظهور أصوات جديدة، من روادها: طالب الرفاعي، وليد الرجيب، عالية شعيب، ولم يكن عقد التسعينيات أقل أهمية مما سبقه، فقد زخر هذا الأخير بأصوات جديدة مميزة.

الرواية العربية وتطورها ٤٧

وفي قطر لعل قصة عيسى منصور "اليتيم" أول نصّ لكاتب قطري، وصدرت في ١٩٦٠، وشهد عقد الثمانينيات صدور مجموعتين هما: "سبعة أصوات في القصة القطرية الحديثة" ١٩٨٣، و"بائع الجرائد" لنورة السعد، ويمثّل عقد التسعينيات ما يمكن وصفه بحق مشهداً قصصياً في قطر.

وفي الإمارات تعدّ قصة عبد الله صقر "قلوب لا ترحم" أول مجموعة قصصية لكاتب إماراتي، ثم ما لبث أن أفصح عن نفسه في مجموعته "الخشبة"، ١٩٧٤ التي تمثل إلى الآن أول مجموعة قصصية إماراتية، ومعظم الإبداعات ظهرت خلال عقد التسعينيات، ومن أبرز روادها: عبد العزيز الشرهان، مريم جمعة فرج، علي عبيد علي، ويمثّل تطور التجربة في مرحلة الثمانينيات أصوات جديدة. ولم يكن عقد التسعينيات أقلّ أهمية إذ قدم إضافات مهمة إلى التجربة أمثال: شيخة التاجي، ظبية خميس، عائشة الزعابي، فاطمة الهديدي، علي الحميري، نجيبة الرفاعي، نعيمة المري.

الرواية ديوان العرب الحديث

إن الرواية هيمنت اليوم على الفنون الإبداعية الأخرى كالشعر والقصة القصيرة وأصبحت أكثرها انتشارا وازدهارا وتطورا، وأنها انتزعت لنفسها ميزات أو امتيازات وفضائل الشعر، وحلت عند العرب محل الشعر، بحيث يمكن القول إنها باتت ديوان العرب الجديد في العصور الحديثة بعد أن كان الشعر ديوانهم في الماضي، لما فيها تمثيل معمق لأحوال المجتمعات العربية، بما في ذلك الحريات، والهويات، ومصائر المنفيين، والمهجرين، والنساء، وأصحاب الرأي، وضحايا الحروب الأهلية، فضلا عن ضحايا الاستبداد السياسي والاجتماعي والديني، وخاضت الرواية العربية مغامرة جريئة في تطوير بنيتها السرديّة والأسلوبية، واقترحت لغة جديدة غير اللغة المعيارية التي أصبحت موضوعا للبلادة التقليدية في القرون الوسطى، وصار الاعتراف بها أمرا لازما بوصفها الممثل الرئيسي للأدب القومي في الثقافة العربية الحديثة. والرواية، على حداثة عهدها، إلا أنها أصبحت مخزن مكنونات وخزانة تاريخ واقتصاد وسياسة، وأصبحت بجدارة ديوان العرب والعجم. فهي الراصد للتحوّلات، المصور للرسوم والجسوم، الموثق للنقلات في التاريخ، السجل الحار للعواطف الإنسانية، كما أصبحت تحتضن في داخلها النثر والشعر، لكي تصف الجغرافيا والتاريخ، وترصد حالات الحب والحرب والسلام، كما أنها في بعض الأحيان صانعة للمعرفة بأنواعها المختلفة. والرواية مليئة بالحركات، وفيها الواقع والخيال، ومختلف ضروب وأشكال الكتابة الأدبية، وهي في الغالب أشبه بالعمل الموسيقي السيمفوني الضخم، ولكن باللغة.

استطاعت الرواية الاستفادة من كل الفنون على مستوى الشكل والمضمون، فعلى مستوى الشكل أخذت الرواية من المتغيرات الشكلية الكثيرة التي طرأت على كل الأجناس الأدبية كقصيدة النثر مثلاً، وعلى مستوى المضمون فقد استوعبت الرواية أحداثاً ووقائع لم يكن لجنس أدبي آخر تقديمها في صيغة واحدة، وفي معرض المفاضلة بين السرد والشعر قال العقاد "إن قنطاراً من القصة يساوي درهماً من الشعر، وإن القصة في معدنها دون الشعر في معدنه، لأن النفاسة هي أن يساوي الشيء القليل الشيء الكثير"، ورد عليه نجيب محفوظ مستهيناً بالشعر ووظيفته "لقد ساد الشعر في عصور الفطرة والأساطير، أما هذا العصر عصر العلم والصناعة والحقائق، فيحتاج حتماً لفن جديد، يوفق على قدر الطاقة بين شغف الإنسان الحديث بالحقائق وحنينه القديم إلى الخيال" وأضاف منتصراً لفن السرد "وقد وجد العصر بغيته في القصة، فإذا تأخر الشعر عنها في مجال الانتشار، فليس ذلك لأنه أرقى من الزمن ولكن لأنه تنقصه بعض العناصر التي تجعله موائماً للعصر، فالقصة على هذا الرأي هي شعر الدنيا الحديثة. وسبب آخر لا يقل عن هذا في خطره وهو مرونة القصة واتساعها لجميع الأغراض، مما يجعلها أداة صالحة للتعبير عن الحياة الإنسانية في أشمل معانيها"، ويؤكد الكاتب المصري جمال الغيطاني في حديث لجريدة البيان أن "القصة والشعر في الوقت الحالي، يلفظان أنفاسهما أمام الرواية. والرواية وحدها تستأثر حالياً بالاهتمام الأكبر، ذلك في مقابل ابتعاد وتهميش فن القصة".

الدرس ٢

أبرز كتاب القصة القصيرة

محمد تيمور (١٨٩٢-١٩٢١)

ولد الأديب القاص والمسرحي المصري محمد تيمور في أسرة شغف أكثر أفرادها بالأدب. فوالده أحمد باشا تيمور. خلف ثلاثة أبناء، ورث اثنان منهما هواية الأدب عن والدهما وهما محمد ومحمود. كما أن عمته هي الشاعرة عائشة التيمورية. وقد توفيت والدته وهو صغير.

بعد أتم تعليمه الثانوي سافر إلى برلين لدراسة الطب (١٩١١). لكنه لم يجد في نفسه ميلا، لا للطب ولا لبرلين، فذهب إلى باريس بزعم دراسة القانون، وفي الواقع للاتصال بالحياة الأدبية هناك. وفي أوروبا تطورت آراؤه ومعلوماته عن الأدب وفن التمثيل، وتمنى أن يرى في مصر عهدا جديدا للمسرح المصري.

بدأ يدعو لأدب مصري مبتكر يصور الواقع الاجتماعي كما نقد المسرح الغنائي نقدا مؤثرا. انضم لجماعة "أنصار التمثيل" وألف المسرحيات ومثل على خشبة المسرح حتى عام ١٩١٧.

أخذ ينشر قصصه الاجتماعية القصيرة عام ١٩١٧. ومن بينها قصة "في القطار" التي يعدها النقاد الآن البداية الفنية الحقيقية للقصة القصيرة في مصر على الأقل. وإلى جانب ذلك كتب محمد تيمور ديوانا من الشعر، ومجموعة من المقالات في النقد المسرحي وفي الاجتماع.

أبرز كتاب القصة القصيرة ٥١

وأربع مسرحيات مؤلفة هي: "العصفور في القفص (مثلت لأول مرة في مارس ١٩١٨). و "عبد الستار أفندي" وهي كوميديا مصرية أخلاقية مثلها عزيز عيد لأول مرة في ديسمبر (١٩١٨). و "الهاوية" وقد مثلت لأول مرة على مسرح الأوزبكية، وهي أفضل مسرحياته.

كذلك ترجم عن الفرنسية مسرحيتين "الأب لوبونار" لجان إيكار، و"اللغز" لبول هرفير، وكان كل ذلك الإنتاج ما عدا المسرحيات والقصة الطويلة التي لم تتم. قد نشر من قبل في جريدة "السفور"

ابتكر محمد تيمور طريقة جديدة في نقد مؤلفي المسرح في المقالات أطلق عليها "محاكمة المؤلفين الروائيين. استعان فيها بموهبته القصصية، وهي محكمات تسودها روح المرح لتقييم توازنا مع هدفها النقدي اللاذع الرامي إلى تخليص المسرحيات من الغناء الذي كان يقحم عليها ومن جوانب سلبية أخرى. وفي ذات الوقت كان ينشر صوراً قصصية بعنوان "خواطر" و"مذكرات باريس". وأشرف على تحرير جريدة السفور مع شقيقه محمود تيمور. وكانت السفور أسبوعية أصدر منها الشقيقان ١٥ عدداً.

له في تاريخ التمثيل مقالات تؤرخ للتمثيل في فرنسا ومصر. ويتميز مسرحه بالواقعية في اختيار الموضوع رغم أرستقراطية طبقته، وبالقدرة على صياغة المسرحية دون مغالاة أو حشو. كما تتسم باستخدام العمامة وكان يقدر المسرحية بحسب موضوعها وكانت معظم شخصياته المسرحية من الطبقة الأرستقراطية.

محمود تيمور (١٨٩٤-١٩٧٣)

قصاص وروائي مصري ينحدر من أسرة عريقة هي العائلة التيمورية. ولد في ١٦ يونيو ١٨٩٤ في حي درب سعادة الذي يقع بين الموسكي وباب الخلق بالقاهرة. انتقلت أسرته إلى ضاحية "عين شمس" حيث عاش حياة ريفية، ثم عادت الأسرة لتسكن بحي الحلمية حيث فنات الموظفين والميسورين. وأثناء ذلك كان يسافر إلى الريف يقضي فيه الإجازات الصيفية فيختلط بالفلاحين يعيش حياتهم ويسمر معهم.

يرى تيمور أن هناك عوامل كثيرة تضافرت على تشكيل تكوينه النفسي والفكري، منها أثر والده أحمد تيمور باشا ثم أثر أخيه محمد تيمور الذي توفي ولم يتم الثلاثين. ثم أثر الحوادث الخاصة التي حولت مجرى حياته مثل إصابته بحمى التيفوئيد التي حالت دون استئناف دراسته الجامعية. بالإضافة إلى مطالعته في الأدب العربي المعاصر والأدبين الفرنسي والروسي. حين أصبح تيمور قادرا على القراءة وجد نفسه منجذبا إلى قراءة المنفلوطي، وشعر المعاصرين لا سيما مدرسة المهجر التي تأثر بها في أولى كتاباته فجاء معظم هذه الكتابات من النثر الغنائي ذي النزعة الرومانسية. وعندما عاد شقيقه محمد تيمور من أوروبا كان محملا بشتى الآراء الجريئة داعيا إلى إنشاء "أدب مصري مبتكر"، ووجه أخاه إلى قراءة أعمال مثل "زينب" وغيرها مما يتمشى مع دعوته.

في عام ١٩٢٥ أصدر أولى مجموعاته القصصية "الشيخ جمعة". وتوالت بعدها مجموعاته وهي "عم متولي" (١٩٢٧)، "الشيخ سيد العبيط" "رجب أفندي" "الحاج شلبي"

أبرز كتاب القصة القصيرة ٥٣

(١٩٢٨) "الشيخ عفا الله" (١٩٣٦)، التي أعاد نشرها بعنوان "زامر الحي" (١٩٥٥)، "قلب غانية" (١٩٣٧)، "فرعون الصغير" (١٩٣٩)، "مكتوب على الجبين" (١٩٤١)، "قال الراوي" (١٩٤٢)، "شفاه غليظة" (١٩٤٦)، "خلف اللثام" (١٩٤٨)، وأعاد نشرها بعنوان "دنيا جديدة" (١٩٥٧) "بنت الشيطان" (١٩٤٢) وأعيد نشرها بعنوان "الشيطان يلهو"، "إحسان لله" (١٩٤٩)، "كل عام وأنتم بخير" (١٩٥٠)، "أبو الشوارب" (١٩٥٣)، "نبوت الخفير" (١٩٥٨)، "تمر حنة"، "عجب" (١٩٥٩)، "أنا القاتل" (١٩٦١)، "انتصار الحياة" (١٩٦٣)، "البارونة أم أحمد" (١٩٦٧)، "أبو عوف" (١٩٦٩)، "زوج في المزاد" (١٩٧٠).

ومن رواياته "الأطلال" (١٩٣٤) وأعاد نشرها بالفصحى بعنوان "شباب وغانيات" (١٩٥١) ثم "نداء المجهول" ١٩٣٩، "سلى في مهب الريح" (١٩٤٤)، "كليوباترا في خان الخليلي" (١٩٤٦)، "ثائرون" (١٩٥٥)، "شمروخ" (١٩٥٨)، "المصاييح الزرق" (١٩٦٠)، "معبود من طين" (١٩٦٩).

ومن دراساته الأدبية "فن القصص" (١٩٤٥) "مشكلات اللغة العربية" (١٩٥٦)، "الأدب الهادف" (١٩٥٩)، "الشخصيات العشرون" (١٩٦٩). ومن أدب الرحلات "خطوات على الشلال"، "شمس وليل"، "أبو الهول يطير"، "جزيرة جيب".

وفي ٥ أبريل ١٩٤٧ احتفل المجمع اللغوي بالقاهرة بانضمام محمود تيمور إلى عضويته. وفي هذا الاحتفال حثه محمد فريد أبو حديد - في الكلمة التقليدية لتقديم العضو الجديد- على الكتابة بالفصحى، فأسرع إلى قصصه التي استخدم فيها العامية ليعيد صياغتها بالفصحى. وهكذا ظهرت الطباعة "المنقحة" لقصصه السابقة، وأثارت جدلا بين النقاد.

أبرز كتاب القصة القصيرة ٥٤

حصل على جائزة الدولة التشجيعية في الأدب عام ١٩٥٤ عن مجموعته "كل عام وأنتم بخير" وجائزة الدولة التقديرية في الأدب عام ١٩٦٢.

يوسف إدريس (١٩٢٧-١٩٩١)

قاص ومسرحي وروائي كبير، يعده معظم النقاد أهم كاتب قصة في العالم العربي. ولد في ١٩ مايو ١٩٢٧ في قرية البيروم بمحافظة الشرقية، لأسرة من الطبقة الوسطى الريفية، كان أبوه يعمل في استصلاح الأراضي.

التحق بكلية الطب بجامعة فؤاد الأول (القاهرة) (١٩٤٩-١٩٥١) وفي الجامعة انغمس في النشاط السياسي للطلاب، وسجن لبضعة شهور (١٩٤٩-١٩٥١). عين طبيبا بالقصر (١٩٥١-١٩٦٠) واعتقل عام (١٩٥٥) ثم أفرج عنه، وانتقل إلى جريدة "الجمهورية" محررا، (١٩٦٠-١٩٧٣) وفي تلك الأثناء، انضم إلى المناضلين الجزائريين في الجبال وحارب في معارك استقلالهم ستة أشهر، كما منع من الكتابة عام ١٩٧٢، بسبب توقيععه على بيان الكتاب الشهير، ضد الرئيس السادات. ثم أصبح واحدا من كتاب الأهرام حتى وفاته في أول أغسطس ١٩٩١.

بدأ يوسف إدريس الكتابة وهو طالب فقد شدته صداقته مع زميله الموهوب، محمد يسري أحمد، إلى عالم الأدب. وقد شجعه على كتابة القصة، ونشر قصته الأولى "أنشودة الغرباء" عام ١٩٥٠ في مجلة القصة التي كان يسري ينشر فيها في هذا الوقت، مع مجموعة من طلاب كلية الطب، مثل مصطفى محمود.

أبرز كتاب القصة القصيرة ٥٥

وفي عام ١٩٥٤ نشر يوسف إدريس مجموعته القصصية الأولى "أرخص ليالي" في سلسلة "الكتاب الذهبي" التي كانت أوسع السلاسل القصصية انتشارا وأكثرها توزيعا في هذا الوقت.

فقد نشر في السنوات الخمس الأولى من نشاطه الأدبي خمس مجموعات قصصية هي "جمهورية فرحات" (١٩٥٦)، و "أليس كذلك" (١٩٥٧)، و "البطل" (١٩٥٧) و "حادثة شرف" (١٩٥٨) ومجموعته الأولى.

وتشكل هذه المجموعات الخمس الأولى وحدة فنية أو مرحلة متماسكة من مراحل تطور القصة القصيرة عنده. وهي المرحلة التي استخدم فيها القصة لتقديم نوع من المسح الاجتماعي للقضايا الاجتماعية والسياسية التي يجب على النظام الجديد تناولها ومعالجتها.

وبرغم اتساع عالمه القصصي في هذه المجموعات فإن بطله الأثير فيها هو الإنسان المقهور المخبط الذي يعيش في عالم يزداد انغلاقا عليه ومن حوله كلما ازدادت محاولته لتوسيع أفقه أو للاستماع بشيء من مسرات.

ولكن عالم يوسف إدريس سرعان ما تغير، بعدما اطلع على أعمال أسلافه ومعاصريه وعلى أعمال الأدباء العالميين. فدخلت الكتابة القصصية عنده في مرحلة جديدة بدءا من مجموعته السادسة "آخر الدنيا" (١٩٦١)، التي شكلت مع المجموعات الثلاث التالية "العسكري الأسود" (١٩٦٢)، و "لغة الآي أي" (١٩٦٦) و "النداهة" (١٩٦٩)، مرحلة مغايرة في عالمه القصصي.

أبرز كتاب القصة القصيرة ٥٦

أما في مجموعاته الأربع الأخيرة "بيت من لحم" (١٩٧١)، و "أنا سلطان قانون الوجود" (١٩٧٨)، و "اقتلها" (١٩٨٢)، و "العتب على النظر" (١٩٨٧) فقد تغيرت بنية القصة القصيرة مرة أخرى وتبدلت معها طبيعة العالم القصصي.

وبالإضافة إلى المجموعات القصصية كتب يوسف إدريس المسرحية بغزارة توضح أن المسرح هو الجنس الفني الأساسي الثاني في حياة يوسف إدريس الأدبية، وهو أكثر الأجناس الأدبية التي مارسها التصاقا بفننه الأثير، القصة القصيرة. لأن ثلاثا من مسرحياته الثماني تعتمد على قصص قصيرة، كما ترتبط مسرحية رابعة بإحدى قصصه القصيرة بشكل ما.

وقد بدأ يوسف إدريس نشاطه المسرحي بكتابة مسرحيتين من فصل واحد عرضتا على المسرح معا هما "ملك القطن" (١٩٥٦)، و "جمهورية فرحات" (١٩٥٦)، وهي مسرحية لقصة العنوان في مجموعته الثانية. أما بقية مسرحياته الست فهي مسرحيات طويلة وهي "اللحظة الحرجة" (١٩٥٨)، و "الفرافير" (١٩٦٤)، و "المهزلة الأرضية" (١٩٦٥)، و "المخططين" (١٩٦٩)، و "الجنس الثالث" (١٩٧١)، و "المهلوان" (١٩٨٣).

وكما تنطوي المجموعات القصصية على أكثر من قسم فإن المسرحيات هي الأخرى يمكن تقسيمها إلى قسمين يضم أولهما المسرحيتين القصيرتين و "اللحظة الحرجة". بينما يشمل ثانيهما باقي المسرحيات الخمس. وتتسم مسرحيات القسم الأول باهتمامها الواضح بالقضية الاجتماعية. وبشخصياتها التي تتميز بالواقعية والثراء.

أبرز كتاب القصة القصيرة ٥٧

بعد ذلك تجيء مسرحية يوسف إدريس العلامة "الفرفير" عام ١٩٦٤، لم تستطع أي من مسرحياته التي أعقبها أن تبلغ شأوها من حيث الانتشار أو الجدل الواسع الذي أثارته.

أما مسرحية "المخططين" فيستشرف فيها المؤلف السقوط المدوي للنظم الشمولية قبل وقوعه بزمن طويل ولذلك تمت مصادرتها.

وأما "الهلوان" آخر مسرحيات يوسف إدريس فهي مسرحية خفيفة من مسرحيات النقد الاجتماعي الساخر تتناول تدهور مصر الاجتماعي والأخلاقي في السبعينيات والثمانينيات.

أما الجانب الثالث من نشاط يوسف إدريس فقد شمل الرواية وبدأ بروايته الأولى "قصة حب" التي ظهرت أولاً في مجموعته القصصية الثانية "جمهورية فرحات" ثم نشرها منفردة بعد ذلك بعنوان (قصة حب) وهو نفس العنوان الذي ظهرت به في المجموعة.

أما الرواية التالية "الحرام" فتعد أفضل أعمال يوسف إدريس الروائية. ويسعى فيها الكاتب إلى فضح مفهوم الحرام، السائد في المجتمع.

أما مقالات يوسف إدريس فقد جمعت في عدد من الكتب، من بينها "بصراحة مطلقة" (١٩٦٨)، و "مفكرة يوسف إدريس" (جزءان ١٩٧٧، ١٩٨٠)، و "أهمية أن نتثقف يا ناس" (١٩٨٦).

يحيى حقي (١٩٠٥-١٩٨٧)

أديب مصري كبير كتب اللوحة القصصية، والمقال القصصي، والقصة والرواية والدراسات النقدية، ولعب دورا كبيرا في دعم حركة الأدب والثقافة بمصر. ولد في السابع من يناير ١٩٠٥ في درب الميضة بجوار سبيل أم عباس، القريب من حي السيدة زينب. كان والداه قارئين الأم تقرأ عليهم صحيح البخاري أو فقرات من الغزالي، والأب يلقى عليهم قصائد المتنبي. والأسرة مشتركة في عدد من الصحف والمجلات الأدبية والثقافية. تخرج في مدرسة الحقوق (١٩٢٥)، وأصبح محاميا لكنه راح يسعى للانتحاق بالنيابة العمومية حتى عين "معاون إدارة" بمركز منفلووط بأواسط الصعيد (١٩٢٧-١٩٢٩). ثم انتقل للسلك الدبلوماسي (١٩٣٠-١٩٥٥). وتنقل في بلدان عربية وأوروبية مختلفة جدة، وتركيا مرتين، وروما وباريس وليبيا، بالإضافة إلى عمله بوزارة الخارجية مديرا لمكتب الوزير لمدة عشر سنوات (١٩٣٩-١٩٤٩). تزوج خلالها وأنجب ابنته الوحيدة "نهي" لكن الزوجة ما لبثت ان توفيت بعد ولادة "نهي" بشهر واحد.

بدأ يحيى حقي في نشر قصصه القصيرة في منتصف عشرينيات القرن العشرين. ونشر أولى قصصه "فلة ومشمش ولولو" في صحيفة الفجر (١٥/٧/١٩٢٦). وتوالي نشر قصصه في "الفجر" ثم في "السياسة" و"السياسة الأسبوعية" و "المجلة الجديدة" التي نشرت له قصته الهامة "البوسطحي" (في ملحق، عام ١٩٣٤)، والتي تشكل علامة بارزة في تطور كتابات يحيى حقي القصصية، وهي إحدى قصص مجموعة "دماء وطن" التي تصور حياة أهل الصعيد الأوسط، الذين تركوا أترأ عميقا في وجدان يحيى حقي.

أبرز كتاب القصة القصيرة ٥٩

ومن الملاحظة أن معظم إن لم يكن كل، ما كتب يحيى حقي جاء نتيجة تجارب شخصية عاشها، أو شاهدها. وتعد "البوسطي" نقلة نوعية هامة في نتاج يحيى حقي.

وقد ترجمت "قنديل أم هاشم" إلى لغات أوروبية عديدة، كما ترجمت روايته القصيرة الأخرى "صح النوم" (١٩٥٤) إلى الإنجليزية.

يتبقى من نتاج يحيى حقي الإبداعي مقالاته أو صوره القصصية، أو لوحاته القلمية، كما يسميها هو، وهي تغطي معظم إنتاجه الذي صدر بعد "صح النوم". والأمر الهام الذي تحققه هذه اللوحات أو المقالات هو أنها تخلق جوا من الألفة والتعارف المباشر بين القارئ وبين يحيى حقي نفسه إذ هو لا يتخفى هنا وراء سارد أو ضمن شخص متخيلة، شأن القصص، وإنما هو يتحدث مباشرة إلى القارئ.

وقد صدرت ليحيى حقي في هذا القالب كتب "خليها على الله" (١٩٥٦)، الذي يعده الكثيرون الآن أفضل كتب المؤلف على الإطلاق، و"دمعة فابتسامه" (١٩٦٥)، و"ناس في الظل" (١٩٧١). وغيرها.

ومن مؤلفاته النقدية "خطوات في النقد" (١٩٦١). و"عطر الأحباب" (١٩٧١)، وكتابه الصغير القيم "فجر القصة المصرية" (١٩٥٩) الذي يعد المرجع الهام، والأكثر شيوعا لجيل رواد القصة القصيرة الاجتماعية، أعضاء المدرسة الحديثة وصحيفتها "الفجر".

كتب يحيى حقي مقدمات أعمال كثيرة للأدباء الذين كانوا شبانا في الستينيات والسبعينيات، كما نشر عددا من المترجمات، من بينها رواية "الدكتور كنوك" لجول رومان،

أبرز كتاب القصة القصيرة ٦٠

سلسلة روائع المسرح (وزارة الثقافة)، وكتاب ديزموند ستيوارت عن "القاهرة" (١٩٦١)،
واشترك في ترجمة رواية باسترنالك "دكتور زيفاجو" (مختارات كتابي) لحلمي مراد وفي ترجمات
أخرى متنوعة.

وقد حصل على جائزة الدولة التقديرية (١٩٦١)، وهو محل حب وتقدير كل الأجيال
التي عاصرته أو أعقبته.

زكريا تامر (١٩٣١)

قاص سوري يعد من أشهر الكتاب العرب للقصة القصيرة. ولد في دمشق، وتلقى فيها
تعليمه الابتدائي، ثم ترك متابعة التحصيل العلمي، وانخرط في ممارسة مهنة يدوية كثيرة،
أشهرها الحدادة قبل أن ينتقل إلى ممارسة العمل الصحفي، فعمل رئيساً لتحرير مجلة
(المعرفة)، وعمل أيضاً في مديرية التأليف والترجمة في وزارة الثقافة السورية، وعمل رئيساً
لتحرير مجلة "الموقف الأدبي" ورئيساً لتحرير مجلة (أسامة) للأطفال، ونائباً لرئيس اتحاد
الكتاب العرب، وعمل في الصحافة الخليجية، ويقدم حالياً في بريطانيا.

يعد إنتاجه القصصي عصياً على التصنيف الدقيق المتعارف عليه، لأن أسلوبه في
الكتابة نسيج تختلط فيه الواقعية بالإغراق في الترميز، وباللعب اللغوي المتقن، والسخرية
السوداء، وبالعبثية أحياناً أخرى. وقصصه التي وصفت أيضاً بأنها تنتهي إلى ما يسمى ب(السهل
الممتنع) أثرت في أجيال كتاب القصة القصيرة العربية داخل سوريا، وخارجها. يبدو بناء

أبرز كتاب القصة القصيرة ٦١

قصصه في غاية البساطة واليسر. وقد ذكر صديقه محمد الماغوط، أن زكريا، بقي حدادا حتى وهو يكتب القصة القصيرة، فظل يواجه العالم بمطرقة الحداد ولكنه كان عالما من الفخار.

لفت الأنظار إليه منذ نشر مجموعته القصصية الأولى "صهيل الجواد الأبيض" عام ١٩٦٠، ولكن قصصه في مجموعتي "دمشق الحرائق" (١٩٧٣)، و"النمور في اليوم العاشر" (١٩٧٨) كانت الأنضج فنيا، وكانت الأعمق تأثيرا.

تناول قصصه بشكل عام، وعوالم الحارة الدمشقية الشعبية القديمة، وشكلت لديه قضية الحربية، بمستويها العام والشخصي، وعلى الرغم من أن أعماله تكاد تقتصر على تناول الشخصيات (الشعبية)، من بسطاء، ومغمورين، ومقموعين، وسواهم، فقد اكتسبت شخصيات زكريا تامر، عجائبية، دفعت بعض الدارسين إلى الزعم بأنه يحمل الشخصيات (الشعبية) ما تعجز موضوعيا عن حمله. وقد يخرج في بعض قصصه عن عالم الحارة الذي أدى إلى انتشار قصصه في البداية، ليصبح عالم الرمز والأمثلة، كما يلمس القارئ في قصة "النمور في اليوم العاشر" التي تناول قضية المواطن النمطي في بلدان القهر الاجتماعي والقمع السياسي، الذي تسعى أجهزة السلطة إلى ترويضه، وإخضاعه لإرادتها، من خلال اعماد سياسة التجويع، واضغط عليه، بلقمة عيشه وعيش أبنائه، مثلما يحدث في عمليات ترويض النمور.

وبين مجموعاته الهامة تبرز مجموعتا "دمشق الحرائق"، دمشق (١٩٧٣)، و"النمور في اليوم العاشر"، بيروت (١٩٧٨) وله أيضا: "نداء نوح"، لندن (١٩٩٤)، و"سنضحك" بيروت (١٩٩٨)، و"الحصرم"، بيروت (٢٠٠٠)، و"هجاء القتل لقاتله، بيروت (٢٠٠٣)، و"القنفذ"

أبرز كتاب القصة القصيرة ٦٢

(٢٠٠٥، ومن قصصه للأطفال: "لماذا سكت النهر"، دمشق (١٩٧٣)، وقالت الوردة للسنونو"، دمشق (١٩٧٧).

ترجمت له قصص كثيرة إلى لغات العالم الحية، وأدخل بعضها إلى المناهج المدرسية السورية، في مرحلة ما قبل الجامعة، وكانت قصصه مدار دراسات أكاديمية للحصول على درجتي الماجستير والدكتوراه في غير جامعة عربية.

ذو النور أيوب (١٩٠٨-١٩٨٨)

ولد القاص والروائي العراقي ذو النون أيوب العبد الواحد وتعلم في مدارس الموصل حتى عام ١٩٢٧. ورشح لبعثة دراسية في الخارج (١٩٢٩) وحجبت عنه بزعم عدم صلاحيته صحيا. ويذكر أنه لم يختر دار المعلمين العالية إلا لقصر مدة الدراسة فيها، ولضعف حالتهم المادية بعد وفاة أبيه (عز الدين، ملحق ٢٨١). وعقب تخرجه اشتغل بالتدريس والإدارة في مدارس مختلفة. وظهرت له أول قصة بعنوان "صديقي" في جريدة الطريق (١٩٣٥\٦\٢٥)، توالي ظهر قصصه التي احتوت - فيما احتوت - هموم المعلمين والمدرسين في تلك الفترة.

وفي عام ١٩٣٩ صدرت رواية: "الدكتور إبراهيم" التي تشكل في رأي الكثيرين أول رواية عراقية ناضجة وبطلها شخصية انتهازية منافقة تسخر كل موقف لتحقيق مكاسبها الخاصة: دون أدنى اهتمام بمصالح الآخرين وتفخر بسيرتها الشريرة. وقد عانى أيوب نفسه من مثل هذا المثقف. فكان الرواية بشكل ما تقوم على الخبرة الشخصية. ورواية أيوب فريدة في خلوها من "الأدبية"، وامتاحتها لحرقة السرد وشرحها لهذه الحرقة، ووعمها الذاتي بها.

أبرز كتاب القصة القصيرة ٦٣

وقد أصدر أيوب في العقدين الخامس والسادس من القرن الماضي عددا كبيرا من مجموعات القصص آثار بعض قصصها (نحو القمة" غضب بعض الساسة (فاضل الجمالي) وانتصر فيبعضها لقضية المرأة (الضحايا) كما نشر بعض الروايات (اليد والأرض والماء، ١٩٤٨)، ثم انتقل للعيش في فيينا (١٩٦٠) ومن هناك كتب رواية "وعلى الدنيا السلام" (١٩٧٢) بعد هزيمة ١٩٦٧ وحملت رؤيته لما حدث. وتوفي ذو النون أيوب عام ١٩٨٨. وقد نقلت بعض رواياته وقصصه إلى الروسية، والإسبانية، والرومانية، والهنغارية

فاطمة يوسف العلي

فاطمة يوسف عبد الرحمن العلي صحفية كويتية وكاتبة قصص قصيرة من مواليد عام ١٩٥٣، بدأت ممارسة العمل الصحفي في سن مبكرة، لذا أطلق عليها لقب الصحفية الصغيرة، حصلت على الليسانس من قسم اللغة العربية من جامعة القاهرة عام ١٩٨٧، ثم على دبلوم في الأدب العربي من جامعة القاهرة عام ١٩٨٩، في عام ١٩٦٩، التحقت بدار الرأي العام الكويتية، ومجلة الهضة الأسبوعية حيث حررت لعدة سنوات عموداً أسبوعياً بعنوان "مرة في الأسبوع"، عالجت فيه العديد من القضايا الاجتماعية والانتقادية والثقافية، كما نشرت في جريدة الديلي نيوز الصادرة بالإنجليزية، والتي كانت تصدر عن دار الرأي العام، انتقلت لجريدة القبس الكويتية في بداية صدورهما، وكتبت فيها مقالة شبه يومية بعنوان "كلمة تقال" على مدى سنوات طويلة، بالإضافة لإشرافها على الملحق الثقافي الصادر عن دار القبس نفسها، والذي يتضمن حوار الأدباء، والشعراء، والنقد والرأي والمقالة.

أبرز كتاب القصة القصيرة ٦٤

قامت بإعداد وتقديم العديد من البرامج الإذاعية والتلفزيونية، عملت عضو رابطة الأدباء في الكويت، وعضو اللجنة الثقافية، وعضو جمعية الصحفيين الكويتية، وعضو منظمة حقوق الإنسان، وعضو اتحاد الصحفيين العالميين، وعضو مجلس إدارة ومؤسس في الجمعية النسائية العربية قبل حلها، وعضو الجمعية الثقافية الاجتماعية النسائية بالكويت، وعضو نادي الفتاة بالكويت، شاركت وساهمت في العديد من المؤتمرات الأدبية والفكرية والثقافية، والمؤتمرات النسائية والسياسية في الكويت والوطن العربي والعالمي، منها: مؤتمر نيروبي العالمي للمرأة، ومؤتمر موسكو العالمي للمرأة، ومؤتمرات الهند وغرب تونس، ومثلت الكويت في العديد من المؤتمرات في الوطن العربي، ومثلت جمعية الصحفيين الكويتية في مؤتمر الصحفيات العربيات في القاهرة في عام ١٩٧٥ واختيرت نائبة للرئيسة أمينة السعيد، كان لها نشاطها ضمن الاتحاد النسائي العربي العام حتى الغزو العراقي للكويت، ثم من خلال المؤتمرات النسوية العربية والعالمية، إبان الغزو العراقي للكويت تطوعت في العمل الشعبي والوطني أثناء وجودها مع أسرته في دولة البحرين، وتطوعت من الناحية الإعلامية والكتابية، نشرت قصصها القصيرة في المجالات والصحف العربية والمحلية، وشاركت في الأمسيات القصصية، كما أذيعت بعض قصصها وأدرجت ضمن المنهج الدراسي للطلبة.

فازت بجائزة أهداها للقصة القصيرة عام ١٩٩٥ وفازت بجائزة المرأة المتميزة في كتابة

قضايا المرأة عام ٢٠٠٨ من صندوق الأمم المتحدة لقضايا المرأة وجامعة الدول العربية.

صدر عنها كتاب للناقد المصري حسن حامد بعنوان "فاطمة يوسف العلي رائدة الرواية

الكويتية النسوية والقصة التشكيلية"، تناول قصتها الطويلة (وجوه في الزحام) العديد من

أبرز كتاب القصة القصيرة ٦٥

النقاد والكتاب في الكويت والوطن العربي منهم: الدكتور محمد حسن عبد الله: الصحافة في ربيع قرن - كشف تحليلي (١٩٧٤) والناقد إسماعيل فهد إسماعيل: القصة العربية في الكويت - دراسة نقدية (١٩٨٠) والناقد رجاء النقاش: الملتقى الأدبي للقصة القصيرة في دول مجلس التعاون يناير (١٩٨٩) الكويت والدكتور طه وادي، أستاذ الأدب جامعة القاهرة: "المرأة والقصة القصيرة في الوطن العربي".

ومن أعمالها الأدبية

١. وجوده في الزحام، مطبعة حكومة الكويت - وزارة الإعلام، ١٩٧١
٢. ثرثرة بلا ضفاف، ٢٠١٣،
٣. عبد الله السالم - رجل عاش ولم يمت (دراسة)، مطبعة حكومة الكويت - وزارة الإعلام، ١٩٧٣
٤. صورة المرأة في القصة الكويتية إبان مرحلة النفط" (دراسة)، ١٩٨٤
٥. وجهها وطن (مجموعة قصصية)، ١٩٩٥
٦. دماء على وجه القمر (مجموعة قصصية)، ١٩٩٩
٧. تاء مربوطة (مجموعة قصصية)، ٢٠٠١
٨. سميرة وأخواتها (مجموعة قصصية)، ٢٠٠٥
٩. الحراك الاجتماعي في الكويت (دراسة)، ٢٠٠٦
١٠. المرأة الساردة في الرواية العربية، ٢٠١٤

وداد سكاكيني

وداد بنت محمد سكاكيني كاتبة وناقدة رائدة من مواليد صيدا في لبنان، تخرجت في كلية المقاصد الإسلامية في بيروت، وقد أمضت عشر سنوات من حياتها في التعليم، فقد عملت في المعهد العالي للبنات، ثم أقامت في سورية و مصر مع زوجها الأديب زكي المحاسني، بدأت حياتها الأدبية في مطلع الثلاثينيات، نشرت معظم أعمالها في القاهرة، وتوفيت في دمشق.

تنوعت أعمالها بين الكتابة الإبداعية (قصة قصيرة، رواية، مقالة) والدراسة الأدبية والنقدية والتاريخية، لكن الملاحظ أنها اهتمت بأدب المرأة وتاريخها وسلطت الضوء على أبرز المبدعات والشخصيات النسوية التاريخية في الشرق والغرب.

تعدّ رائدة في مجال القصة القصيرة النسوية، لها خمس مجموعات قصصية: «مرايا الناس» و«بين النيل والنخيل» و«الستار المرفوع» و«نفوس تتكلم» و«أقوى من السنين» (بين عامي ١٩٤٥ و١٩٧٨)، حرصت فيها على الواقعية وعلى التغلغل في أعماق الشخصية، وقد ساعدتها مهنة التدريس على تقديم صوت المعاناة بصدق وعفوية، مما يقرب بعض قصصها مثل «الستار المرفوع» من فن السيرة الذاتية.

كما تعدّ من الرائدات في مجال الرواية النسوية السورية، إذ كتبت مع بداية الخمسينيات رواية «أروى بنت الخطوب» وفيها بدأت تتجاوز حرفية الواقع، من دون أن تتجاوز المصادفات والمبالغات والاستطرادات التي تسيئ إلى جمالية الرواية، فتجعله فضاء أقرب إلى الافتعال محكوماً بلغة تقليدية.

أبرز كتاب القصة القصيرة ٦٧

بعد سنتين كتبت روايتها الثانية «الحب المحرم» (١٩٥٢) وعلى الرغم من استخدام المؤلفة، غالباً، لغة تحمل بصمات عصر الانحطاط، فهي ذات مستوى دلالي ثابت، غير أنه يلاحظ بوادر لغة حيوية تجسد عوالم الأعماق بكل صراعاته بين شهوات النفس والنزوع الأخلاقي.

ومن مؤلفاتها أيضاً: من المقالات: «الخطرات» (١٩٣٢)، «إنصاف المرأة» (١٩٥٠)، «سطور تتجاوب»، مقالات في الأدب والنقد (١٩٨٧)، ولها في النقد «سواد في بياض» (١٩٥٩)، «نقاط على الحروف» (١٩٦٠)، «شوك في الحصيد» (١٩٨١)، أما الدراسات فلها فيها «أمهات المؤمنين» (١٩٤٥)، «العاشقة المتصوفة: رابعة العدوية» (١٩٥٥)، «نساء شهيرات من الشرق والغرب» دراسة بالاشتراك مع تماضر توفيق (١٩٥٩)، «قاسم أمين» (١٩٦٥)، «عمر فاخوري» (١٩٧٠)، «سابقات العصر وعياً وفتناً وسعياً» (١٩٨٦).

قال الناقد المصري د. محمد مندور عنها: "كتبت وداد سكاكيني القصة والرواية قبل أن تشيع في وطننا العربي فكرة الالتزام بالأدب، فقد اهدت في أدها القصصي إلى هذه الفكرة بوحى من ذاتها وإحساس صادق بحاجات المجتمع العربي

الأديبة السورية فمر كيلاني وصفت عمل الكاتبة سكاكيني الإبداعي بقولها: "لم أعرفها وأنا في مطلع شبابي الأدبي إلا على الورق، قرأت لها، كما قرأت لأديبات جيلها من مصر خاصة، وتوقفت عند عدد من كتبها، وما نسيتها قط" أروى بنت الخطوب.. بين النيل والنخيل.. أمهات المؤمنين" وسحرت ببلاغتها ونصاعة بيانها وقوة تعبيرها. وتابعت كثيراً من مقالاتها النقدية

أبرز كتاب القصة القصيرة ٦٨

ومناظراتها الأدبية مع البارزين من النقاد والكتّاب في الوطن العربي فأعجبت بشخصيتها المتينة".

حيدر حيدر (١٩٢٦ -)

روائي سوري، ولد في قرية حصين البحر التي تقع على هضبة مطلة على البحر قرب مدينة طرطوس. وحيث تلقى تعليمه الابتدائي والمتوسط، ثم تخرج في دار المعلمين في حلب معلما عام ١٩٥٤، ونشر أولى قصصه "نورا" وهو اتحاد الكتاب العرب وأصبح عضوا في مكتبته التنفيذية. تنقل للعمل في الجزائر ولبنان وقبرص ليعود إلى سوريا عام ١٩٨٥. ليستقر في قريته متفرغا للكتابة والعمل الثقافي.

بدأ حياته الثقافية قاصا قبل أن ينصرف إلى كتابة الرواية. وقد وصفت قصصه الصيرة بأنها قصائد لا تفتقر إلا إلى الموسيقى والإيقاع. وقد امتد هذا المنحى الشعري لديه إلى معظم رواياته فهو يمتلك لغة، تتمتع بما تتمتع به لغة الشعر من كثافة وثناء.

لفت النظر إليه منذ بدأ في نشر قصصه الأولى، وقد حوّلت رواية "الفهد" (١٩٦٨) إلى فيلم سينمائي أخرجه نبيل المالح، ونال عليه عدة جوائز في سوريا وأوروبا.

غادر سوريا، مرتين، الأولى للعمل في الجزائر، والثانية بسبب ملاحظته سياسيا، ومكنه عيشه في بيروت وقبرص والجزائر من الامتداد لعوالمه القصصية والروائية إلى خارج النطاق السوري، بمستوياته الاجتماعي والسياسي. فأنجز قصتين طويلتين هما "حقل أرحوان" و"التموّجات" (بيروت ١٩٨٢)، ومجموعة "الفيضان"، (بغداد ١٩٧٥) حول معاناة الشعب

أبرز كتاب القصة القصيرة ٦٩

الفلسطيني في مرحلتين مهمتين من نكبته، ١٩٤٨، ١٩٦٧، وتعكس قصص مجموعة "الوعول"، (بيروت ١٩٧٨) عوالم مختلفة، جزائرية، وفلسطينية، وسورية. وقصة "الوعول"، أطول قصص المجموعة، تروي قضية القمع السياسي، ومطاردة الذين يحملون آراء سياسية مخالفة، وتنكيل بهم.

أثارت روايته المعروفة "وليمة لأعشاب البحر" (قبرص ١٩٨٣)، ضجة إعلامية، بعد طبعها التالية في مصر، وتحدثت الرواية بشكل أساسي، عن معاناة الطاردين السياسيين.

وقد نشر حيدر حيدر أعمالاً أخرى قصصية وروائية، من بينها: حكايا النورس المهاجر" (قصص) (دمشق، ١٩٦٨) "الزمن الموحش" (رواية)، (بيروت ١٩٧٣)، و"مرايا النار" (رواية)، (بيروت ١٩٩٢)، و"مراثي الأيام" (رواية، (دمشق ٢٠٠١).

حظيت معظم أعماله بعدد من الطباعات، وترجمت قصص كثيرة له إلى بعض اللغات الأوروبية.

سعاد عبد الرحمان الولايي

سعاد عبد الرحمان راشد الولايي هي داعية وأديبة كويتية. ولدت في مدينة الكويت عام ١٩٥٤ م لأبوين كويتيين. أمها غنيمية ناصر الشايحي، وكان لأبويها اهتمام بالعلم والثقافة. واهتم والدها بالدعوة الإسلامية منذ مطلع شبابه. ورأس فيما بعد تحرير مجلة البلاغ الإسلامية الصادرة من الكويت. وكانت سعاد المولود الأول لوالديها وتلاها لاحقا ستة من الأبناء الذكور- توفي أحدهم رضيعا- وثلاث من الإناث.

أبرز كتاب القصة القصيرة ٧٠

تلقت سعاد تعليمها الابتدائي والمتوسط في مدرسة الزهراء الكائنة في منطقة القبلة وهو من الأحياء القديمة في مدينة كويت. وأكملت دراستها الثانوية في ثانوية قرطبة. وفي عام ١٩٧٣ م التحقت بجامعة الكويت وتخصصت بدراسة الأدب الإنجليزي.

بعد تخرجها في عام ١٩٧٨ م عملت مدرسة للغة الإنجليزية لمدة عامين في مدرسة غرناطة ثم انطلقت بعدها لمدرسة الإسراء وكانت تشارك في أنشطة جمعية الإصلاح وهي من أشهر الجمعيات الإسلامية في الكويت.

في عام ١٩٨١ م تزوجت جمال محمد الزنكي الذي كان مبعوثاً من قبل جامعة الكويت للحصول على شهادة الدكتوراه من الولايات المتحدة. وسافرت معه حيث حصلت على شهادة الماجستير وهناك أنجبت بكرها المثنى عام ١٩٨٣ م.

وشاركت في الأنشطة الإسلامية التي كانت تشرف عليها رابطة الشباب المسلم العربي في أمريكا وكندا. وتولت رئاسة اللجنة النسائية فيها لمدة عام. وأثناء إقامتها في أمريكا أنجبت أيضاً ولداها ثم محمد.

في عام ١٩٨٦ م انتقل الزوج لبريطانيا لإكمال دراسته. شاركت خلال إقامتها هناك في أنشطة جمعية الطلبة المسلمين وتولت رئاسة مؤتمرها الخامس والعشرين الخاص بالنساء.

في عام ١٩٩٠ م عادت مع أسرتها للكويت بعد حصول الزوج على درجة الدكتوراه. أصدرت روايتها الأولى (وا كويتها) بعد تحرير الكويت. وتولت تحرير صفحة الأسرة في مجلة المجتمع الكويتية. وفي ذات الوقت كان لها زاوية أسبوعية في صحيفة الوطن الكويتية بعنوان

أبرز كتاب القصة القصيرة ٧١

وقفة. وكانت أيضا من واعظات جمعية الإصلاح في الكويت. وقد نهجت خطأ جديدا في مسيرتها الدعوية حين شرعت في عام ١٩٩٤ م بدراسة العلم الشرعي على يد مجموعة من مشايخ الكويت. فدرست المذهبين الحنبلي والمالكي إلى جانب دراستها لمواد شرعية أخرى.

وقامت بدراسة النحو سنوات عدة على يد الدكتور إبراهيم محسن. في عام ١٩٩٧ م عملت مديرة للشؤون النسائية للجنة التعريف بالإسلام وهي اللجنة المتخصصة في دعوة المقيمين بالكويت من غير الناطقين باللغة العربية للإسلام. وخلال عملها قامت بتدريس الفقه باللغة العربية والإنجليزية لداعيات اللجنة.

وهناك جانب أخرى أثار اهتمامها وهو النفس البشرية وتداخلاتها وما قد يطرأ عليها من أعراض نفسية. فكان إن اتجهت لدراسة علم "أنماط الشخصية" الذي أرست دعائمه الأمريكية ايزابل مايرز. وقد قامت بدراسته على يد الطبيب الكويتي الدكتور موسى الجويسر. ومن أعمالها:

١. واكويتاه- رواية
٢. وانقشع الضباب- رواية
٣. أريد أما- قصص قصيرة
٤. أزواج وزوجات- قصص قصيرة
٥. أماه.. هل فات الأوان؟- تجارب تربوية
٦. كويتي كويتية- رواية
٧. نعلم كيف نتعلم- مترجمة

٨. الداعية التي نريد- دعوى

٩. رسالة في مجالس العزاء

١٠. دع عنك التفكير- بالاشتراك مع الكاتبة مها البحر-

١١. نوف- الرواية

١٢. سلسلة أشرطة مغامرات خالد لتعليم الفقه للأطفال

الطاهر وطار (١٩٣٦)

ولد الروائي الجزائري، الطاهر وطار في صدارتا، بالشرق الجزائري. درس بمدرسة ابن باديس بالعاصمة الجزائرية قبل أن يرتحل إلى تونس ليلتحق سنة ١٩٥٤ بجامع الزيتونة غير أن النضال السياسي والنشاط الصحفي والإبداع القصصي والروائي أخذت وطارا الطالب من مقاعد الدراسة.

عرفه القراء منذ خمسينيات القرن الماضي من خلال نشاطه الأدبي في الصحف التونسية، وبخاصة في جريدة "الصباح"، حيث نشر أول قصة له سنة ١٩٥٥. بعد استقلال الجزائر ترك وطار تونس إلى أرض الوطن والتحق بالعمل السياسي في جبهة التحرير الوطني. ولم يترك العمل الصحفي بل أسس جريدة "الأحرار" وهي أول جريدة وطنية، وامتد نشاطه إلى الصحافة المرئية والمسموعة فعين مديرا للإذاعة والتلفزة الجزائرية.

أبرز كتاب القصة القصيرة ٧٣

يعدّ الطاهر وطار أحد المؤسسين للرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية. وقد انعكست ثقافته الإسلامية والتراثية الأصيلة على نصوصه مثلما تأثرت هذه الأعمال بتوجهاته الأيديولوجية باعتباره أحد المثقفين الماركسيين التقدميين، غير أن رواياته لم تبقى سجينة الواقعية الاشتراكية بل انفتحت على مناخات فنية أخرى لتستفيد من السريالية والعجائبية، وهذا ما جعلها نصوصا متجددة ومتحررة.

يرى الطاهر وطار في الكتابة انتحارا، فهي تعلم نزلها كيف يدفع دون أن يقبض وكيف يعيش خائفا وكيف يجوع ويجوع أطفاله وكيف يسكن العزلة.

له مساهمات في عدة سيناريوهات لأفلام جزائرية حيث حول قصة من مجموعة دخان في قلبي إلى فيلم من إنتاج التلفزة الجزائرية. كما حُوت قصة الشهداء يعودون هذا الأسبوع إلى مسرحية نالت الجائزة الأولى في مهرجان قرطاج. مثلت مسرحية الهارب في كل من المغرب وتونس.

صدر له في القصة القصيرة: "دخان في قلبي" (تونس ١٩٦٢)، "رمانه" (قصة) الشركة الوطنية للنشر والتوزيع (الجزائر ١٩٨١)، "الشهداء يعودون هذا الأسبوع" المؤسسة الوطنية للكتاب (الجزائر ١٩٨٤).

وله في الرواية: "اللاز" الشركة الوطنية للنشر والتوزيع (الجزائر ١٩٧٢)، "الزئزال" (بيروت ١٩٧٤). "عرس بغل" دار ابن رشد (بيروت ١٩٧٨)، "العشق والموت في الزمن الحراشي" دار ابن رشد (بيروت ١٩٨٠)، "تجربة في العشق" دار الاجتهاد (الجزائر ١٩٨٩)، "الشمعة

أبرز كتاب القصة القصيرة ٧٤

والدهاليز" الجاحظية (الجزائر ١٩٩٥)، "الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي" الجاحظية
(الجزائر ١٩٩٩).

وله في المسرح: "على الضفة الأخرى" (تونس ١٩٥٨) "الهارب" (تونس ١٩٦٠).

الدرس ٣

أبرز الروائيين

نجيب محفوظ (١٩١١ - ٢٠٠٦)

روائي مصري كبير، يعد في رأي معظم النقاد أعظم الروائيين العرب، ولد في ١٩١١\١٢\١١ في حي الجمالية بالقاهرة في أسرة متوسطة الحال. التحق نجيب محفوظ بكتاب "الشيخ البحري" في حي الجمالية وعمره أربع سنوات.

التحق نجيب بالمدرسة الابتدائية ثم الثانوية وأظهر تفوقا في التاريخ واللغة العربية والعلوم والحساب. لكنه كان ضعيفا في اللغات الأجنبية، وفي التاسعة عشرة قرر أن يدرس الفلسفة. وحين وحد صعوبة فيتبع المحاضرات، التي كانت تلقى في ذلك الوقت باللغتين الإنجليزية والفرنسية، نصحه أخوه بترجمة كتاب من الإنجليزية إلى العربية عسى أن تتحسن إنجليزته، وكان ثمرة هذه المحاولة نشر كتاب "مصر القديمة" لمؤلفه جيمس بيكي الذي طبعته المجلدة الجديدة".

وبعد التخرج، في سنة ١٩٣٤، أخذ في الإعداد لدراسة الماجستير لمدة عام واختار موضوعا لرسالته "مفهوم الجمال في الفلسفة الإسلامية". تحت إشراف الشيخ مصطفى عبد الرزاق. لكنه فيعام ١٩٣٦ اختار طريق الأدب.

عين في سكرتارية الجامعة (١٩٣٤-١٩٣٨) لينقل بعد ذلك إلى وزارة الأوقاف ويعمل بها حتى عام ١٩٥٤، حين نقل إلى مصلحة الفنون ليعمل مديرا للرقابة الفنية، فمديرا لمؤسسة

دعم السينما، فمستشار الوزير الثقافة لشتون السينما، حتى أحيل إلى التقاعد في سنة ١٩٧٢)، من حسن الحظ أن الموهبة الفذة التي منحها الله لنجيب محفوظ، قد غرست في تربة مصرية شديدة الخصوبة. ومن حسن الحظ أيضا أنه درس بالجامعة المصرية في الثلاثينيات حين كان أساتذته الأجانب والمصريون في القسم، وفي سائر الأقسام، قمما في علمهم وسلوكهم: أستاذه المصري المباشر كان مصطفى عبد الرزاق. وأساتذة الأقسام الأخرى: طه حسين، وأحمد أمين، ومحمد عوض محمد، وشفيق غريبان وعلي مصطفى مشرفة.

كتب نجيب محفوظ ستا وثلاثين رواية وزهاء خمس عشرة مجموعة قصصية، ومقالات وحوارات كثيرة، لكن إنجازه الأعظم يتمثل في مجال الرواية. وقد تنوعت موضوعات نجيب محفوظ في رواياته (وقصصه) طبقا لاختلاف رؤيته واهتماماته في المراحل المختلفة من حياته. في البداية كتب الرواية التاريخية "الفرعونية" لانهاره بالحضارة المصرية القديمة، تحت تأثير المناخ الثقافي الذي كان سائدا في مصر آنذا. لكنه بعد روايته التاريخية الثالثة كفاح طيبة، التي قدمته إلى القراء بمقالة متحمسة، كتبها الناقد سيد قطب انغمس في أحوال المجتمع المعاصر، وكتب عددا من الروايات بدءا من "خان الخليلي" وانتهاء بالثلاثية، يركز فيها على الطبقة المتوسطة الصغيرة وهي الطبقة التي تقدر القيم وترعى التقاليد ويرزح أبناؤها عادة تحت طائفة كبيرة من القيود والضغوط الاجتماعية المتنوعة. وهي لذلك تعتبر مجالا خصبا للانحرافات والعقد التي يقدم لنا منها محفوظ الشيء الكثير في "زقاق المدق". وفي "بداية ونهاية"، ثم في "الثلاثية".

أبرز الروائيين ٧٧

بعد "الثلاثية" تبد رحلة فكرية وفنية جديدة تنقل القارئ إلى تقلص نفوذ الدين أمام تقدم العلم، في "أولاد حارتنا" التي تقدم هذه المقولة بالشكل "الأليجوري" أو "الأمثولي" لأول مرة في الأدب العربي الحديث.

هزيمة (١٩٦٧) تجلّت في عدد من مجموعات القصص، تبدأ من خمارة القط الأسود" وتنتهي "بالجريمة". وفيها جميعا يختفي المنطق والمعقول ويسود الرمز الذي يتطلب جهدا لتدبره وفهمه، وفي كل المجموعات "تحت المظلة" و"شهر العسل"، و"حكاية بلا بداية ولا نهاية". وبعد حرب أكتوبر كتب محفوظ أعمالا كثيرة: يأتي في طليعتها "ملحة الجرافيش"، و"ليالي ألف ليلة" و"أصداء السيرة الذاتية".

ونظرة سريعة على النتاج الروائي لنجيب محفوظ بعامة، تكشف أنها تضم الرواية الواقعية والرواية الطبيعية، ورواية الأجيال والأبطال العبيثين والوجوديين والواقعية السحرية، وتستخدم تيار الشعور، والقص بأصوات متعددة أو بطريقة الشهود... باختصار شديد فإن أعمال "نجيب محفوظ" تختصر تاريخ الرواية العالمية، الذي تحقق عبر قرون، في نحو أربعة عقود، ومع ذلك فأعمال "نجيب محفوظ" التي تمثل الاتجاهات والمذاهب العالمية المختلفة، لا تقل في مستواها عن أفضل ما كتبه أنصار تكل المذاهب في الآداب الأخرى.

حصل نجيب محفوظ على كثير من الجوائز توجتها "جائزة نوبل" سنة ١٩٨٨، وقد وافته المنية في صباح الثلاثاء التاسع والعشرين من أغسطس سنة ٢٠٠٦.

جورجي زيدان

رائد لبناني في مجالات الصحافة والتاريخ والرواية والدراسات الأدبية، ولد في بيروت، في الرابع عشر من ديسمبر ١٨٦١، لأسرة متواضعة اقتصاديا، بدأ دراسته الابتدائية، ثم ترك التعليم ليساعد والده في تجارته بالمطعم الذي كان يملكه. وأثناء عمله بالمطعم، تعرف إلى المعلم مسعود الطويل، الذي كان يمتلك مدرسة ليلية فانتظم فيها وأخذ فيتعلم اللغة الإنجليزية حتى أتقنها وهو في الخامسة عشرة من عمره، مما شجعه على مواصلة رحلته التعليمية فقرر أن يدرس الطب، وأهل نفسه للالتحاق بمدرسة الطب بالكلية الأمريكية (١٨٨١)، ثم اتجه إلى الصيدلة فنال منها شهادة الطبيعيات.

جاء إلى مصر ١٨٨٢ فعمل بجريدة الزمان لمدة عام وفي ١٨٨٤ عمل في سلك المخابرات البريطانية ورافق الحملة الإنجليزية إلى السودان، مترجما في قلم الاستخبارات، وفي نهاية الحملة نال عددا من الأوسمة.

عاد إلى بيروت عام ١٨٨٥ ودرس اللغتين العبرية والسريانية وألف كتابه: "الفلسفة اللغوية". ثم سافر إلى لندن عام ١٨٨٦ صيفاً، وعاد إلى مصر شتاء ليعمل مديراً لمجلة "المقتطف" ليعقوب صروف. ثم استقال من مجلة المقتطف، وانتدبته المدرسة العبيدية لتدريس اللغة العربية وأداها وظل بها لمدة عامين ألف خلالها رواية "المملوك الشارد" أولى رواياته.

أبرز الروائيين ٧٩

وفي عام ١٨٩١ أنشأ مطبعة التأليف بالاشتراك مع نجيب متري، مؤسس "دار المعارف"، وفي عالم ١٨٩٢ أصدر مجلة الهلال التي أعطاها كل اهتمامه حتى وافته المنية في ١٩١٤\٧\٢١.

وترتكز المكانة الكبيرة التي بلغها جورجي زيدان على إصداره مجلة الهلال التي لعبت دورا أدبيا وثقافيا وتنويريا نفيسا منذ تسعينيات القرن التاسع عشر، والتي لا تزال تثرى الحياة الثقافية حتى اليوم، وعلى دوره الرائد في تقدير أعمال عصرية في حقل تاريخ الأدب العربي، والتاريخ العام (على سبيل المثال تاريخ آداب اللغة العربية ١٩١١) وتاريخ التمدن الإسلامي، خمسة مجلدات، القاهرة، ١٩٠٢-١٩٠٦. وأخيرا وليس آخرا على دوره الرائد في تدشين فن الرواية التاريخية. وله في هذا المجال سلسلة روايات: تبلغ ٢٣ رواية من بينها: فتاة غسان، أرمأنوسة المصرية، عذراء قريش، ١٧ رمضان، غادة كربلاء، الحجاج بن يوسف، فتح الأندلس، شال وعبد الرحمن، أبو مسلم الخراساني، العباسة أخت الرشيد، الأمين والمأمون، عروس فرغانة، أحمد بن طولون عبد الرحمن الناصر، فتاة القيروان، صلاح الدين الأيوبي، شجرة الدر، الانقلاب العثماني، أسير المتمهدي، الملوك الشارد، استبداد المماليك، جهاد المحيين.

وقد شغل جورجي زيدان الكتاب والباحثين من بعده وكان من بين المعجبين بكتاباته العقاد، وطه حسين، ومحمد حسين هيكل والمنفلوطي الذي قال عنه: كنت أقرأ ذلك الأسلوب العذب الذي يكب به فأتخيله مرآة نقية، قد ارتسمت فيها نفس الكاتب، جليلة واضحة لا غموض فيها ولا إبهام كنت أرى عذوبة نفسه في عذوبة لفظه وطهارة قلبه في طهارة لسانه.

نجيب الكيلاني - ١٩٣١ - ١٩٩٥

ولد الأديب د. نجيب الكيلاني في أول حزيران عام ١٩٣١ بقرية شر شابة، ولحق بكتاب القرية وهو في الرابعة من عمره حيث حفظ القرآن الكريم وقدرًا كبيرًا من الأحاديث النبوية واطلع في بدايات تعليمه المبكر على السيرة النبوية وقصص القرآن وقصص الأنبياء.

وأتّم تعليمه حتى تخرج في كلية الطب بجامعة القاهرة (فؤاد الأول سابقًا) في أوائل الخمسينيات، وعمل بمستشفيات الحكومة المصرية ولكنه تعرض لمحنة الاعتقال بسبب اهتمامه بالدعوة الإسلامية وغادر بمصر بعد هزيمة للعمل في البلاد العربية ومنها الكويت والإمارات.

كانت بداياته تبشر بمولد كاتب له خصوصية حيث ضمن الأسلوب التقليدي روح الجدة والطرافة. وقد عد الدكتور الكيلاني من أغزر الكتاب الروائيين إنتاجًا. وقد تجاوزت رواياته الاثنتين والثلاثين رواية استقاهها من مورد لا ينضب هو التاريخ الإسلامي والسيرة النبوية، حصل على عدد من الجوائز المهمة في منتصف الخمسينيات، مثل جائزة "المجمع اللغوي" وجائزة وزارة التربية والتعليم. وقد حظيت روايته "الطريق الطويل" باهتمام خاص، إذ قررت على طلاب الصف الثاني الثانوي عام ١٩٥٩ م. وقد تجلت في الرواية روح إسلامية متسامحة تبلورت فيما بعد في بقية رواياته وقصصه.

ومن أبرز أعماله الروائية نور الله في جزأين، قاتل حمزة، حارة اليهود، دم لفظير صهيون، أرض الأنبياء، مواكب الأحرار، نابليون في الأزهر، اليوم الموعود، النداء الخالد، أرض الأشواق، عمر يظهر في القدس.

وإلى جانب العناية بإبراز الروح السمحة في تاريخ الإسلام، فإن الدكتور كيلاني قد غزا ميدانا بكرا لم يتجه إليه أحد قبله، وهو صياغة تاريخ المستضعفين من المسلمين في بقاع شتى كتركستان واندونيسيا ونيجيريا فكتب "ليالي تركستان" و"عذراء جاكرتا" و"عمالقة الشمال" و"الظل الأسود" وكأنما كانت نبوءة تكشف فيما بعد عن مآسي مرة في شمال القوقاز، فرأى العالم بالصوت والصورة مذابح البوسنة والهرسك.

تقرب مجموعاته القصصية من العشر مجموعات، منها "موعدنا غدا" و"العالم الضيق" و"دموع الأمير" و"فارس هوازن" و"حكايات طبيب". وكان د. نجيب الكيلاني شاعرا أيضا أصدر خمسة دواوين، من بينها "أغاني الغرباء" و"عصر الشهداء" و"نحو العلاء" وقد اعتمد في جميعها صياغة الشعر العمودي بلغة صافية عذبة غير فجة.

ولا يقل اهتمامه بإصدار الكتب الثقافية التي تتناول قضايا حول الإسلام عن اهتمامه بالرواية والشعر، فقد كتب "الطريق إلى اتحاد إسلامي، الإسلام والقوى المضادة، نحن والإسلام، تحت راية الإسلام، و"الدواء سلاح ذو حدين" و"الصوم والصحة" وغيرها.

أبرز الروائيين ٨٢

وفي مساء الاثنين الخامس من شوال (مارس) عام ١٩٩٥ ترجم فارس لم يغادر صهوة قلمه، حتى فارقته روحه بعد صراع مرير مع المرض الخبيث، بعد أن ترك ميراثا ضخما مبتدأه ومنتهاه شريعة السماء السمحة ونور النبوة.

محمد زفزاف

روائي وقصاص مغربي، ولد بسوق أربعاء الغرب، (إقليم القنيطرة)، درس الفلسفة بكلية الآداب بالرباط وحصل على الإجازة، ودرس بالتعليم الثانوي بالدار البيضاء. كتب الرواية والقصة والشعر وترجم الكثير من الأعمال. له في القصة: حوار في ليل متأخر (دمشق ١٩٧٠)، وبيوت واطنة (الدار البيضاء ١٩٧٧)، والشجرة المقدسة (بيروت ١٩٨٠)، وغجر في الغابة (بيروت ١٩٨٢)، وملاك أبيض (القاهرة ١٩٨٨)، وملك الجن (الدار البيضاء ١٩٨٨)، والعربة (الرباط ١٩٩٣) وبائعة الورد (الرباط ١٩٩٦).

وله في الرواية المرأة والورد (بيروت ١٩٧٢)، وأرصيفة وجدران (العراق ١٩٧٤)، والأفعى والبحر (الدار البيضاء ١٩٧٩)، وبيضة الديك (الدار البيضاء ١٩٨٤)، والثعلب الذي يظهر ويختفي (الدار البيضاء ١٩٨٥)، ومحاولة عيش (طرابلس ١٩٨٥)، والحي الخلفي (الرباط ١٩٩٥) وأفواه واسعة (الدار البيضاء ١٩٩٨). وفي عام ١٩٩٩، نشرت وزارة الثقافة المغربية أعماله تحت عنوان: محمد زفزاف: الأعمال الكاملة (منشورات وزارة الثقافة، الرباط).

وقد تمكن محمد زفزاف في مدونته الروائية الواسعة من خلق عالم خاص يجسد قيم الحوار، ويغوص في أعماق الكائن المغربي لاستشراف حيرته والتماس إجابة ما على استفهاماته

الكبرى. وتتميز رواياته بالسخرية والجرأة على إدانة الواقع، فالبيئات التي يبني عليها رواياته في القمع والإرهاب وما يتولد عنهما من خوف ورعب يسكنان الإنسان فيحس أنه مطاردي في كل لحظة وأنه عرضة للموت، ومن هذه الأحاسيس يستمد محمد زفزاف خصائص بنائه السردية، فالرواية عنده محكومة بتقنية تيار الوعي، تتقاطع فيها اللهجات واللغات التي تكشف عن عوالم المهمشين والمهريين والعاطلين.

توفي في الدار البيضاء ٢٠٠١ متأثراً بداء السرطان، بعد فترة علاج طويلة بفرنسا.

الطيب صالح

روائي وقاص سوداني كبير، ولد في مركز مروى، المديرية الشمالية بالسودان. تلقى تعليمه في وادي سيدنا، وفي كلية العلوم بالخرطوم. مارس التدريس، ثم عمل في الإذاعة البريطانية بلندن. نال شهاد في الشؤون الدولية بإنجلترا. شغل منصب ممثل اليونسكو في دول الخليج، ومقره الدوحة، في الفترة من ١٩٨٤ إلى ١٩٨٩. كما عمل مديراً عاماً لوزارة الإعلام والثقافة في دولة قطر.

رواياته: عرس الزين (١٩٧٢)، موسم الهجرة إلى الشمال (١٩٦٧)، ضو البيت (١٩٧١) مريود (١٩٧٧)، وله مجموعة قصصية باسم دومة ود حامد وكتاب منسي (٢٠٠٤)، الذي يجمع بين السيرة الذاتية والرواية، ومنسي رجل قطبي من صعيد مصر كان يدرس في جامع لندن، حين كان الطيب صالح يعمل في الإذاعة البريطانية بها. اختزلت شخصيته كل الحياة والألقاب

والمراسم والمناسبات بكلمة طخ مما يذكرنا بشخصية محبوب عبد الدايم في رواية نجيب محفوظ القاهرة الجديدة.

مكنته ثقافته العميقة، واطلاعه الواسع باللغتين العربية والإنجليزية، على علوم اللغة والفلسفة والسياسة وعلم النفس وعلم الأجناس والأدب والشعر والمسرح. من أن يديد السرد الروائي بأسلوب سهل متميز. واتخذ مسرحاً لعدد من أعماله، باعتبارها تعبيراً عن عالم الفطرة والعلاقات الدافئ والوشائج الإنسانية الحميمة، التي تكشف عن أصول الحياة السودانية، وعن ثقافة الإنسان السوداني، وجذورها الضاربة بعمق في مجتمعه، والكشف عن فلسفة هذا المجتمع في الحياة، من خلال معتقدات وعادات وتقاليد وقيم الريف السوداني.

تعد روايته موسم الهجرة إلى الشمال من الروايات التي تتناول بفنية متفوقة موقف إنسان العالم الثالث من الصراع الحضاري بين الشرق والغرب، من خلال شخصية مصطفى سعيد الممزقة بين هويته العربية الإفريقية، وثقافته التي صاغها الغرب الاستعماري، وهو تمزق لا يتضح في الشخصية فحسب، بل فيما تركه خلفها من دمار في أي موضع تحل به أو شخصية تتماس معها في علاقة حب أو صداقة. والرواية تبرز حكمة محكمة، وأقداراً تلتقي وتصطدم، ولغة كثيفة، وعاملاً شعرياً يتحرك بين الغموض والوضوح.

نال في مارس ٢٠٠٥ جائزة ملتقى الإبداع الروائي العربي الثالث الذي نظمه المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة، لأنه كما قال تقرير لجنة التحكيم من الرواد الذين أثروا الذائقة الأدبية عند المتلقي العربي والأجنبي، وأنه من أوائل الروائيين العرب الذي تقاطعوا مع الحضارة الغربية، وخصصت الخرطوم جائزة باسمه (٢٠٠٦) للإبداع الوائي، تعد الأولى من نوها في

السودان. ومنحه الرئيس السوداني عمر البشير والوسام الذهبي للثقافة والفنون. صدر عنه العديد من الكتب التي تتناول عالمه الروائي، منها صانع الأسطورة الطيب صالح لأحمد شمس الدين الحجاجي، ورؤية الموت ودلالاتها في عالم الطيب صالح لعبد الرحمن خانجي.

جمال الغيطاني

ولد الروائي والقاص المصري جمال الغيطاني في التاسع من مايو سنة ١٩٤٥ في محافظة سوهاج بصعيد مصر. انتقل في طفولته للسكنى بحي الجمالية بالقاهرة المعزية (التي سيكون لها تأثير واضح في كتاباته). عمل رساما في المؤسسة المصرية العامة للتعاون الإنتاجي فيما بين عامي ١٩٦٣ و١٩٦٥. اعتقل لأسباب سياسية في الفترة ما بين أكتوبر ١٩٦٦ ومارس ١٩٦٧. التحق بمؤسسة "أخبار اليوم" وأصبح مراسلا حربيا في عام ١٩٦٩. وانتقل منذ عام ١٩٧٤ إلى قسم التحقيقات الصحفية، وارتقى لرئاسة تحرير القسم الأدبي بجريدة الأخبار في عام ١٩٨٥. أسس جريدة أخبار الأدب ورأس تحريرها منذ صدورها عام ١٩٩٣.

بدأ جمال الغيطاني الكتابة أواخر الخمسينيات، ونشر قصته الأولى عام ١٩٦٣. ومنذ تلك السنة اتصلت كتابته وتنوع نتاجه: فكان من هذا النتاج مجموعاته القصصية التي منها: أوراق شاب عاش منذ ألف عام (١٩٦٩)، والزويل (١٩٧٥)، وحكايات الغريب (١٩٧٦)، وذكر ما جرى (١٩٧٨)، وأحراش المدينة مختارات قصصية (١٩٨٥)، أما رواياته فمنها: الزيني بركات (١٩٧٥)، ووقائع حارة الزعفراني (١٩٧٦)، وكتاب التجليات ثلاث أسفار: (١٩٨٣-١٩٨٥) ورسالة البصائر في المصائر (١٩٨٩)، وشطح المدينة (١٩٩٠)، وهاتف الغريب (١٩٩٢)، ومتون

الأهرام (١٩٩٤)، وحكايات المؤسسة (١٩٩٧)، بالإضافة إلى روايته دفاتر التدوين التي صدرت أجزاؤها خلال فترة ممتدة بين عامي (١٩٩٣ و ٢٠٠٥) من دفتر العشق والغربة. خلصات الكرى، دنا فتدلى، رشحات الحمراء، نثار المحو.

وبجانب هذه الأعمال الإبداعية هناك كتابات أخرى متنوعة لجمال الغيطاني. تحركت مجموعات الغيطاني القصصية ورواياته في مجال رحب، واستكشفت مناطق غير مأهولة في اتجاهات عدة: فبعض الأعمال تتناول وقائع تومئ إلى زمن الكتابة ولكنها تنتهي إلى تاريخ مصر الوسيط وتمثل لغة مؤرخيه (خاصة ابن إياس) مثل الزيني بركات وأوراق شاب عاش منذ ألف عام وبعض قصص إتخاف الزمان بحكاية جليي السلطان وبجانب هذه الأعمال تقع خطط الغيطاني (التي تتمثل خطط المقريري) وبعضها الآخر يتناول وقائع تجنح إلى المراوحة بين الواقع والكابوس، أو بين الحلم والأسطورة، لتكثيف عالم حافل بأشكال من وطأة رازحة (وقائع حارة الزعفراني، وإلى حد ما "الزويل") ألو إلى تناول عامل الحرب، بما فيه من لحظات استثنائية، تبتعث من الإنسان، وفيه، تجارب كامنة تتوارى في الحياة المعتادة، كأن لا حضور لها (أرض أرض، وحكايات الغريب، والرفاعي) أو إلى التقاط مشاهد متنوعة من الواقع اليومي، المتناثر الطروح، بمنحى يكشف ما فيه من علاقات لا تخلو من تناقضات، تبلغ حداً مأساوياً أحياناً (بعض قصص "ذكر ما جرى" و"ثمار الوقت") إلى تمثل عناصر تجربة التصوف، بما تحتويه من إشراقات تقفز على قوانين الزمن والمكان والمنطق المعتاد (مثل كتاب التجليات) وهكذا.

أبرز الروائيين ٨٧

ولجمال الغيطاني كتابات كثيرة على هامش الإبداع، بعضها ليس منفصلا تماما عنه. وهي كتابات تهتم بمجالات عدة، مثل الحرب، والآثار الإسلامية، والعمارة، والتراث الأدبي العربي، وأدب الرحلات، والحوار. من هذه الكتابات: المصريون والحرب (١٩٧٤)، وحراس البوابة الشرقية (١٩٧٥)، والقدس المحتلة (١٩٧٥) ونجيب محفوظ يتذكر (١٩٨٠)، وعلى أمين يتذكر (١٩٨٣)، وملاح القاهرة في ألف عام (١٩٨٣)، وأسئلة القاهرة قاهريات (١٩٨٤) ومنتهى الطلب إلى تراث العرب. دراسات في التراث (١٩٩٧). كذلك للغيطاني كتابات تطرقت إلى موضوعات شتى، بعضها نشر في مقالات أو يوميات ببعض الجرائد والمجلات قبل أن يتم جمعه في كتب، منها: أسفار الأسفار (١٩٩٢)، والخطوط الفاصلة بيوميات القلب المفتوح (١٩٩٧)، وأفاق الذاكرة (١٩٨٨)، وحمام الحى: من يوميات حاج (١٩٩٨)، وإبراء الذمة (٢٠٠٠)، والمجالس المحفوظية (٢٠٠٥)، وهذا الكتاب الأخير يتناول ما دار في بعض مجالس نجيب محفوظ، والغيطاني أحد أصدقائه ومريديه.

وفي عام ٢٠٠٧ منح الغيطاني جائزة الدولة التقديرية.

خيرى شلبي (١٩٣٨ -)

ولد الروائي والقاص والصحفي المصري خيرى شلبي في ٣١ يناير ١٩٣٨، بقرية شباس عمير، مركز قلين، محافظة كفر الشيخ. بدأ العمل بصحيفة الجمهورية (١٩٦٠-١٩٦٤)، ثم نال منحة تفرغ (١٩٦٤)، ثم عمل سكرتيرا لتحرير مجلة "المسرح"، ثم صحفيا بمجلة الإذاعة

والتلفزيون (١٩٦٧). رأس تحرير مجلة "الشعر" (التي تتبع اتحاد الإذاعة والتلفزيون). كما رأس تحرير سلسلة مكتبة الدراسات الشعبية (هيئة قصور الثقافة).

تولت أعماله الروائية (١٥ رواية): "اللعب خارج الحلبة" ١٩٧١، و"الأوباش" (١٩٧٨)، و"السنيرة" (١٩٧٨)، و"رحلات الطرشحي الحلوجي" (١٩٨٣)، و"الشطار" (١٩٨٥)، و"فرعان من الصبار" (١٩٨٦)، و"العراوي" (١٩٨٦)، و"أولنا ولد" (١٩٩٠)، و"موال البيات والنوم" (١٩٩١)، و"وكالة عطية" (١٩٩١)، و"موت عباءة" (١٩٩٣)، و"ثانينا الكومي" (١٩٩٣)، و"لحس العتب" (١٩٩٤)، و"ثالثنا الورق" (١٩٩٥)، و"بلغة العرش" (١٩٩٦)، و"بطن البقرة" (١٩٩٦)، و"صالح هيصة" (١٩٩٩)، و"منامات أحمد السمك" (١٩٩٩) و"صهاريج اللؤلؤ" (٢٠٠٤)

أما مجموعاته القصصية فهي: صاحب السعادة اللص (١٩٨٦)، و"المنحنى الخطر" (١٩٨٤)، و"أسباب للكي بالنار" (١٩٨٧)، و"سارق الفرح" (١٩٨٩)، و"الدساس"، و"أشياء تخصنا" (٢٠٠٤)، و"عدل المسامير" (٢٠٠٥).

يمثل خيرى شلي طرازاً مائزاً من الروائيين القادرين على التعبير عن موضوعات ومجالات لم يسبقوا إليها وعلى استخدام تقنيات خاصة تفوقوا فيها. وتشي كتابته بقدرة كبيرة على الملاحظة الدقيقة، والوصف الفني، والحوار الحي. ويحظى أسلوبه بالقبول الواسع بفضل قدرته على الإمتاع ونقل استمتاع صاحبه بالتجارب التي يتحدث عنها. وقد اعتبر بمثابة رائد الفانتازيا التاريخية في الرواية العرة المعاصرة، بفضل روايته "رحلات الطرشحي الحلوجي"، وتميزت كتابته بالواقعية السحرية، حيث تتشخص المادة وتتحول إلى كائنات حية تعيش

وتخضع لتغيرات وثر وتتأثر، وتتحدث الأطيوار والأشجار والحيوانات والحشرات وكلما يدب على الأرض. وروايته "الشطار" من أولها إلى آخرها - خمسمائة صفحة- يروها "كلب" يتعرف القارئ على شخصيته ويعايشه ويتابعه.

مارس الإعداد الإذاعي، وقدم حلقات كثيرة عن المسارح في القرن التاسع عشر، وعن نصوصه المجهولة. ومنها نص مسرحي من تأليف: الزعيم الوطني مصطفى كامل بعنوان "فاتح الأندلس" قام بتحقيقه ونشره في كتاب مستقل بنفس العنوان، ومسرحية "الراهب" من تأليف الشيخ أمين الخولي بجوقة عكاشة، وقد حقق النص واكتشف صلة الشيخ بفن المسرح ومحاولاته المتكررة في التأليف، وقد نشرت المسرحية في مجلة "الأدب". وإلى دأبه يعود الفضل في اكتشاف قرار النيابة في كتاب الشعر الجاهلي، وقد نشر في كتابه "محاكمة طه حسين". وقد صوراً من فن البورتريه في الصحافة عارضا صور مائتين وخمسين من نجوم مصر في جميع المجالات الأدبية والفنية والسياسية والعلمية والرياضية على امتداد ثلاثة أجيال. وقد صدرت بعض فصول عن هذه الشخصيات في ثلاثة كتب: "أعيان مصر"، و"صحفة العشاق"، و"قرسان الضحك".

وله كتب متنوعة منها: "غذاء الملكة"، و"لطائف اللطائف"، و"أبو حيان التوحيدي"، و"مؤرخو مصر الإسلامية". وله في أدب الرحلات: "فلاح مصري في بلاد الفرنجة" وقد نال عنه جائزة الدولة التشجيعية (١٩٨٠).

قدمت السينما بعض أعماله "الشطار"، و"سارق الفرح"، وأيضا للتلفزيون: مسلسل "الوتد"، ومسلسل "الكومي" وقام بكتابة السيناريو والحوار لكل من المسلسلين.

أبرز الروائيين ٩٠

ترجمت بعض رواياته إلى عدد من اللغات: الروسية، والصينية، والإنجليزية، والفرنسية، والإيطالية، خصوصا روايات: "الأوباش"، و"الوتد"، وفرعان من الصبار، و"بطن البقرة"، و"وكالة عطية"، و"صالح هيصة".

قدمت عنه عدة رسائل للماجستير والدكتوراه في جامعات القاهرة، وطنطا، والرياض، وأكسفورد، وغيرها.

نال جائزة الدولة التقديرية في الآداب عام ٢٠٠٤، ووسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى (١٩٨١).

عبد الرحمن شرقاوي (١٩٢٠-١٩٨٧)

روائي وشاعر مسرحي وكاتب بسيرة مصري كبير. ولد في العاشر من نوفمبر عام ١٩٢٠، في قرية الدلاتون من أعمال محافظة المنوفية، التحق بالمدرسة الابتدائية بشبين الكوم (١٩٢٨)، ثم انتقل إلى القاهرة، وحصل على الشهادة الثانوية، والتحق بكلية الحقوق رغم إرادته، بسبب إصرار والده، فكان يواظب على محاضرات كلية الآداب، ويهتم بها أكثر من اهتمامه بمحاضرات كلية الحقوق مما أدى إلى رسوبه في السنة النهائية، لكنه تخرج في الحقوق (١٩٤٣) وكان من أساتذته الذي واظب على حضور محاضراتهم في كلية الآداب طه حسين، ومصطفى عبدالرزاق، وأحمد أمين، وشفيق غربال.

وخلال فترة الدراسة الثانوية والجامعية كان للشرقاوي نشاط طلابي وسياسي، استمر بعد التخرج، واعتقل وهو طالب، ثم اعتقلته وزارة إسماعيل صدقي عام ١٩٤٦، وكانت قد

أغلقت مجلة "الطلیعة" التي كان الشرقاوي يصدرها عام ١٩٤٥. بعد قيام ثورة يوليو طورد وهو ينشر روايته الأولى "الأرض" (١٩٥٢) مسلسلة في جريدة المصري، لسن حال حزب الوفد، ثم نشرها بعد ذلك كتاب عام ١٩٥٤.

عمل الشرقاوي بعد تخرجه، محاميا لمدة عامين، ثم عين مفتشا لتحقيقات في وزارة المعارف، وكان بين زملائه في العمل "فتحي غانم، وأحمد بهاء الدين، وظل يعمل في الوزارة حتى عام ١٩٥٦، حين استقال وتفرغ للصحافة والكتابة الأدبية، فرأس القسم الأدبي في جريدة "الجمهورية" وفي جريدة "الشعب" ثم رأس تحرير مجلة "روز اليوسف" ومجلس إدارتها عام ١٩٧١، وفي عام ١٩٧٧. وقرب بلوغ سن التقاعد، عين أمينا عاما للمجلس الأعلى للفنون والآداب. وكاتب لمقال أسبوعي في جريدة الأهرام، كما شغل بعض المناصب غير الحكومية، ومنها الأمانة العامة لمنظمة تضامن الشعوب الأفريقية والآسيوية (١٩٧٨)، ورئاسة منظمة حقوق الإنسان وعضوية اتحاد الإذاعة والتلفزيون... في أنشطة أخرى.

بدأ الشرقاوي في نشر أعماله، وهو ما يزال طالبا فصدرت له في عام ١٩٣٨ ترجمات لقصائد: "موطني" للإمارتين، في جريدة البلاغ و"حجاج العالم" لشلي، في مجلة "الثقافة"، وبها نشر أيضا "الزا" لأراجون، وقد حياه عليها طه حسين، مما شجعه على ترجمة قصائد أخرى. وفي أواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينيات بدأ ينشر أعماله القصصية والشعرية والروائية، وظهرت أولى قصصه "فتى من الريف" في مجلة "آخر ساعة" (١٩٤٩). كما نشر وهو في زيارة لفرنسا لمدة عام ديوانه الشعري الأول: من أب مصري إلى الرئيس ترومان" (١٩٥١)، الذي يعد البداية الحقيقية لشعر التفعيلة في مصر وقد توالى بعده دواوين صلاح عبد الصبور، وفوزي

العنتيل، وأحمد حجازي، وغيرهم. ثم أصدر مجموعته القصصية الأولى "أرض المعركة" (١٩٥٢)، لتظهر أولى رواياته عام (١٩٥٣) وهي "الأرض" التي تعتبر أول رواية مصرية وربما عربية، تطبق مبادئ الواقعية الاشتراكية وأول رواية تنطق الفلاحين بلغتهم الحقيقية، وتأخذهم مأخذ الجد، وقد أخرجها يوسف شاهين فيلما لقي نجاحا كبيرا في مصر وفي العالم العربي، وترجمت الرواية إلى عدة لغات. ولعل نجاح "الأرض" شجع الشرقاوي على أن يتفرغ لكتابة الرواية، فنالت رواياته: "قلوب خالية" (١٩٥٧)، و"الشوارع الخلفية" (١٩٥٨) التي تعد من الوجوه الفنية خطوة متقدمة على رواية "الأرض"، وعلى "قلوب خالية" و"الفلاح" (١٩٦٩)، آخر رواياته. وفي مجال المسرح كتب الشرقاوي عددا كبيرا من المسرحيات الشعرية، وكان رائدا في هذا الميدان أيضا إذ هو أول من استخدم "الشعر الحر" في المسرح استخداما حقيقيا ناجحا تخلص فيها من المفردات والجمل الكلاسيكية الجزلة التي كانت سائدة في مسرح عزيز أباظة، على وجه الخصوص، فضلا عن أن أبطاله -في الغالب الأعم- كانوا مناضلين من عامة الشعب، لا من الملوك والصفوة. وتبعه بعد ذلك شعراء التفعيلة الكبار. وقد نجحت مسرحيته الأولى "مأساة جميلة" نجاحا كبيرا. حين عرضها المسرح القومي (١٩٦٢)، ثم توالى مسرحياته "الفتى مهراڤ" (١٩٦٥) التي تعد أفضل مسرحياته ثم نشرت مسرحيته "نأر الله: الحسين ثائرا والحسن شهيدا" (١٩٦٩) وله أيضا: "النسر الأحمر"، و"وطني عكا"، و"عراي زعيم الفلاحين" ومسرحيات أخرى.

في أخريات حياته كتب "الشرقاوي" عددا من التراجم لكبار الصحابة وأئمة الفقه، من بينها: "الفاروق عمر"، و"الصادق أبو بكر"، "أئمة الفقه السبعة"، لكن كتابه التنويري المتميز

أبرز الروائيين ٩٣

"محمد رسول الحرية" يجعله رائداً، مرة أخرى، لكتابة السيرة الأدبية "الغيرية" بعد أن سبقه طه حسين إلى كتابة السيرة الأدبية "الذاتية"، ولا شك أن الشرقاوي هنا هو أول أديب مصري يطبق المفهوم الصحيح والحديث للترجمة الغيرية "الأدبية". ومعروف أن ما كتبه "العقاد" وطه حسين وهيكّل في هذا المجال، ليس بتراجم أدبية أو غير أدبية باعترافهم أنفسهم.

منح الشرقاوي جائزة الدولة التقديرية عام ١٩٧٤، وفي العام التالي منح وسام الجمهورية للفنون من الدرجة الأولى.

سهيل إدريس (١٩٢٥ -)

ولد الأديب اللبناني سهيل إدريس في بيروت من أب يقال إنه مغربي الأجداد وأم من أسرة بيروتية. ومع أن الأب كان إمام مسجد، إلا أنه أحترف التجارة أيضاً. تلقى سهيل دراسته الابتدائية في كلية المقاصد الإسلامية ببيروت، وفي عام ١٩٣٦ اختاره مدير الكلية مع خمسة أو ستة من طلاق المقاصد ليلتحق بمعهد ديني كان اسمه "كلية فاروق الشرعية" لأن الملك فاروق كان ينفق عليه. وفي هذا المعهد أصبح شيخاً يرتدي الجبة والعمامة طوال خمسة أعوام. وبعد تخرجه عام ١٩٤٠ عاد إلى الزبي المدينة.

في عام ١٩٤١ نال شهادة البكالوريا، ثم شهادة الفلسفة وهي القسم الثاني من البكالوريا عام ١٩٤٢. ثم التحق بمعهد الحقوق الفرنسي، التابع للجامعة اليسوعية ببيروت في عام ١٩٤٣، لكن وضع أسرته المادي المتدهور اضطره إلى العمل ليساعد في إعالتها، مما دفعه إلى التخلي عن متابعة دراسة الحقوق والعمل في الصحافة لمدة سبع سنوات بين عامي ١٩٤٣

أبرز الروائيين ٩٤

و١٩٤٩. وفي تلك الفترة تبلور اتجاهه الأولى بكتابة الدراسات النقدية والأقاصيص والترجمة عن اللغة الفرنسية. وكانت مجلة المكشوف لصاحبها فؤاد حبيش قد نشرت أول مقال له عام ١٩٣٩ وكان دراسة عن "رسالة الغفران" للمعري. ثم أخذ يعمل وينشر في الصحافة الأدبية اللبنانية حتى استقالته عام ١٩٤٤، ليسافر إلى باريس ويستأنف دراسته العليا، بعد أن حصل على منحتين من وزارة التربية اللبنانية، وجمعية المقاصد الإسلامية. وفي باريس التحق بمعهد الصحافة العالي، كما التحق بجامعة باريس. وفي عام ١٩٥١ حصل على دبلوم معهد الصحافة العالي، وبعدها بعام نال شهادة دكتوراه الجامعة في الآداب. وكان موضوع رسالته "القصة العربية الحديثة والتأثيرات الأجنبية فيها من عام ١٩٠٠ إلى عام ١٩٥٠.

بعد عودته إلى بيروت أصدر مجلة "الآداب" (١٩٥٣) بالاشتراك مع الأستاذين بهيج عثمان ومنير بعلبكي صاحبي "دار العم للملايين"، عين في العام نفسه (١٩٥٣) أستاذا للأدب العربي الحديث بالجامعة اللبنانية، وأستاذ الترجمة والتعريب والنقد في كلية المقاصد الإسلامية التي كان قد تلقى تعليمه الابتدائي بها منذ عشرين عاما.

في عام ١٩٥٦ استقل بمجلة "الآداب" عن شريكه فيها بعد أن أصبحت أكثر المجالات الأدبية رواجاً في العالم العربي محتلة بذلك مكان مجلتي "الرسالة" و"الثقافة" المصرتين اللتين احتجبتا أو تعارتتا في الصدور بعد عام ١٩٥٢.

في عام ١٩٦٨ أسس اتحاد الكتاب اللبنانيين مع أربعة كتاب آخرين هم: قسطنطين زريق وجوزيف مغيزل ومنير بعلبكي وأدونيس، وقد انتخب أميناً عاماً لهذا الاتحاد في دورات متوالية، وقد نشر سهيل إدريس ست مجموعات قصصية من بينها: "أشواق" (١٩٤٧)، و"كلهن

نساء" (١٩٥٩)، و"رحماك يا دمشق" (١٩٦٥)، و"العراء" (١٩٥٣)، و"الخنديق الغميق" (١٩٥٨) و"أصابعنا التي تحترق" (١٩٦٢). ومسرحيتين هما: "الشهداء" (١٩٦٥)، و"زهرة من دم" (١٩٦٩)، وذلك بالإضافة إلى أكثر من عشرين كتابا مترجما عن الفرنسية بين دراسات وروايات وقصص ومسرحيات من أبرزها "دروب الحرية"، و"العشاق"، و"سيرتي الذاتية" لسارتر، و"الطاعون" لألبير كامو، كما نشر دراسة بعنوان "القصة في لبنان" من منشورات معهد الدراسات العربية بالقاهرة. كذلك صدر له كتابان عام ١٩٧٧ بعنوان "في معترك القومية والحرية". و"مواقف وقضايا أدبية".

من أهم إنجازاته معجم "المهمل" وهو قاموس فرنسي\عربي، وآخر عربي\فرنسي بالاشتراك مع الدكتور صبحي الصالح. كما أصدر المهمل العربي الكبير، وهو معجم عربي\عربي، عكف على إعداده ابنه الدكتور سماح إدريس والمرحوم الدكتور صبحي الصالح.

وثلاثية سهيل إدريس الروائية (الحي اللاتيني، والخنديق الغميق، وأصبعها التي تحترق) بطلها شخص واحد: تبدأ أحداثها قبل الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥) وتنتهي بعد العدوان الثلاثي على مصر (١٩٥٦)، وترتيبها بالنسبة للتاريخ الزمني للبطل ليس ترتيب نشرها، فالخنديق الغميق التي نشرت بعد الحي اللاتيني تأتي أولا بالنسبة لتاريخ حياة البطل لأنها تتناول نشأته في حي "الخنديق الغميق" ببيروت، على حين تتناول "الحي اللاتيني" حياة البطل حين سافر في بعثة إلى فرنسا ليستكمل تعليمه، أما "أصابعنا التي تحترق" فتتناول حياة البطل بعد عودته إلى لبنان حين أصبح صاحب مجلة أدبية ورئيس تحريرها.

أبرز الروائيين ٩٦

وتطرح علينا ثلاثة سهيل إدريس الروائية قضية الأديب والحرية: حرته الاقتصادية،
والعاطفية، والفكرية. ومن الملاحظ بوجه عام أن بطل الثلاثية كما اتضح في آخر رواياته
"أصابنا التي تحترق" بفضل أن يتخذ موقفا وسطا من هذه القضايا.

وبالرغم من أعمال سهيل إدريس المختلفة، من قصصية وروائية ومسرحية وثقافية
ونقدية فإن إنجازها الضخم، على مستوى العالم العربي، هو إصداره لمجلة "الأداب".

أحلام مستغاني (١٩٥٢)

روائية وشاعرة وكاتبة صحفية جزائرية، ولدت في ١٣\٤\١٩٥٣ بتونس. كان والدها
محمد الشريف (أصيل منطقة مستغانم) مناضلا ضد الاستعمار الفرنسي، واصل نشاطه
السياسي في تونس بعد أن ترك الجزائر إثر مظاهرات ٨ مايو ١٩٤٥ التي دخل بسببها السجن
ولم يغادره إلا سنة ١٩٤٧ باتجاه تونس، وبها أقام حتى استقلال الجزائر ليعود وعائلته إلى
الوطن ويتقلد مناصب سياسية وإعلامية.

التحقت أحلام بالمدرسة الإعدادية في تونس ثم المدرسة الثانوية. وعندما رحلت إلى
الجزائر التحقت بثانوية عائشة، بالعاصمة لتواصل تعلمها. قدمت برنامجا إذاعيا يوميا في
الإذاعة الجزائرية بعنوان "همسات" قبل حصولها على البكالوريا وهي بعد دون الثامنة عشرة،
ودام بثّ البرنامج ثلاث سنوات. التحقت بكلية الآداب في الجزائر وتخرجت فيها (١٩٧٥).

سافرت إلى فرنسا وأعدت رسالة دكتوراه في علم الاجتماع سنة ١٩٨٢ بجامعة السربون
بباريس، وأشرف عليها المستشرق الراحل جاك بيرك. وحصلت على الدكتوراه بتقدير "ممتاز".

أبرز الروائيين ٩٧

تزوجت في باريس بالصحفي اللبناني جورج راسي صاحب مجلة "الحوار" التي كانت تصدر آنذاك بفرنسا. ثم استقرت منذ سنة ١٩٩٤ ببيروت تواصل نشاطها الصحفي وإبداعها الروائي. نعد أحلام مستغانمي واحدة من أشهر الروائيات العربيات: فقد حقق نصها الروائي الأول: "ذاكرة الجسد، (١٩٩٣)، بشعرية لغته، وبما تكشف عوالمه من أوجاع الأمة الجزائرية ومحتنها، نجاحا غير مسبوق مما جعله من أكثر الكتب مبيعا في الوطن العربي.

وتتميز كتابتها بالجرأة انتقاد الواقع النفسي والاجتماعي والسياسي والثقافي للإنسان العربي الجزائري على وجه التحديد، تقول في إحدى شهاداتها: من السهل أن تعرف كيف تكتب، ولكن من العسير جدا أن تكون كاتباً.

من مؤلفاتها في الشعر: على مرفأ الأيام (١٩٧٢) و "الكتابة في لحظة عري" (١٩٧٦)، و"أكاذيب سمك" (١٩٩٣). وفي الرواية: "فوضى الحواس" (١٩٩٦) عن روايتها "عابر سيره".

عبده خال

هو عبده محمد علي هادي خال حمدي، روائي سعودي له عدة أعمال من المجموعات القصصية والروايات، وهو من مواليد إحدى قرى منطقة جازان عام ١٩٦٢ م، وتعلم الابتدائية في مدرسة "ابن الرشيق" في مدينة الرياض حيث قضى فيها فترة من طفولته وبها درس المرحلة المتوسطة في مدرسة "ابن قدامة" وعاد بعد أربعة أعوام إلى مدينة جدة وأكمل المرحلة المتوسطة في مدرسة "البحر الأحمر". أتم المرحلة الثانوية في مدرسة قريش، ثم حصل على بكالوريوس في العلوم السياسية من جامعة الملك عبد العزيز.

أبرز الروائين ٩٨

وهو من الصحفيين المتميزين الذين وضعوا بصمتهم الخاصة في مجال الصحافة. وعمل بالصحافة منذ عام ١٩٨٢، ويشغل منصب مدير تحرير جريدة عكاظ السعودية. يشارك في تحرير دورية الراوي الصادرة عن نادي جدة الأدبي وفي تحرير مجلة النص الجديد، كان له زاوية أسبوعية بالصفحة الأخيرة بجريدة عكاظ (حقول)، والأُن يكتب مقالات اجتماعية بنفس الجريدة (أشواك).

له بعض الموضوعات المنشورة في بعض المجالات المحلية والعربية وعلى سبيل المثال مثل مجلة العربي الكويتية، أخبار الأدب المصرية، جريدة الحياة، مجلة الحدث الكويتية، مجلة نزوى العمانية، مجلة الحدائث البيروتية، مجلة كلمات البحرينية، مجلة ابداع المصرية والبحرين الثقافية.

واستطاع الكاتب أن يحصد عدة جوائز على مدار حياته الأدبية والصحفية منها مجموعة من الدروع والمدايات والشهادات من الأندية والجمعيات الثقافية التي شارك بها، وتم تكريمه في جمعية الثقافة والفنون بالدمام وقدم دراسات عن تجربته الروائية، له عدة مجموعات القصص ومنها حوار مع بوابة الأرض-١٩٨٤، وحكاية المداد-١٩٨٤، ولا أحد-١٩٨٦، وليس هناك ما يبهج-١٩٨٨، ومن يغني هذا الليل-١٩٩٩، والأوغاد يضحكون-٢٠٠٢، والأيام لا الليل-٢٠٠٤.

ومن رواياته الممتازة الموت يمر من هنا-١٩٩١، ومدن تأكل العشب-١٩٩٨، والأيام لا تخبي أحدا-٢٠٠٠، والطين، ونباح، وفسوق-٢٠٠٥، وترمي بشرر-٢٠٠٨، والهنداوية-٢٠١٠.

الدرس ٤

الجائزة العالمية للرواية العربية

الجائزة العالمية للرواية العربية (أي باف) من أهمّ الجوائز الأدبية المرموقة في العالم العربي، جائزة سنوية تُمنح للرواية العربية التي تعتبرها لجنة تحكيم الجائزة أفضل رواية في ذلك العام، فريدة من نوعها في العالم العربي بحيث أنها ملتزمة بقيم الاستقلالية والشفافية والنزاهة خلال عملية اختيار المرشحين، أُطلقت الجائزة في أبوظبي في نيسان (أبريل) ٢٠٠٧، وقد ولدت فكرة الجائزة باقتراح لتأسيس جائزة مشابهة لجائزة "بوكر" التي حققت نجاحاً بالغاً، مما قد يشجّع تقدير الرواية العربية المتميّزة ومكافأة الكتاب العرب ويؤدي إلى رفع مستوى الإقبال على قراءة هذا الأدب عالمياً من خلال الترجمة، وتهدف الجائزة إلى مكافأة التميّز في الأدب العربي المعاصر، ورفع مستوى الإقبال على قراءة هذا الأدب عالمياً من خلال ترجمة الروايات الفائزة والتي وصلت إلى القائمة القصيرة إلى لغات رئيسية أخرى ونشرها، كما تشجع الجائزة ترجمة أعمال الكتاب المرشحين في القائمة القصيرة إلى لغات أخرى. حيث أن الحصول على تقدير الجائزة يجذب انتباه ناشرين من أنحاء العالم. لذلك الروايات التي تقترن بالجائزة تحصد أيضاً زيادةً في المبيعات وإمكانية الوصول إلى جمهور أوسع من القراء في العالمين العربي والعالمي خلال الترجمة، تدار الجائزة بالشراكة مع مؤسسة جائزة "بوكر" في لندن وبدعم من دائرة الثقافة والسياحة، أبوظبي في الإمارات العربية المتحدة. وبالرغم من أن كثيراً ما يتم الإشارة إلى الجائزة العالمية للرواية العربية بوصفها "جائزة البوكر العربية" إلا أن هذا ليس

الجائزة العالمية للرواية العربية ١٠٠

بتشجيع أو تأييد من الجائزة العالمية للرواية العربية أو من مؤسسة جائزة البوكر وهما مؤسستان منفصلتان ومستقلتان تماماً، والجائزة العالمية للرواية العربية ليست لها أي علاقة بجائزة بوكر.

يقوم مجلس الأمناء سنوياً بتعيين لجنة تحكيم تتألف من خمسة أشخاص وهم نقاد وروائيون وأكاديميون من العالم العربي وخارجه، وللتأكيد على البعد الدولي للجائزة يكون أحد أعضاء التحكيم شخصاً غير عربي لكنه يتقن اللغة العربية لدرجة تسمح له/لها بالتحديث بطلاقة والقراءة العميقة، يقرأ أعضاء لجنة التحكيم كل الروايات المرشحة (في الأعوام السابقة قد زاد عددها على المئة وخمسين رواية). يلتقون ثلاث مرات، مرة أولى لاختيار القائمة الطويلة المكونة من ست عشرة رواية، ثم مرة ثانية لاختيار القائمة القصيرة المكونة من ستة أعمال وأخيراً لاختيار الرواية الفائزة. لا ينظر أعضاء لجنة التحكيم إلى تأثيرات وآراء خارجية، كما لا تأخذ اللجنة في الاعتبار مسائل الجنسية أو الديانة أو السياسة أو النوع أو العمر. وبعيداً عن هذه المعايير الأساسية، ما أن يتم تعيين أعضاء لجنة التحكيم فهم أحرار في اتخاذ قراراتهم في أي من الروايات يعتبرونها الأفضل. ولهذه الاستقلالية والنزاهة في عملية التحكيم أهمية كبيرة بالنسبة للجائزة.

يتم إعلان الرواية الفائزة في حفل توزيع الجوائز في أبو ظبي في الربيع ويحصل كل من المرشحين الستة النهائيين على ١٠,٠٠٠ دولار، أما الفائز بالمرتبة الأولى فيفوز بـ ٥٠,٠٠٠ دولار إضافية فضلاً عن تأمين ترجمة الكتاب الفائز إلى اللغة الإنجليزية، تُرجمت الروايات الفائزة بالجائزة في السنوات التسع الأخيرة إلى الإنجليزية بالإضافة إلى عدّة لغات أخرى منها البوسنية

الجائزة العالمية للرواية العربية ١٠١

والفرنسية والألمانية والنرويجية والإندونيسية. صدرت رواية "واحة الغروب" لجهاء طاهر في بريطانيا لدى دار سبتر، وهي إحدى فروع هودر وستوتن، في العام ٢٠٠٩، وترجمت إلى ثمانية لغات عالمية، وصدرت رواية "عزازيل" (٢٠٠٩) ليوسف زيدان باللغة الإنجليزية عن "أتلنتك بوكس" في أبريل/نيسان ٢٠١٢. كما نشر كل من رواية "ترمي بشرر" (٢٠١٠) لعبده خال ورواية "القوس والفراشة" (٢٠١١) لمحمد الأشعري باللغة الإنجليزية عن مؤسسة بلومسبري قطر للنشر في العام ٢٠١٢، وصدرت رواية "ساق البامبو" لسعود السنعوسي عن مؤسسة بلومسبري قطر للنشر في أبريل/نيسان ٢٠١٥، كما صدرت رواية "طوق الحمام" لرجاء عالم في أمريكا عن دار أوفرلوك وفي بريطانيا عن دار داكورث في حزيران/يونيو ٢٠١٦. وسيتم نشر رواية "فرانكشتاين في بغداد" لأحمد سعداوي عن دار بنجوين في الولايات المتحدة ودار وون ورلد في المملكة المتحدة في العام ٢٠١٨.

بالإضافة إلى الجائزة السنوية، تدعم "الجائزة العالمية للرواية العربية" مبادرات ثقافية أخرى، وقد أطلقت عام ٢٠٠٩ ندوتها الأولى (ورشة الكتاب) لمجموعة من الكتاب العرب الشباب الواعدين.

الفائزون بالجائزة العالمية للرواية العربية

الفائز ٢٠٠٨

واحة الغروب لبهاء طاهر

"الصحراء هي المكان الذي يكتشف فيه الإنسان نفسه"، بهاء طاهر، مؤلف رواية "واحة الغروب" التي تدور معظم أحداثها روايته في الصحراء، تتابع الرواية خطوات ضابط الشرطة محمود عبد الظاهر، في طريقه إلى واحة "سيوة" التي أرسله إليها رؤساؤه في مهمة خطيرة، كلفت من سبقوه حياتهم، هذه المهمة هي بمثابة عقاب لمحمود على مشاركته في ثورة أحمد عرابي (١٨٨٢) التي منيت بالفشل، محمود اختار قبول المهمة التي أوكلت إليه هربا من إحساسه بالفشل على أكثر من صعيد: فيها هي ثورته انتهت بانتكاسة، أما حياته العاطفية فهي تصارع أموجا تتجاوزها من أكثر من جهة، إذن هو يقرر الهرب من المشهد، إلا أن زوجته الإيرلندية المغرمة بالآثار كاترين، تقرر مصاحبته، لتتبع خطى الإسكندر الأكبر، وتبوء محاولاته لثمنها عن عزمها بالفشل، ليجد نفسه متبوعا بعبء علاقة تهاوى ومشاعر تتداعى، في رحلة أرادها في الأصل خلوة إلى الذات لمحاولة اكتشافها.

بهاء طاهر

ولد في محافظة الجيزة، القاهرة عام ١٩٣٥. والداه من قرية الكرنك، الأقصر، في صعيد مصر. حصل على ليسانس الآداب في التاريخ ودبلوم الدراسات العليا في الإعلام من جامعة

الفائزون بالجائزة العالمية للرواية العربية ١٠٣

القاهرة. نشر ١٧ كتابا (ست روايات، خمس مجموعات قصصية وستة كتب نقدية وفكرية) إضافة إلى ترجمات عديدة من الإنجليزية والفرنسية.

الفائز ٢٠٠٩

عزازيل ليوسف زيدان

أحداث رواية "عزازيل" تدور في القرن الخامس الميلادي، ولكنها تعالج قضية تشغل الإنسان في كافة العصور، إنها تصور صراعا مزدوجا: بين معتنقي مذهبي المسيحية الجديد وأتباع الديانات الوثنية القديمة، وبين الراهب المسيحي "هيبا" وذاته، "عزازيل" هو أحد أسماء الشيطان في الميثولوجيات الدينية، حيث يجسد نزعة الإنسان إلى "الشر" بالمفهوم الديني، ولك هناك تعبير باللغة العربية وهو تعبير "شيطان الشعر" يشير إلى العلاقة ما بين الشيطان والإبداع، في إشارة إلى أنه يجسد النزعة إلى التفكير الحر والتمادي في الخيال. بدون قيود أو محظورات، وهذا من متطلبات الإبداع بلا شك.

عزازيل في رواية يوسف زيدان هو شيطان لا علاقة له بالصفات السلبية التي تلصق عادة ببليس في مفهومه الديني، وإن كان في جوهره لا يختلف عنه، إلا أن تناول الكاتب له جعله يبدو قريبا منا، فهو الأنا الداخلي لكل منا، المشجب الذي نعلق عليه كل رغباتنا المحرمة وجنوحنا إلى التحليق والحرية، هو مناجاتنا الداخلية وحوارنا مع أنفسنا، هو صوتنا الآخر الذي نعدم إلى كفته حيننا ويغلبنا فنلعبه في أحيان أخرى، هو الإغراء للاقترب من الذات في أكثر حالاتها بدائية ونقاء، ليس بالمفهوم الديني لهذه الكلمة، بل بالمفهوم الفلسفي لها.

الفائزون بالجائزة العالمية للرواية العربية ١٠٤

يوسف زيدان جعل عزازيل يتحرك على أرضية شائكة، فهو جعله يستوطن روح راهب مسيحي، ولكن الأرض التي تحركت عليها شخصياته بدت مألوفة ليس فقط لها بل للمؤلف الذي قام بمجهود هائل في البحث في تفاصيل الحياة اليومية للمدن التي مر بها بطل روايته في عهد مضى عليه ألفا سنة، وأكد أنه كان يقضي أياماً طويلة في القراءة والبحث من أجل القدرة على وصف ثوب أو وجبة غذائية أو وصفة طبية عرفت في ذلك العصر.

يوسف زيدان

ولد في حزيران - يونيو عام ١٩٥٨. هو أديب ومثقف ذائع الصيت متخصص بالدراسات العربية والإسلامية. يشغل منصب مدير مركز المخطوطات والمتحف التابع لمكتبة الإسكندرية. يعمل أستاذاً جامعياً ومحاضراً عاماً وكاتباً لعمود أسبوعي في الصحف بالإضافة إلى عمله كاتباً مثيراً. إنه مؤلف روايتين نالتا إعجاباً نقدياً وكانتا من أكثر الكتب مبيعاً، أولها "عزازيل" (التي فازت بالجائزة العالمية للرواية العربية عام ٢٠٠٩) وروايته الثانية "ظل الأفعى". كان يعمل مستشاراً في مجال محافظة تراث العرب وصيانه في عدد من المؤسسات الدولية منها "منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (يونسكو)" و"لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا (أسكوا)" وجامعة الدول العربية. كان يشرف على بعض المشاريع تهدف إلى تصنيف المخطوطات العربية ومحافظةها وتفرغ إلى فهرسة هذه النصوص وتحريرها ونشرها فبالتالي النصوص نفسها توحى رواياته وتأثر عليها.

الفائز ٢٠١٠

ترمي بشرر لعبد خال

الرواية عبارة عن لوحة سوداوية بالغة القتامة، تكاد تخلو حتى من مساحات رمادية أو ظلال ألوان أخرى، على امتداد مئات الصفحات، نتابع اعترافات شخص يعمل في أحد القصور الغامضة في مدينة جدة، يسدي خدمات من نوع خاص لمالك القصر: هو ببساطة يقوم بتأديب أعداء رجل الأعمال المفرط في الثراء من خلال اغتصابهم جنسياً، بينما تقوم طواقم تصوير بتصوير العملية كاملة.

لا تبوح الرواية بالكثير عن طبيعة العداوة بين مالك القصر وأولئك الأشخاص الذين يشهد ليل القصر والحي البائس الذي أقيم في وسطه صرخات استغاثتهم، ولكن القارئ يستنتج أنهم ربما منافسون للمالك في عالم الأعمال التجارية، القصر هو هنا مسرح لمشاهد التحلل الإنساني والفساد والشر. ساكنوه ومرتادوه إما رجال أعمال فاسدون أو مومسات أو أشخاص مشوهون يقومون بأعمال تتطلب شخصيات تكون نفسياتها مخزناً للقاذورات، كما يقول المؤلف عبده خال.

بشاعة المشهد الذي تصوره الرواية يجعلك تخمن إنه ربما مشهد مجازي للتعبير عن مقولة فلسفية، ولكن الكاتب سارع لنفي ذلك، فقد قال إنه لا يؤمن بإقحام المجاز والرمز على العمل الروائي دون أن يكون لذلك أساس واقعي. إذن فعبد خال يصور لنا واقعا يشبه الخيال في بشاعته، ويشبه الكابوس في أجوائه المرعبة، هذه الرواية هي صوت للمهمشين فشخصياتها

الفائزون بالجائزة العالمية للرواية العربية ١٠٦

نادرا ما تكون في دائرة الضوء: هي شخصيات بانسة، مشوهة، شبه معدمة، تقدم لك نمطا مغايرا تماما للمتوقع في مجتمع ارتبط اسمه بالثراء والروح المحافظة.

ترفع الرواية السجاد الفاخر لترينا ما كنس تحته من قاذورات لم تستطع أن تخفيها ديكورات القصر البديعة ولا تمكنت عطوره النفاذة من تغييب رائحتها القذرة، رواية "ترمي بشرر" أخذت على عاتقها إضاءة البقاع المظلمة في داخل شخصياتها، وفضح المستور ومواجهة القارئ بحقيقة مؤلمة، يلخصها الكاتب بمقولة فلسفية تعميمية مفادها أن النفس البشرية ليست سوى مخزن قاذورات.

عبد خال

روائي سعودي من مواليد المجنة (جنوب المملكة العربية السعودية) عام ١٩٦٢. حاصل على بكالوريوس في العلوم السياسية من جامعة الملك عبد العزيز في جدة قبلما بدأ مشواره في الكتابة عام ١٩٨٠. من أعماله "حوار على بوابة الأرض"، "ليس هناك ما يبهرج" و"مدن تأكل العشب". ترجمت بعض أعماله إلى الإنكليزية والفرنسية والألمانية. عضو مجلس إدارة في نادي جدة الأدبي ومدير تحرير في جريدة "عكاز"، وله زاوية يومية في الجريدة نفسها.

الفائز ٢٠١١

القوس والفراشة لمحمد الأشعري

طوق الحمام لرجاء عالم

القوس والفراشة لمحمد الأشعري

رواية محمد الأشعري "القوس والفراشة" هي رحلة في حياة مثقف يساري مغربي تعرض لصدمة هزت قناعاته الأيديولوجية، مثالياته ومنظوره لحياته الخاصة، والصدمة جاءت على شكل رسالة مقتضبة تلقاها في يوم عادي من شخص مجهول، "تبشره" بأن ولده الشاب الذي نشأ في عائلة علمانية على مبادئ الانفتاح والفكر الحر، والذي أرسل إلى باريس لدراسة المعمار في أحد معاهدها الراقية "سقط شهيدا في أفغانستان".

هناك حاجة لصدمة بهذا الحجم حتى يبدأ مفكر يساري في إعادة النظر في قناعاته ومثله والدروب التي سار عليها في حياته الشخصية والتي أخذها مسلما بها على مدى عقود، التفكير المجرد هو عملية ستاتيكية تتخذ منها خطيا، وهي بذلك أعجز من أن تدفع الإنسان إلى إعادة تقييم قناعاته الراسخة، إذن، ها هي المأساة تقوم بالمهمة، وتمزه حتى النخاع، ولا ترحم أي مسلم من مساءلتها.

لم يكن الألم هو العنصر الوحيد في المعادلة، وفقدان ابن لم يكن وحده ما دفع بطلنا إلى المضي في رحلة الشك، بل اكتشافه أن ابنه أراد بموته أن يوصل رسالة أراد لها أن تمسك

الفائزون بالجائزة العالمية للرواية العربية ١٠٨

بوالده من تلايب مسلماته. وكان "ياسين" أراد أن يضمن رسالته السؤال التالي: "أبي، هل أنت متأكد؟".

وقد وصلت الرسالة، فلم يعد الأب يحس بأنه متأكد من أي شيء، وبدأ باستحضار ولده وكأنه يريد محاورته حول قناعاته ومجادلته فيها. يبدو الآن أن اتجاه عملية "التعليم" قد انعكس، وكان الابن يقوم "بتعليم" الأب الآن وليس العكس، هذا رمز قوي لإدراك يوسف انه لم يكن يستمع بما فيه الكفاية، بل كان يحاضر طوال الوقت، فقناعاته راسخة. موت ولده جعله راغبا في الاستماع، وها هو يفعل، وعن طيبة خاطر.

وبينما نتابع خطوات بطل الرواية على طريق إعادة تقييمه لحياته الماضية، يستعرض الكاتب محمد الأشعري قصة جيل من اليساريين العرب قطعوا نفس المشوار وساروا على نفس الطريق، تواجههم مآزق فردية وجمعية. قضوا سنوات من حياتهم خلف القضبان، وساعات طويلة في جدل حار، ينسجون حلما بحياة افضل، لينتهوا محبطين يائسين بائسين، وجد يوسف، كغيره الكثير من اليساريين المخضرمين العرب، حلوله الوسط: تمكن من اختزال حلمه في إنقاذ العالم إلى تحقيق توازن هش في علاقته مع محيطه المباشر: العائلة والأصدقاء. حتى أنه استطاع التصالح، طائعا أو كارها، مع النظام السياسي، على السطح على الأقل.

ثم جاءت الفاجعة، لتخلط الأوراق. إحساسه بالفشل قلب توازنه الهش رأسا على عقب، وفقد أشياء كثيرة، بينها حاسة الشم، في تعبير مجازي عن اعتزاله العالم وعدم اكتراثه. لما يجري حوله، في الشهور التي تلت موت ياسين يحاول يوسف إعادة بناء حياته لبنة لبنة، والتصالح مع كل شيء تقريبا: الحب، العائلة، المجتمع، لا بل يستعيد حاسة الشم أيضا!.

محمد الأشعري

ولد سنة ١٩٥١ بزرهون، المغرب، وبعد دراسة الحقوق والإدارة اشتغل بالصحافة السياسية والثقافية حيث ترأس تحرير عدد من الصحف والملاحق الثقافية والمجلات ودأب على نشر مقالات في الآداب والفنون إلى جانب أعماله الإبداعية في الشعر والقصة. ترأس اتحاد كتاب المغرب لثلاث أعوام متصلة وقاده العمل السياسي إلى مسؤوليات نيابية وحكومية، منها تولى منصب وزير الثقافة في بلاده من ١٩٩٨ إلى ٢٠٠٧. نشر ١١ ديوانا شعريا ببغداد وبيروت والدار البيضاء ويعتبر من أبرز الأصوات الشعرية لجيل السبعينات بالمغرب. فازت روايته "القوس والفراشة" بالجائزة العالمية للرواية العربية عام ٢٠١١ ورشحت مؤخرا لنيل جائزة الزياتور الإيطالية. ترجمت أعماله إلى عدد من اللغات الأجنبية. يعيش بمدينة الرباط بالمغرب متفرغا للكتابة.

طوق الحمام لرجاء عالم

أحداث رواية رجاء عالم "طوق الحمام" لا تدور في مكة بالضرورة، بالرغم من أن هذا هو الانطباع الذي يأخذه القارئ لأول وهلة، أما في الحقيقة فإن شخصيات الرواية متشوقة لتحطيم الجدران وكسر الحواجز كافة للتخليق بعيدا عن فضاء مكة. إنها تواقفة لفتح نوافذ على العالم المادي والروحي على حد سواء.

أما المؤلفة فيه لا تمل التخليق في أجواء مكة طوال الوقت. مكة بالنسبة لها هي عالم في غاية الثراء، يمتد عبر الماضي والحاضر والمستقبل. عالم غير مألوف لأولئك الذين لا يحبذون من ألوان الطيف سوى الأبيض والأسود، ولا تنفذ عيونهم إلى أعماق الصورة، "مكة"

الفائزون بالجائزة العالمية للرواية العربية ١١٠

رجاء العالم هي عالم حافل بالأشياء وأضدادها: الإخلاص والخيانة، الثراء والفقر، الجمال المعماري والبشاعة، همسات الماضي وعدوانية المستقبل.

رجاء عالم

كاتبة سعودية، بدأت النشر في الملحق الثقافي بجريدة الرياض، وقامت بكتابات تجريبية للمسرح. نالت جوائز عديدة آخرها جائزة إبداع المرأة العربية بمناسبة ستين عاماً على تأسيس اليونسكو سنة ٢٠٠٥، وجائزة النادي الأدبي اللبناني بباريس سنة ٢٠٠٨. ترجمت بعض أعمالها للإنجليزية والإسبانية.

الفائز ٢٠١٢

دروز بلغراد لربيع جابر

بعد حرب ١٨٦٠ الأهلية في جبل لبنان ينفي عدد من المقاتلين الدروز بالبحر إلى قلعة بلغراد عند تخوم الإمبراطورية العثمانية ويؤخذ معهم (بدلاً من شخص أطلق سراحه بعد أن دفع والده رشوة للضابط العثماني) رجل مسيحي من بيروت (بائع بيض وضعه القدر في ساعة نحس على أرضه المرفأ) يدعى حنا يعقوب. في بلاد البلقان المملوءة بالفتن يحاولون البقاء على قيد الحياة

ربيع جابر

روائي وكاتب وصحافي لبناني ولد في بيروت العام ١٩٧٢، وبسبب نشوب الحرب الأهلية اللبنانية، قضى معظم سنوات الحرب في الجبل في بلدة بعقلين الشوفية، حيث كانت الحياة في ذلك الوقت موزعة بين المدارس والملاجئ، بين الملاعب والحقول وأخبار الاقتحامات والجهات، في العام ١٩٩٦ نشر ربيع جابر تحت اسم مستعار هو نور خاطر رواية عنوانها "الفراشة الزرقاء". نشر ربيع جابر نحو ١٩ رواية ما بين ١٩٩٢ و ٢٠١٤. ففي العشرين من عمره، نشر روايته الأولى سيّد العتمة (١٩٩٢)، وقد فازت بجائزة الناقد للرواية، في العام ٢٠١٠ رشح جابر لنيل الجائزة العالمية للرواية العربية على رواية "أميركا" الذي اقتبس منه فيلم بالاسم نفسه. إلا أنه فاز بها في العام ٢٠١٢ عن روايته دروز بلغراد... وبعد أول رواي لبناني يفوز بالجائزة. كُرم جابر في العام ٢٠٠٩ باختياره ضمن مشروع "بيروت ٣٩"، لاختيار أفضل ٣٩ كاتبًا وكاتبة عرب دون سن الأربعين، وصدر الكتاب بمناسبة بيروت العاصمة العالمية للكتاب في العام ٢٠٠٩. وضّم الكتاب إبداعات لأدباء وشعراء تحت سن التاسعة والثلاثين في العالم العربي. وكان قد تم الإعلان عن القائمة في معرض فرانكفورت العالمي للكتاب في ١٦ تشرين الأول (أكتوبر) ٢٠٠٩

وله شهادة في الفيزياء من الجامعة الأمريكية في بيروت. كما عمل في تحرير الملحق الثقافي الأسبوعي آفاق في جريدة الحياة في طبعها التي كانت تصدر في لندن، وترجمت رواياته إلى الفرنسية والألمانية، منها: "دروز بلغراد"، و"الاعترافات"، و"رحلة الغرناطي"، و"بيريتوس: مدينة تحت الأرض".

الفائزون بالجائزة العالمية للرواية العربية ١١٢

تنوعت موضوعات ربيع جابر الروائية بين التاريخ والواقع الاجتماعي والسياسي والنفسي، ولا سيما في الغوص في تفاصيل وأبعاد الحرب الأهلية اللبنانية وتداعياتها لاحقاً على المجتمع اللبناني، كما كتب عن أعماله العديد من الكتابات والدراسات والأبحاث، من أبرز أعماله الروائية:

سيّد العتمة، شاي أسود، البيت الأخير، الفراشة الزرقاء، رالف رزق الله في المرأة، كنتُ أميراً، نظرة أخيرة على كين ساي، يوسف الإنجليزي، بيروت مدينة العالم، بيروت مدينة العالم ٢، رحلة الغرناطي، تقرير ميليس، بيروت مدينة العالم ٣، الاعترافات، بيريتوس: مدينة تحت الأرض، أميركا، دروز بلغراد، طيور الهوليدي أن، المبرومة.

الفائز ٢٠١٣

ساق البامبولسعود السنعوسي

تأتي "جوزفين" للعمل في الكويت كخادمة تاركة دراستها وعائلتها، التي تعقد آمالها على جوزفين، لتضمن لها حياة كريمة، بعد أن ضاقت بها السبل. وهناك في منزل العائلة التي بدأت للتو عملها في رحابها، تتعرف جوزفين إلى "راشد" الابن الوحيد المدلل لدى الأم "غنيمه" والأب "عيسى"، فيقرر الابن الزواج بجوزفين بعد قصة حب قصيرة، والشروط أن يبقى الأمر سراً، ولكن، تجري الرياح بما لا تشتهي السفن، فتحمل جوزفين بوليدها "خوزيه"، عندئذ يتخلى الأب عن الابن الذي لم يبلغ الشهر الثاني من عمره، ويرسله إلى بلاد أمه، وفي الفلبين، يكابد الطفل

الفائزون بالجائزة العالمية للرواية العربية ١١٣

الفقر وصعوبة الحياة ويمني نفسه بالعودة إلى بلاد أبيه حين يبلغ الثامنة عشرة، ومن هنا تبدأ الرواية.

"ساق البامبو" عمل روائي جريء، يقترب بموضوعية من ظاهرة العمالة الأجنبية في البلدان العربية، ويطرح سؤال الهوية من خلال رصد حياة شاب وُلد لأب كويتي وأم فلسطينية والذي يرجع إلى الكويت، الأرض "الحلم" أو "الجنة" كما صورتها له والدته منذ كان طفلاً.

سعود السنعوسي

روائي وصحافي كويتي من مواليد عام ١٩٨١. نشر نصوصاً في عدد من الصحف والمجلات في الكويت منها جريدة الوطن ومجلة العربي ومجلة الكويت ومجلة الأبواب. يعمل حالياً ككاتب في جريدة القبس. صدر له روايته الأولى "سجين المرايا" (٢٠١٠). فاز بجائزة ليلى العثمان لإبداع الشباب في القصة والرواية في دورتها الرابعة عام ٢٠١٠ وذلك عن رواية "سجين المرايا". حاز على المركز الأول في مسابقة "قصص على الهواء" التي تنظمها مجلة العربي بالتعاون مع إذاعة البي بي سي العربية، وذلك عن قصة "البونساوي والرجل العجوز" في يوليو ٢٠١١.

الفائز ٢٠١٤

فرانكشتاين في بغداد لأحمد سعداوي

يقوم هادي العتاك المقيم بحي البتاوين الشعبي بتلصيق بقايا بشرية من ضحايا الانفجارات في بغداد في ربيع ٢٠٠٥ ويخطبها على شكل جسد جديد. تحل فيه لاحقاً روح لاجسد

الفائزون بالجائزة العالمية للرواية العربية ١١٤

لها، لينهض كائن جديد، يسميه هادي "الشمسه"، أي الذي لا أعرف ما هو اسمه، وتسميه السلطات بالمجرم أكس، ويسميه آخرون "فرانكشتاين". يقوم هذا الكائن بقيادة حملة ثأر وانتقام من كل من قتله، أو من قتل الأجزاء المكونة له، ولكن هذه المهمة لن تكون سهلة بالنسبة له، وتواجهه عقبات عديدة، وينقسم الناس بشأنه، وبشأن حقيقته أو وجوده فعلا. ويكون هذا الموضوع الشاغل الرئيس بالنسبة للعميد السرور مجيد مدير عام دائرة المتابعة والتعقيب المكلفة بملاحقة المجرم الغامض. تتداخل حكايات هذا المجرم مع حكاية هادي العتاغ والعميد سرور والعجوز الأثورية أيليشوا ومحمود السوادي، الصحفي الشاب، الذي يحظى بفرصة إجراء حوار مع "فرانكشتاين" وشخصيات عديدة أخرى، لتتشكل صورة عامة عن مدينة تعيش تحت وطأة الخوف من المجهول، وعدم القدرة على التضامن وضياح هوية المجرم الذي يستهدفهم جميعا.

أحمد سعداوي

روائي وشاعر وكاتب سيناريو عراقي من مواليد بغداد ١٩٧٣. يعمل في إعداد البرامج والأفلام الوثائقية. صدر له "عيد الأغنيات السيئة" (شعر، ٢٠٠٠) وثلاث روايات: "البلد الجميل" (٢٠٠٤)، "إنه يلحم أو يلعب أو يموت" (٢٠٠٨) و"فرانكشتاين في بغداد" (٢٠١٣). حاز على عدة جوائز واختير ضمن أفضل ٣٩ كاتباً عربياً تحت سن الأربعين في مشروع "بيروت ٣٩" في ٢٠١٠.

الفائز ٢٠١٥

الطلياني لشكري المبخوت

يسيطر على أحداث رواية "الطلياني" لغزٌ اعتداء في مقبرة استهدف به عبد النَّاصر، الملقب بـ"الطلياني"، جازة إمام المسجد خلال دفن والده الحاج محمود أمام ذهول المعزّين. فيتكفل الراوي بتقصّي دوافع تلك الحادثة من خلال إعادة بناء الذاكرة الجريحة لصديقه الطلياني مستعيدنا وقائع تمتدّ من طفولته إلى ليلة الحادثة.

والظاهر من أحداث رواية "الطلياني" أنّها رحلة في حياة طالب يساريّ كان فاعلا وشاهدا، في الجامعة التونسية وخارجها أواخر عهد بورقيبة وبداية عهد بن عليّ، على أحلام جيل تنازعته طموحات وانتكاسات وخيبات في سياق صراع ضارٍ بين الإسلاميين واليساريين ونظام سياسيّ ينهار، وفي سياق تحولات قيّمة خلخلت بنيان المجتمع التونسيّ. فتكشف الرواية، من خلال إطلالة الطلياني على عالم الصحافة، أليّات الهيمنة والرقابة بقدر ما تكشف، من خلال علاقته بزينة طالبة الفلسفة الطموحة، هشاشة الشخصيات وتوارخها السريّة وجراحها الباطنيّة.

شكري المبخوت

من مواليد تونس عام ١٩٦٢. حاصل على دكتوراه الدولة في الآداب من كلية الآداب بمنوبة ويعمل رئيساً لجامعة منوبة. عضو في العديد من هيئات تحرير مجلات محكمة منها مجلة "إيلا" التي يصدرها معهد الآداب العربية بتونس ومجلة Romano Arabica التي يصدرها

الفائزون بالجائزة العالمية للرواية العربية ١١٦

مركز الدراسات العربية التابع لجامعة بوخارست، رومانيا. له العديد من الإصدارات في النقد الأدبي. "الطلياني" روايته الأولى.

الفائز ٢٠١٦

مصائر: كونشرتو الهولوكوست والنكبة لربيعي المدهون

هذه الرواية تضيف إلى السرد الفلسطيني أفقا غير معهود سابقا ويمكن وصفها بالرواية الفلسطينية الشاملة تتناول في آن مأساة فلسطين من جوانبها كافة. تقع الرواية في أربعة أقسام، يمثل كل منها إحدى حركات الكونشرتو وحين يصل النص إلى الحركة الرابعة والأخيرة، تبدأ الحكايات الأربع في التوالف والتكامل حول أسئلة النكبة، والهولوكوست، وحق العودة. إنها رواية الفلسطينيين المقيمين في الداخل الذين يعانون مشكلة الوجود المنفصم وقد وجدوا أنفسهم يحملون جنسية إسرائيلية فُرضت عليهم قسرا. وهي رواية الفلسطينيين الذين هاجروا من أرضهم إلى المنفى الكبير ثم راحوا يحاولون العودة بطرق فردية إلى بلادهم المحتلة. إنها رواية فلسطين الداخل والخارج.

ربيعي المدهون

كاتب فلسطيني ولد في مدينة المجدل عسقلان، في جنوب فلسطين عام ١٩٤٥. هاجرت عائلته خلال النكبة عام ١٩٤٨ إلى خان يونس في قطاع غزة. تلقى تعليمه الجامعي في كل من القاهرة والإسكندرية ولكن أُبعد من مصر سنة ١٩٧٠ قبل التخرج بسبب نشاطه السياسي. عمل محررا أو كاتباً في صحف ومجلات، منها الحرية، الأفق، صوت البلاد، القدس العربي،

الفائزون بالجائزة العالمية للرواية العربية ١١٧

الحياة، ومركز الأبحاث الفلسطيني، وكذلك في وكالتي دبلوي تي أن للأخبار المصورة - وكالة أخبار تلفزيونية أميركية، وأي بي تي أن - أسوشييتد برس، للأخبار المصورة، وجريدة "الشرق الأوسط"، التي ما يزال يعمل فيها محررا. من مؤلفاته "السيدة من تل أبيب" (رواية، ٢٠٠٩) التي وصلت إلى القائمة القصيرة للجائزة العالمية للرواية العربية عام ٢٠١٠، وصدرت عن تيليفرام بوكس بالإنجليزية، وفازت هذه النسخة الإنجليزية بجائزة بان البريطانية للكتب المترجمة. كما فازت روايته الثانية، "مصائر.. كونهن الهولوكوست والنكبة" (٢٠١٥) بالجائزة العالمية للرواية العربية للعام ٢٠١٦.

الفائز ٢٠١٧

موت صغير لمحمد حسن علوان

رواية "موت صغير" هي سيرة روائية متخيلة لحياة وليّ صوفيّ هو محي الدين بن عربي منذ ولادته في الأندلس في منتصف القرن السادس الهجري وحتى وفاته في دمشق. تتناول الرواية سيرة حياة زاخرة بالرحيل والسفر من الأندلس غربا وحتى أذربيجان شرقا، مروراً بالمغرب الغربي ومصر والحجاز والشام والعراق وتركيا، يعيش خلالها البطل تجربته الصوفية العميقة التي يحملها داخل روحه القلقة ليؤدي رسالته تحت ظل دول متخيلة ويمرّ بمدن عديدة ويلتقي أشخاصا أكثر ويمرّ بأحداث متخيلة وحروب طاحنة ومشاعر مضطربة.

محمد حسن علوان

روائي سعودي ولد في الرياض، عام ١٩٧٩. يحمل شهادة الدكتوراه في التسويق والتجارة الدولية من جامعة كارلتون الكندية. صدرت له خمس روايات: "سقف الكفاية" (٢٠٠٢)، "صوفيا" (٢٠٠٤)، "طوق الطهارة" (٢٠٠٧)، "القدس" (٢٠١١) و"موت صغير" (٢٠١٦). بالإضافة إلى كتاب نظري بعنوان "الرحيل: نظرياته والعوامل المؤثرة فيه" (٢٠١٤). كتب مقالة أسبوعية لمدة ست سنوات في صحيفتي الوطن والشرق السعوديتين ونشرت له صحيفتا "نيويورك مامز" الأمريكية و"الجاردان" البريطانية مقالات وقصص قصيرة. عام ٢٠١٠، تم اختياره ضمن أفضل ٣٩ كاتب عربي تحت سن الأربعين، وأدرج اسمه في أنطولوجيا "بيروت ٣٩". عام ٢٠١٣، رشحت روايته "القدس" ضمن القائمة القصيرة للجائزة العالمية للرواية العربية وفي العام ٢٠١٥ حصلت النسخة الفرنسية لـ "القدس" على جائزة معهد العالم العربي في باريس كأفضل رواية عربية مترجمة للفرنسية عن العام. شارك علوان في أول "ندوة" (ورشة إبداع) التي نظمتها الجائزة العالمية للرواية العربية في العام ٢٠٠٩ وكان مدربا على الكتابة في ندوة العام ٢٠١٦.

الفائز ٢٠١٨

حرب الكلب الثانية لإبراهيم نصر الله

تتناول هذه الرواية تحولات المجتمع والواقع بأسلوب فانتازي، يفيد من العجائبية ومن الخيال العلمي في فضح الواقع وتشوهات المجتمع في التركيز على فساد الشخصية الرئيسيّة

الفائزون بالجائزة العالمية للرواية العربية ١١٩

وتحولاتها بين موقعين مختلفين، من معارض إلى متطرف فاسد. تكشف هذه الرواية نزعة التوحش التي تسود المجتمعات والنماذج البشرية واستشراء النزعة المادية بعيداً عن القيم الخلقية والإنسانية، فيغدو كل شيء مباحاً حتى المتاجرة بمصير الناس وأرواحهم.

إبراهيم نصر الله

من مواليد عمان عام ١٩٥٤ من أبوين فلسطينيين اقتلعا من أرضهما عام ١٩٤٨، عاش طفولته وشبابه في مخيم الوحدات للاجئين الفلسطينيين في عمّان، الأردن. بدأ حياته العملية معلماً في المملكة العربية السعودية، عاد إلى عمّان وعمل في الصحافة، ومؤسسة عبد الحميد شومان، وتفرغ للكتابة عام ٢٠٠٦. نشر حتى الآن ١٤ ديواناً شعرياً و ١٤ رواية من ضمنها مشروعه الروائي الملهمة الفلسطينية المكون من سبع روايات تغطي ٢٥٠ عاماً من تاريخ فلسطين الحديث. ترجمت له أربع روايات وديوان شعر إلى الإنجليزية، من بينها روايته "زمن الخيول البيضاء" المرشحة في القائمة القصيرة للجائزة العالمية للرواية العربية عام ٢٠٠٩، و"قناديل ملك الجليل" المرشحة في القائمة الطويلة للجائزة عام ٢٠١٣، ووصلت "زمن الخيول البيضاء" إلى القائمة القصيرة لجائزة ميدل ايست مونيتور في لندن، لأفضل رواية عن فلسطين عام ٢٠١٤. كما ترجمت له ثلاث كتب إلى الإيطالية ورواية إلى الدنماركية وأخرى للتركية. ونصرالله إلى ذلك، رسام ومصور، وقد أقام أربعة معارض فردية في التصوير. نال نصرالله ٨ جوائز، من بينها جائزة سلطان العويس المرموقة للشعر العربي عام ١٩٩٧؛ واختيرت روايته "براري الحُم" من قبل صحيفة الغارديان البريطانية كواحدة من أهم عشر روايات كتبها عرب أو أجانب عن العالم العربي. عام ٢٠١٢ نال جائزة القدس للثقافة والإبداع التي تمنح لأول مرة

الفائزون بالجائزة العالمية للرواية العربية ١٢٠

تقديرًا لأعماله الأدبية. فازت روايته "أرواح كليمنجارو" (٢٠١٥) بجائزة كتارا للرواية العربية عام

٢٠١٦.

الفائز ٢٠١٩

بريد الليل لهدى بركات

حكايات أصحاب رسائل، كتبوها وضاعت مثلهم. لكنها تستدعي رسائل أخرى، تتقاطع مثل مصائر هؤلاء الغرباء. هم المهاجرون، أو المهجرون، أو المنفيون المشردون، يتامى بلدانهم التي كسرتها الأيام.

ليس في هذه الرواية من يقين. ليس من قتل مجرماً، ولا المومس عاهرة. إنها، كما زمننا، منطقة الشك الكبير، والالتباس، وإمحاء الحدود... وضياح الأمكنة والبيوت الأولى.

هدى بركات

ولدت في بيروت عام ١٩٥٢. عملت في التدريس والصحافة وتعيش حالياً في باريس. أصدرت ست روايات ومسرحيتين ومجموعة قصصية بالإضافة إلى كتاب يوميات. وشاركت في كتب جماعية باللغة الفرنسية. ترجمت أعمالها إلى العديد من اللغات. منحتها الدولة الفرنسية وسامين رفيعين. من أعمالها الروائية "حجر الضحك" (١٩٩٠)، "أهل الهوى" (١٩٩٣)، و"حارث المياه" (٢٠٠٠) التي فازت بجائزة نجيب محفوظ لتلك السنة و"سيدي وحببي" (٢٠٠٤). وصلت روايتها الخامسة "ملكوت هذه الأرض" (٢٠١٢) إلى القائمة الطويلة للجائزة العالمية

الفائزون بالجائزة العالمية للرواية العربية ١٢١

للرواية العربية عام ٢٠١٣، وترشحت هدى بركات إلى القائمة القصيرة لجائزة المان بوكز العالمية للعام ٢٠١٥ التي كانت تمنح (آنذاك) مرة كل سنتين عن مجمل أعمال الكاتب/الكاتبة.

٢٠٢٠ الفائز

الديوان الإسبرطي لعبد الوهاب عيساوي

ترصد "الديوان الإسبرطي" حيوات خمس شخصيات تتشابك في فضاء زمني ما بين عام ١٨١٥ إلى ١٨٣٣، في مدينة المحروسة، الجزائر. أولها الصحفي دييون الذي جاء في ركاب الحملة على الجزائر كمراسل صحفي، وكافيار الذي كان جندياً في جيش نابليون ليجد نفسه أسيراً في الجزائر، ثم مخططاً للحملة. ثلاث شخصيات جزائرية تتباين مواقفها من الوجود العثماني في الجزائر، وكما تختلف في طريقة التعامل مع الفرنسيين، يميل ابن ميار إلى السياسة كوسيلة لبناء العلاقات مع بني عثمان، وحتى الفرنسيين، بينما لحمّة السلاوي وجهة نظر أخرى، الثورة هي الوسيلة الوحيدة للتغيير. أما الشخصية الخامسة فهي دوجة، المعلقة بين كل هؤلاء، تنظر إلى تحولات المحروسة ولكنها لا تستطيع إلا أن تكون جزءاً منها، مرغمة لأنه من يعيش في المحروسة ليس عليه إلا أن يسير وفق شروطها أو عليه الرحيل.

عبد الوهاب عيساوي

روائي جزائري من مواليد ١٩٨٥ بالجلفة، الجزائر. تخرج من جامعة زيان عاشور، ولاية الجلفة، مهندس دولة إلكتروميكانيك ويعمل كمهندس صيانة. فازت روايته الأولى "سينما جاكوب" بالجائزة الأولى للرواية في مسابقة رئيس الجمهورية عام ٢٠١٢، وفي العام ٢٠١٥،

الفائزون بالجائزة العالمية للرواية العربية ١٢٢

حصل على جائزة آسيا جبار للرواية التي تعتبر أكبر جائزة للرواية في الجزائر، عن رواية "سييرا دي مويرتي"، أبطالها من الشيوعيين الإسبان الذين خسروا الحرب الأهلية وسيقوا إلى معتقلات في شمال إفريقيا. في العام ٢٠١٦، شارك في "ندوة" الجائزة العالمية للرواية العربية (ورشة إبداع للكتاب الشباب الموهوبين). فازت روايته "الدوائر والأبواب" بجائزة سعاد الصباح للرواية ٢٠١٧. فاز بجائزة كتارا للرواية غير المنشورة ٢٠١٧ عن عمله "سفر أعمال المنسيين".

الوحدة الثانية- مختارات من القصة القصيرة

الدرس الأول

زهرة تدخل الحي- ليلي العثمان

دخلت زهرة العلي ذات ليلة لا أحد يعرف من هي! ولا كيف جاءت! ولماذا جاءت: ومن الذي استأجر لها هذا البيت الذي تطل شبابيكه على البحر. رغم هذا، فتح للبيت باب آخر من ناحية البحر. كانت زهرة تشرعه في الليل. تجلس عند بابه وتسهر. قال جيرانها إن زهرة تعشق البحر. تناجيه مناجاة الخليل للخليل، تبته أشواقا دافئة. تغني له. يسمعون لها صوتا حنوناً، أو صغيراً ناعماً ذا موجات كأنها لغة عصافير ضالة.

زهرة امرأة ناضجة فوق الثلاثين. جميلة لها وجه أبيض صاف مستدير، وخذان متوردان يكاد ينفر دمهما. وعينان سوداوان واسعتان يحرسهما حاجبان رقيقان أشبه بسيفين حادين. أما شعرها فيندسل شلالاً كستنائياً يغطي أطراف كتفها البضين. وحين تبتسم زهرة تنفج شفاتها عن صفيين من اللؤلؤ الصافي. ويبرز في أقصى فمها طرف سنّ ذهبية سرعان ما يختفي حين تغلق الشفتين المكتنزتين.

زهرة جميلة. والعي هادئ وديع. بيوته الطينية لا تحمل صدى لأحقاد. الناس في العلي متأفون. حتى الحمام على الأسطح تعرف أوكارها. ولا تتوه. ولا تنغرب. وحين دخلت زهرة العلي، هلعت قلوب النسوة الأمنات. لعب الشك في قلوبهن. ابتدأت السؤالات: هل هي متزوجة؟؟

إذن! لماذا تسكن وحدها؟

هل هي أرملة أو مطلقة؟

الخوف يزداد: أم تراها عذراء ستحافظ على نفسها وشبابها؟

حين عبثت الشكوك والمخاوف في القلوب. لم تعرف النسوة طريقا لراحتهن إلا بيت "أم محمد" وقلب أم محمد الذي اعتاد أن يحضن هموم الحي، ويواسي كل مفجوع، وبارك لكل فرح. يزغرد لسانه وترقص شفتاه، قل أم محمد الذي لا يفرق، ولا يعرف الكره أو الحسد.

قالوا لها:

يا أم محمد. زهرة فاتنة. بابها مشرع للريح. زهرة تحب هواء البحر وأزواجنا فيه يعملون. ونحن نخشى عليهم من الفتنة.

بان الضيق والأسف على وجه العجوز الطيب وعاتبنت:

تخافون على أزواجكم. ولا تخافون على بحرکم.

البحر للجميع يا أم محمد. زهرة تعشق الحر.

لمعت جمعة في عين أم محمد. طاف حزن كأنه أت من البعيد:

هل تحب زهرة البحر أكثر منا؟ هل تعشق رمله وريحه؟؟

زهرة تدخل العي - ليلي العثمان ١٢٥

وموجه أكثر مما عشقناها؟ هذا البحر بحنا. هو ذا أمامكم. أسألوه: من عشقه؟ كم قلبا نهش. وكم قلبا أسعد! كم أخذ منا، وكم أعطانا؟ عظام رجالنا صارت له مجاديف. وأعناقهم صوار. بحرنا لا أحد يعيشه سوانا. أنتم لا تتأملون.

تململت النسوة. قالت إحداهن:

يا أم محمد، جئنا نأخذ منك المشورة. ماذا نفعل مع زهرة؟ كيف نحبي رجالنا؟ وأنت هداك الله تتكلمين عن البحر. وكأنك تخشين أن تسرقه زهرة وتترك الرجال.

هزّت أم محمد رأسها:

هذا ما يتأجج في قلبي لكنكم لا تعلمون. اذهبوا إذن إلى زهرة. جسّوا نبضها. افهموا منها ماذا تريد. ولماذا جاءت! وتفكروا في كل ما تقول.

رحبت بالنسوة ترحيبا فاجأهنّ. قبّلت كل واحدة منهنّ وكأنها تعرفها من زمن بعيد. سألت كل واحدة عن أحوالها. تلك عن زوجها المريض. وتلك عن ابنتها التي تعتّر حظها. وسألت أخرى عن كَنّتها التي لا تحل. وقررن أن تصف لها علاجا فرفر الفرج على وجه المرأة. سألت عن "أبو يوسف" النجار الذي بترت يده وقبع في البيت وعن "شيخوه" التي تبيح نفسها للرجال. وأكدت أن الشرف والفضيلة فوق كل شيء. آخر ما سألت عنه زهرة. وبحرص شديد، سألت عن -أم محمد- وهل ما زالوا يلتقون حولها. وتصير سرايين قلبها أذرا تضم الجميع؟ هل ما

زهرة تدخل الحي- ليلي العثمان ١٢٦

يزالون يحبونها ويؤمّون دارها عند الشدائد والأفراح؟ فوجئت النسوة بأن زهرة تعرف الشيء

الكثير عن الحي، وأهله.

بادرتها إحداهنّ:

إذن هذا سبب اختيارك لحيّنا؟ سمعت عن ناسه الطيّبين.

رفعت زهرة حاجبا. وبكل الثقة قالت:

في كل مكان يوجد أناس طيبون. ليس هذا مقصدي. سمعت أن الحياة هنا أرحب. جئت

أبحث عن وضع أفضل.

قال أخرى:

أو ربما لأجل البحر.

أومأت زهرة بكفّها:

بالضبط. هواء بحركم يناسبني.

لكنّ الرطوبة عندنا شديدة. تتعب الصدر. وأنت تتركين الباب مشرعا للريح طوال الليل.

ألا تخشين من اللصوص أو الكلاب السائبة؟

ضحكت زهرة باستخفاف:

زهرة تدخل الحي- ليلي العثمان ١٢٧

لصوص!! كلا! أنا لا أخاف. إذا جاء اللص أعرف كيف أتعامل معه. أما الكلاب! فلها

علاج آخر.

يا زهرة. جئت وحدي وما تزالين.

فهمت زهرة صيغة السؤال. ابتسمت:

تركت زوجي.. وأولادي هناك ربما يأتون.

ارتطم الخوف بقلوب النسوة. إذن لها زوج بعيد وهي جميلة.

وأزواجهن لهم عيون فتانة وأيضا لهم طباع النمل الذي يمشي إلى "رائحة الدسم".

وزهرة! يا لها من امرأة!

أحست بما في العيون من رعدات، فتودّدت:

أنا لا أحب الخروج. ولا الأسواق. ولا زحام الناس. أفضل أن أبقى هنا. ولكن!!

صمتت. لاح حزن على وجهها. تعاطفت بعض النسوة معها:

لو بقيت هكذا ستشعرين بالوحدة. أنت غريبة. صرت جارة، نحن مستعدات لكل ما

تطلبين. وإلا من أين ستعيشين؟؟

تناغم الحزن في صوت زهرة:

هذا ما أفكر فيه. زوجي يتأخر حتى يرسل المال. لهذا أنا بحاجة للعمل.

تبادلت النساء النظرات وثارَت السؤالات:

ماذا بإمكانك أن تعملِي؟

وأي عمل ستقوم به امرأة جميلة مثلك؟؟

كان في السؤالات كثير من الفضول. والقلق. والتشوق لمعرفة الجواب.

قالت زهرة:

أنا أتقن أعمالا كثيرة. التطريِق. الخياطة. عمل الحلوى وبعض الفطائر التي لا أظن أن
حيكم يعرفها. وأيضا أتقن كل ما يمكن كنساء من أعمال الزينة. و"الحفافة" ثم أنا امرأة أتقن
لغة جديدة. قد أستطيع تعليمها لمن ترغب.

ترغبين إذن في العمل بين البوت؟

هذا ما أريد. أحتاج إلى المال كي أعيش. المال الحلال.

وشدّدت على كلمتها الأخيرة لتبذر الأمان في قلوب النساء. وتهندن جميعا مسحات على

صدورهن:

"المرأة شريفة.. تريد العمل الحلال".

زهرة تدخل العي - ليلي العثمان ١٢٩

عدلت أم ممد من وضع "ملفعتها" الأسود الذي تفوح منه رائحة دهن العود. ومسحت

على وجهها. قالت:

انتبهن يا نساء يا طبيبات العي... أيها العيون التي لا ترى إلا الخير. الفتنة تدخل بيوتكن.

زهرة دخلت كل البيوت. زهرة تزينت. أصبحت حديث العي. سموها "هبة الريح" لسرعة

حركتها. وإتقانها كل عمل تنجزه. ارتدت نساء العي أجمل الثياب. وتزينت "المطارح والمساند"

بالتطازير. وبالترتر الملون. تجملت وجوه النساء بأصباغ. وتفتنت زهرة في تجديد شعورهن

الطويلة. صارت كل البيوت تحب زهرة، تطلبها وتكرمها. فكل النساء راضيات. زهرة ذكورية.

تحرص على ألا تحتك بأي رجل. لا من الأزواج. ولا من الأبناء. إذا دخل واحد منهم فجأة دون أن

يتنحى أو يطلب "دريا" تثور زهرة، يحتقن وجهها وتسب بكلمات غير مفهومة. تنتصر النساء

لها، يؤنين الذي فعلز لا يردن أن تغضب زهرة. وتعاف بيتا من البيوت. لكن حلم زهرة ظل أن

ترى أم محمد.

سألت إحدى النساء:

ألا تريد أم محمد أن أخيط لها ثوبا؟؟

قالت المرأة:

أم محمد حريصة على ثيابها القدمة لا تستبدلها. ولا تفرط بها.

زهرة تدخل الحي- ليلي العثمان ١٣٠

ألا أصنع هلهما مساند؟ فطائر؟؟

مساندها "السدو" أغلى عليها من كل شيء وهي لا تحب الفطائر. تصنع بنفسها "قرص

العقيلي".

ذاب حلم زهرة، صارت كل البيوت بيتهما. إلا بيت أم محمد. ظل موصدا.

ولم تثر زهرة أية مشكلة في أي بيت. صارت محبوبة. كوّنت الصداقات. أصبحت الغربية

واحدة من أهل الحي. ونسي الناس الطيبون تساؤلاتهم، نسي الناس بيت أم محمد. تحدثوا عن

زهرة. صارت هذه الزهرة كالبيت لهم. داخل أوراقها يستريحون. ومن شذاها يتنفسون ومن

بريقها يستمدون كل جديد. وحدها أم محمد تمسح كفا بكف. ترى.. وتصمت.. وتردد:

"لا حول ولا قوّة إلا بالله".

حين تطفأ الأنوار. ويغلق الليل عيونه. تشرع زهرة الباب. فيأتي هواء البحر منعشا.

تحمل رائحته عطرا خاصا تلوّح زهرة بيدها الجميلتين. وحدها ساهرة عند الباب.. الناس نيام..

وعينا أم محمد في الفراش لا تنامان.

ذلك النهار، لقي الناس في بيت زهرة صبية جميلة. سألوها فقالت:

هي أختي.

زهرة تدخل العي - ليلي العثمان ١٣١

رحبوا بها. غريبة حديدة. هي أخت زهرة المحبوبة. والعي الطيب يحب الضيوف. ويكرمهم.

بعد أسابيع جاءت غريبة أخرى. استأجرت لها زهرة بيتا على البحر.

من هذه يا زهرة؟؟

هي ابنة عمي. مات عائلها. جاءت تبحث عن عمل.

وحين دخل البيت شاب جميل يقف الصقر على زنديه قالت زهرة:

لا تنزعجوا. إنه زوج أختي. يتقن أعمالا كثيرة ولكن!

واهترت قلوب النساء:

ماذا يا زهرة؟؟

يريد بيتا قريبا مني. ولا أحد.

لم يدم حزن زهرة أكثر من أسبوع. كان صاحب أحد البيوت يترك بيته ويؤجره.

كثير أقارب زهرة. يأتون. لا أحد يتساءل كيف يأتون. وأي ربح تحملهم. العي غارق في

طيبته. وفي الترحاب اليد الآتية "تسد العين" تعمل. تنتج. وتبعد. لا تكل ولا تتذمر. لا تكره أن

تؤمر فتطيع. الكل يشكل زهرة التي تكرمت على العي. فيكرمونها.. أي بيت تختاره زهرة يفرغونه

للأنساب. ثم دفعت زهرة مبلغا كبيرا واشترت البيت. وحذا حذوها كثير من الأقرباء. امتدت

بيوتهم على طول الساحل. ولكل بيت باب يشرع. لأن هواء البحر الذي يناسب زهرة يناسب كل

الأقرباء والقريبات. الذي صاروا من أهل العي. ممن صلب العي. وأحبهم كل العي.

زهرة تدخل الحي- ليلي العثمان ١٣٢

وحدها أم محمد. تضرب كفا بكف. ويبرعم الخوف في صدرها. تتنهد:

"لا حول ولا قوة إلا بالله. لقد باعوا البيوت".

استيقظ الحي ذات يوم على صدى النواح. كانت النساء الغربيات متشحات بالسواد.

سيولا.. تصب في بيت زهرة. تسأل الحي ما الخبر؟؟

جاء الجواب:

مات لزهرة عزيز.

وفي بيت زهرة ولولت النسوة وضربن على صدورهن، وخارج بيتها سكن الرجال. وبكوا.

عشرة أيام متتالية والحزن الأسود يعرّش على الحي. حزن له لون خاص. وعطر خاص.

تعطل الحي. وقبعت نساؤه في البوت فكرن أن يذهبن لبيت أم محمد.

استقبلتهن وفي خاطر عتاب:

طالت غيبتك.

شغلتنا الحياة يا أم محمد.

بل شغلتنك زهرة.

نحن نحبك يا أم محمد. ولا نستغني عنك. ولا عن مشورتك.

ما الذي يقلقكم؟

زهرة تدخل الحي - ليلي العثمان ١٣٣

الحي معطل. الرجال الغرباء على الساحل يبكون. والنساء في بيت زهرة يولولن. لا نعرف
معنى لهذا الحزن يا أم محمد.

لتعرفوا أن لكل حزنه. أحزاننا غير أحزانهم. هذا العزيز الذي مات سيحزنون عليه كل
مرة عشرة أيام. ونحن ندفن موتانا. نؤمنهم الله. وترحم عليهم ونكره الحزن والسواد.

كل البيوت سوداء يا أم محمد.

كانت بيوتكم لكنكم بعتموها، صارت الآن لهم لا يحق لكم الاعتراض على ألوانها.
وتهدت أم محمد.

سمعت النساء تهيدتها تشق صدرها. وتفزع إليهن همسات تخرج من أفواه النساء. فيها
ندم.. وفيها خوف وفيها تردّد في السؤال:

ماذا نفعل يا أم محمد؟؟

ومن قلبها نبعت أذرع حنان. شبكت النساء إلى صدرها. قالت ولغتها أغنية تصدح:
أنتم أبناء حيي، أهلي. وناسي. أعرفكم فكونوا حذرين. أغلقوا البيوت دون كل غريب.
واحضنوا الحبر الذي من مائه تشربون.

بكت النساء.

بكت أم محمد. اختلط ملح الدموع. صار حبة لؤلؤ تذكر بوجه ذلك البحار القديم الذي
صنع السفينة.

منذ دخلت زهرة الحي. وعيون أم محمد ساهرة قلقة، لكنها الليلة غير كل الليالي. لقد جاءتها نساء الحي. وقد بدأت عصافير الخوف تبني أعشاشها في قلوبهن، وقلوب رجالهن. جئن يفتحن القلب، والجرح. فتسيل الأحزان وتفتق القلب. أكثر في عيني أم محمد.

هم ناسي.. وأهل حيي. هم أولادي. يأسفون بعد الخطأ يطلبون مشورتي.. واه.....

صفقت كفا بكف:

ما باليد حيلة يا عيالي.

حملها الأرق إلى الحر. هجعت على رمله. خلعت ملفعها وانسدلت ضفائرها الشائبة حبلا حنوناً يودّ لو يضم الشاطئ كله إليه.

امتد بصرها الضعيف إلى البعيد. تذكرت زمنها الراحل. والدها الذي كان يأتي بعد سفر طويل يحمل رائحة البحر ضاحكا لنصر.. أو عابسا لفشل.

وزوجها الذي تبع أباه وركب البحر. عشقا ينتقل بالدم. تحس هواه يسري مع النسمة داخلها. تنتشق روائح "الغاصة". وتسمع صدى زغاريد النسوة وفرحة العودة. المراكب البيضاء تلوح أشرعها وترقص. من هنا كانت نجيء لا من هناك.. والبحر واسع يتلألأ تحت شعاع القمر وعلينا أم محمد تعانقانه. وتزرعان فيه كأنهما تصلان إلى العمق. لونه تحت الضوء الحاني صاف.. وهي تتابع موجه تتابعه.. تتابعه.. و..ماذا هناك؟

عينها تصطدمان بأشياء تتحرك.

استقامت أم محمد. لملمت جدائلها وغرست النظرة الضعيفة. صارت نظرة صقر.
مراكب تدنوا. ولا ت صل، هي تراها تنزف خيالات متحركة. تندلق في الماء. يتطاير الرذاذ. أسماك
تلك أم حوريات! أم تراها شياطين؟ خفق قلبها. وانهار جسدها الطيب إلى الرمل ثانية. توسّدت
ذراعها. قالت:

لن أتحرك سأرى ما الذي يجري في البحر. أي ريح تأتي وأي شيء تنزفه؟ الخيالات تتحرك
هارة إلى الشاطئ. ثم خطوطا خطوطا.. إلى الأبواب المشرعة.

قناديل حمراء تتدلى تعابثها الريح الخفيفة وحين تدلف الخيالات تطفأ القناديل. وتغلق
الأبواب.

في الصباح. وحد الناس باب بيت أم محمد مشرعا. انهمروا عليه. هم يعرفون أن أم
محمد لا تشعّ باهبا إلا إذا كان لديها أمر تودّ الإفصاح عنه.

أعلنت أم محمد عن كل ما رأته. وانبلجت العيون خائفة غير مصدقة. لكن الناس ما
اعتادوا منها الكذب. ولا الخداع. هي أمهم الكبيرة. هي القلب الأليف الذي عليه يهجعون.

كل الأذان أشرعت للخبر الكبير. حتى أذان زهرة. والأقرباء.. ثارت.. ثاروا صرخت في

الناس:

أم محمد خرّفت.. مجنونة.. تحلم..

وصرخت مرة أخرى:

إنها تتبلى عليّ وعلى ناسي.

صدّ عنها الناس، حملت جسدها الرائع وثورتها وذهبت إلى بيت أم محمد، تبعها الأقراء

الكثيرون، ملأوا الشوارع بالهياج.. وبالصياح.

وقعت عيننا زهرة على بيت أم محمد..

هي المرة الأولى!

خرجت أم محمد هادئة. واثقة. مبتسمة. شعاع منير ينبع من كل الوجه الذي اعتاد

الطيبة. وعاشق في سلام. رفعت ذراعها لتوقف السيل. فتدلى كل ثوبها المشغول "بالزّي".

التمعت عليه أشعة الشمس. أثار وهجا... نقاطا ذهبية شععت في المكان. وعلى الوجوه الحاقدة

كسرت الأشعة العيون. لكنها لم تكسر اللسان. صرخت زهرة في وجه العجوز بكلمات فاسقة.

فوجئ أهل الحي. كأن الصرخة لطمت كل الوجوه. تجمّعوا حول أم محمد. حول حدران البيت

الطيني التصقوا بجمونه. وبعضهم وقف سدا.

كانوا قلة. كانت زهرة والغرباء أكثر. لكنهم وقفوا، هياؤا الأذرع لتدافع عن أهمهم.. وجدار

البيت.

زهرة تدخل الحي- ليلي العثمان ١٣٧

شتمت زهرة. عيّرت أم محمد بعجزها. عيّرت أهل الحي الذين استكانوا وتعالوا.. عيّرتهم بسواعد الأقرباء التي تعمل.. عيّرتهم بكل جديد جاءت به إليهم. عيّرتهم بأنها بأموالها عيّرت.. وبدّلت في الحي. وفي البيوت.. لم تأت أم محمد بحركة.

لم تبتك.

لم تلطم خديها.

لم ترد على السباب... ولا التجريح. كل ما يحدث أمامها.. وما يقال. كانت تعلم أنه سيحدث. لكنها لم تستطع أن تقنع الناس به.

النساء باهتة وجوههن، والرجال كاظمون الغيظ ولكن! حين صرخت زهرة مهددة:

سأطردكم من هذا الحيّ.

اشتعلت الثورة في النفوس. صرخوا بصوت واحد:

سنطردك يا زهرة.

هزت ضحكها المكان.

تطلع الناس إلى وجه أم محمد الباكي بصمت.. تابعوا نظرتها الحزينة.

كانت تعدّ البيوت الممتدة على الساحل.. وتابعت كل العيون.. كل البيوت.. كلها.. ليست

لهم.....

وهزّت أم محمد رأسها.

ليلى العثمان (١٩٤٥ -)

قاصة ورائية وكاتبة صحفية من الكويت، ولدت في بيت يهتم بالعلم والأدب، وكان والدها (عبد الله العثمان) يكتب الشعر، وله ندوة أدبية يرتادها كثير من المثقفين. حالت ظروفها الاجتماعية دون استكمال دراستها بعد المرحلة الثانوية، ولكنها أخذت نفسها بالقراءة، ومارست الكتابة في مرحلة مبكرة من العمر، وعرف نتاجها طريقه إلى النشر، منذ سنة ١٩٦٥، في الصحف الكويتية المحلية، والتزمت بكتابة زوايا أسبوعية في عدد من المجلات العربية.

عملت في مجلة "الكويت" بوزارة الإعلام عام (١٩٧٨) ثم استقالت لتتفرغ للكتابة، ونالت عضوية عدد كبير من المؤسسات والجمعيات العاملة في مجال الثقافة والعمل التطوير وحقوق الإنسان، من بينها رابطة الأدباء في الكويت واتحاد الكتاب العرب ومنظمة العفو الدولية (فرع الكويت).

للكتابة مشاركات واسعة في الندوات الأدبية والمؤتمرات النقدية، ومؤتمرات العمل النسائي في بلدها وفي عدد من البلدان العربية والأوروبية من بينها مصر ولبنان وسوريا والمغرب وتونس وهولندا وفرنسا، كما نالت عددا غير قليل من الجوائز وشهادات التقدير على المستويين المحلي والقومي. صدرت لها مجموعة قصصية بعنوان "امرأة في إناء" (١٩٧٦) تلتها

زهرة تدخل الحي- ليلي العثمان ١٣٩

ثلاث مجتمعات قصصية أخرى هي: "الرحيل" (١٩٧٩)، و"الليل تأتي العيون" (١٩٨٠) و"الحب له صور" (١٩٨٢)

أما في مجال الرواية فصدر لها "المرأة والقطة" (١٩٨٥) ورواية "وسمية تخرج من البحر" (١٩٨٦)، تابعت الكتابة إنتاجا في القصة والرواية والمقالة فنشرت ما بين عامي (١٩٨٧ و ٢٠٠٣) عشرة أعمال كان آخرها "العصص" (٢٠٠٢) و"يوميات الصبر والمر: مقطع من سيرة الواقع (٢٠٠٣)

ويتميز إنتاجا من حيث الكم بغزارة ودأب لافت، ومن حديث التجربة باحتلال المرأة وقضيتها الإنسانية والاجتماعية مساحة كبيرة من هذا الإنتاج، كما أن الهم الوطني والقومي والإنساني يتحلى بأطيافه المتنوعة على نحو بعيد من المباشرة، وبلغته يصفها على الراعي في معرض حديثه عن بعض رواياتها بأنها "لغة قوية مشرقة، ترتفع في غير مكان إلى مرتبة الصور الشعرية."

الدرس الثاني

الجثة الغربية- محمد شكري

صراخ في الساحة الكبيرة. جسم حي يسقط على الأرض. الناس يصلون من كل مكان
 راكضين. الجسد المحتضر ينظر إلى السماء المشرقة. عيناه تنطفئان شيئاً فشيئاً. همد.
 العاشرة صباحاً. الناس يصلون بسرعة من كل الاتجاهات. الشمس توقظ في الذاكرة
 ذلك الإله القديم.

لم يعد يتحرك.

لا أحد يستطيع أن يحركه. إنه مات بكل غرابة. حادث مخيفة. الناس في النوافذ، في
 الشرفات، على سطوح، فوق الأشجار. والمرضى، الكبار والصغار، الأغنياء والفقراء. كلهم
 يدركون أن الجثة غريبة. لا أحد يستطيع الاقتراب منها.

الحادية عشرة. الجثة ما تزال هناك. كثيرون جالسون الآن. بين حين وآخر ينضم
 الواقفون على الجالسين. عيونهم لا تتعب النظر إلى الجثة. شرارات تتطاير منها الآن.
 يتشاءبون، ينعسون، يشربون مشروبات مثلجة، يأكلون الشطائر المحشوة، يدخنون،
 يلوكون العلك، يسمون، يتغزلون، يضحكون. يتدافعون بالمناكب مزاحاً أو جدياً، يحاولون

العثور على مكان مناسب للوقوف أو الجلوس. يذهبون هنا وهناك. يستفسرون عن غرابية الجثة. يختفون في جولة قصيرة ثم يعودون حدهم أو صحبة الواصلين الجدد.

الحادية عشرة والنصف. كثير من الموظفين يصلون إلى الساحة مندهشين. خرجوا من مؤسساتهم قبل الأوان ليروا الجثة الشهابية وهي في بداية تشوهاها. الشمس كاوية. يجففون عرقهم بمناديلهم وأكمامهم. يتزاحمون بضيق على احتلال الأماكن الظليلة بالأشجار أو تحت أسقف المتاجر والمقاهي. شيخ يترنج. يسقط على شابة واقفة. نساء يصرخن. أطفال يبكون. رعب شديد يبدو على وجه الشابة.

إنها الدوخة فقط. لا تخافي، لم يمت. يبدو أن هذه الشمس الحارة أثرت عليه.

امش إلى منزلتك. (يلتفت حوله: أين يسكن)؟ إنك لن تقوى على البقاء هنا تحت هذه الشمس القوية.

الشيخ يتحرك بضعف ويقول:

خلّوني هنا. هاتوا لي قليلا من الماء.

الثانية عشرة وبضع دقائق. الموظفون ورجال الأعمال يصلون الآن إلى الساحة. بعض ا
لواقفين ينضمون إلى الجالسين. يأكلون شطائرهم المحشوة بلذة.

لم يكذبوا عليّ إذن. إنها حق جثة غريبة.

منذ العاشرة صباحا وهذا الجسم الغريب هنا.

انظر كيف يرسل الآن البخار الفوسفوري.

إني أرى.

هذه أول مرة أرى فيها جثة ترسل مثل هذه الشهب الفوسفورية.

إنها جثة غريبة.

أستذهب هذا المساء إلى العمل؟

ما أظن.

لكن رؤساءك سيعرفون أنك هنا تشاهد تلاشي الجثة الفوسفورية حتى النهاية.

حتى هم موجودون هنا. ما أعتقد أنهم سيعودون إلى عملهم. سترى.

دثة تحرق نفسها بنفسها. من يستطيع أن يترك هذه الظاهرة تفوته؟

صحيح. إنها ظاهرة غريبة.

ربما هو نوع "جديد" من البشر.

من المحتمل.

ألم يقترب أحد من الجنة؟

أنت مجنون أم ماذا؟ من يجرؤ؟ تحرق نفسها ومن يقترب منها.

لكن أحدا لم يجرؤ حتى الآن.

ومن تظنه يجرؤ أن يغامر بحياته أمام هذه الظاهرة؟

غرابية.

لماذا لا تحاول أنت؟

أنا؟

نعم.

ولماذا؟

من أجل أن تعرف فقط أهي تحرق أم لا!

حاول أنت الأول.

أنا أعرف أنها تحرق.

كيف؟

انظر. انظر كيف تتطاير منها الآن الشرارات. الغريب هو أن الرائحة لا تفوح منها كما يحدث للجنة المحترقة.

إنها جثة لا تشبه كل الجثث.

ربما ستفوح رائحتها عندما تغيب الشمس.

ما أظن. الرائحة تفوح عادة من الجثث في النهار أكثر مما تفوح منها في الليل.

سئري.

ربما هي جثة من عالم آخر.

كل شيء محتمل. من يعرف؟

يسترخون. ينعمون بقليلولتهم...

نساء وفتيان يتجمعن بسرعة تحت إحدى أشجار الرصيف. يشكلن حلقة. إحداهن تخلع جلبابها. أربع يتطوعن لمسكن بالجلباب. فتاة تخلع معطفها. تمسكه اثنتان من طرفيه. يشكلن غطاء بالجلباب والمعطف فوق النساء المنحنيات.

مسكينة! ليصحبها الحظ.

طفلتها تبكي.

لا تخافي لا ابنتي. أمك معك هنا. إنها بخير. لا تخافي. أنت معنا.

تضمّنها فتاة. تحملها على ذراعها. تقبلها وتلاعبها. الطفلة تهدأ. يتجمعن ويتجمعن.
يتسابقن ويتسابقن من كل مكان إلى الحلقة النسوية. يقترب طفل من الحلقة. يحاول أن يخترق
بنظراته الغطاء النسائي. تبعده امرأة بلطف:

امش من هنا. لا ينبغي لك أن ترى ما يحدث.

ينظر إليها الطفل بعناد ومشاكسة.

لن أذهب.

تحاول أن تبعده بلطف. يتعدد مستهزئتها. تغضب المرأة.

انظرن إليه. لا يحشم. اقترب مرة أخرى وسترى ماذا سيقع لك.

يتسابقن. يتدافعن يضيّقن الحلة. يتناولن. يدسسن أنوفهن هنا وهناك. يبحثن عن ثرة
يرين من خلالها كيف يسير الحادثة داخل الحالة. يصلن من كل مكان. الحقّة تكبر وتكبر وتتسع.
أطفال أضعوا ذويمهم. آخرون يلعبون الاستغماية. صرخات. بكاء. ضحكات. بحث. رض.
شجار. وع.. وع... وع ع ع...! صبي! إنه صبي!

كيف هي؟

بخير.

محظوظة.

الساحة مضاءة أكثر من العادة. ما زالوا يجيئون من المدن الأخرى، القريبة والبعيدة. آلات سينمائية تصور تلاشي الجثة الشهابية. الفوسفور ما زال يشع منها. أطفال ينامون الآن معانقين أمهاتهم وأقاربهم وآخرون يلعبون. تلاميذ يراجعون فروضهم. أساتذة يحضرون دروسهم أو يصححون لتلامذتهم. رؤساء ومرؤوسون. الجثة الآن شبه مترمدة. الأطراف تبدو مفككة. الجمجمة التي انفصلت عن الجسد تلمع أكثر من كتلة الهيكل العظمي. يفقدون اهتمامهم بتلاشي الجثة البطيء، لكنهم يظلون هناك. يبتعدون في جولة قصيرة ثم يعودون ليحلوا محل الذي ملوا من الجلوس. يتناوب الواقفون والجالسون على الأماكن الأكثر مواجهة مع الجثة. كثيرون يحملون معهم بطانيات، وسائد، أدوات الطبخ وأفران الغاز.

محمد شكري (١٩٣٥-٢٠٠٣)

روائي مغربي، ولد بإقليم الناظور شمال المغرب. تعلم القراءة والكتابة بعد العشرين. عاش طفولة قاسية انعكست ظلالها على كتاباته القصصية والروائية، وعرف بجراته على الممنوعات أو المحرمات.

كتب الرواية والأقصوصة والمسرحية، وقد ترجمت بعض أعماله إلى لغات متعددة منها الفرنسية والإنجليزية والإسبانية والألمانية.

له مجموعتان من القصص هما: "مجنون الورد" (بيروت ١٩٧٩)، و"الخيمة" (الدار البيضاء ١٩٨٥).

وله في الرواية: "الخبز الحافي": سيرة ذاتية (الدار البيضاء ١٩٨٢)، وكانت قد كتبت بالإسبانية والإنجليزية (١٩٧٠..). قبل أن تنشر بالعربية لأول مرة عام ١٩٨٢. وكان المؤلف -على ما يبدو- قد اقتصر دوره على تقديم المعلومات الشخصية المذهلة عنه وعن أسرته، للروائي الأمريكي (بول باولز) الذي صاغها هو ونشرها باللغتين الإنجليزية والإسبانية. ثم ترجمها إلى الفرنسية الطاهر بن جلون (١٩٩٧)، ولكنها لم تنشر بالعربي باسم مؤلفها إلا عام ١٩٨٤، و"السوق الداخلي" (الدار البيضاء ١٩٨٥)، و"الشطار" (١٩٩٠)، و"زمن الأخطاء" (الدار البيضاء ١٩٩٢) (ترجمت إلى عدة لغات).

وله أيضا في السيرة: "جان جونييه في طنجة"، و"تينيسي وليامز في طنجة" و"بول باولز في طنجة"، يعد محمد شكري من أبرز الكتاب المغاربة، اختص في السيرة الراضية، التي تصور معاناة الفقراء والبهائسين، حياته غير منفصلة عن أدبه، عالج مساب كثيرة من وجوه "المسكوت عنه".

والملاحظ أن أدب محمد شكري يصنف ضمن ما اصطلح على تسميته بأدب المهمشين، خليط من المنبوذين والمحرومين والمهريين والعاطلين... فضاءاته، القبو والشوارع والدروب المظلمة، الليل والعممة والساعات المربكة للكائن... كتابته على هامش الأدناس ا لأدبية المستقرة، فنصوه خليط من السيرة الذاتية والتخييل الروائي والقصصي، والمعيش واحتمالاته المتعددة.

إنزاح عن الأطروحات أو "التييمات" الأدبية المهيمنة كالأطروحة الوطنية والاجتماعية التي تواترت ي كتابات عبد الكريم غلاب ومبارك ربيع وغيرهما، لينزل إلى القاع ويقارب

المسكوت عنه والمهمش بجرأة نادرة وكفاءة سردية عالية، توفي محمد شكري في ١٥ نوفمبر

٢٠٠٣ بعد صراع مرير مع داء السرطان.

الدرس الثالث

شيء في صدري - إحسان عبد القدوس

حبيبي هدى:

كان مجلس قيادة الثورة قد أصدر أمرا باعتقالي.. ثم لما وقعت مريضا اكتفوا بأن
اعتقلوني في بيتي.. إن على باب غرفتي ضابطا يجلس حاملا في جنبه مسدسا.. وفي بهو الدور
الأول يجلس جنديان مسلحان.. ولكي لست سجين البيت، ولست سجين هذا الضابط وهذين
الجندين.. إنما أنا سجين جسدي.. سجين هذا الجسد المشلول الذي لا يتحرك.. إنه أضيق
سجن.. أضيق من القبر..

لقد سبق الثورة بلحظات، فأمر باعتقالي في جسدي..

وأنا لا أطيق هذا الاعتقال..

أريد أن أموت..

الموت يا رب..

ولكن ربي لا يرحمني.. إنه يطيل حياتي لأتعذب.. لأتعذب بتفاهتي... إني لم أعد سوى
شيء ملقى على سرير.. شيء يرفعونه ويضعونه.. ويعرونه ويلبسونه. ويناولونه الطعام في فمه..
شيء لم يعد فيه من معاني الحياة سوى عينين تغضبان حيناً، وتتوسلان حيناً.. ثم تعجزان عن
الغضب، وعن التوسل، فتبكيان...

شيء في صدري- إحسان عبد القدوس ١٥٠

أنا.. حسن شاكر.. أنا الذي أطلقت حيويتي لتملاً كل دقيقة من عمري.. أنا الذي كنت أبخل بنفسي على النوم.. أنا القوي الجبار.. أنا الفحل.. أنا الذي قبضت على الدنيا بيدي وعصرتها بأصابعي، وجعلت من عصارتها شراباً لأطماعي.. أنا الذي كنت أمضغ الناس وأبصقهم بقايا.. أنا... أصبحت هذا الشيء الملقى على سرير لا يستطيع حراكاً..

يا رب.. خذ ثروتي وامنحني كلمة أستطيع أن أنطق بها..

يا رب.. إني لا أريد نفوذاً، أريد فقط القدرة على أن أرفع ذراعي..

يا رب.. إني لا أريد من دنياك سوى متر واحد أستطيع أن أحرك فيه قدمي..

يا رب.. إني أعرف أنك تعد لي عذاباً كبيراً في الآخرة، فاعفني من عذاب الدنيا.. وخذني

إليك!

ولكني لا أموت....

وبدأت أفكر في الانتحار.. ولكن كيف. إني لا أستطيع أن أحرك ذراعي. ولا أستطيع أن أصل إلى أدا أقتل بها نفسي.. كل ما أستطيعه هو أن أرفض الدعاء، وأرفض الدواء.. كنت أهز رأسي بعنف كلما همت الممرضة أن تضع في فمي طعاماً أو دواءً... ويسقط الرذاذ على صدري ويلوث وجهي ولكن الممرضة لا تبال.. إنها تستعين بالخدام وتضع في فمي ما تريده بالقوة.. لم أعد أستطيع شيئاً، حتى الانتحار..

شيء في صدري- إحسان عبد القدوس ١٥١

وكانت تذاتبي أحيانا ثورة... ثورة مشلولة داخل جسدي المشلول.. ثورة كل قدرتها أن تنظر شزرا بعيني، وأن تهز رأس هزات عنيفة فوق الوسادة، ونطلق منم حنجرتي أصواتا قبيحة كخوار ثور مذبوح... فكانوا في هذه النوبات يستدعون الطبيب ليحقنني بمخدر.. وأنام.. أو أموت موتا مؤقتا..

وأخيرا استسلمت..

استسلمت للعذاب..

ولم أكن أعاني ألما في جسدي.. إنه كتلة من اللحم والشحم والعظام، لا تحس ولا تتألم.. ولكن عذاب يكاد من عقلي.. إن عقلي لا يزال صاحبا يرقب كل شيء.. يرقب جسدي المشلول.. ويرقب روعي السجينة داخل جسدي.. ويرقب الضابط الذي يجلس عند باب غرفتي في جنبه مسدس.. يرقب كل ذلك، ويفكر.. يفكر كثيرا.. يفكر في حدة كأن خلايا مخي تتجمع وتعصر نفسها. ثم لا تجد حلا. لا تجد حلا لجسدي المشلول، ولا لروحي الحبيسة، ولا لهذا الضابط الذي يجلس عند باب غرفتي..

لو كانت عقلي مشلولا هو الآخر لاسترحت.. إن العقول المشلولة تريح أصحابها، والعقول الصاحبة التي تعجز عن أن تجد حلا هي التي تعذب أصحابها. إنها أشبه بأسود في أقفاص من حديد، تروح وتهدر داخل القفص دون أن تجد ثغرة تنفذ منها..

شيء في صدري- إحسان عبد القدوس ١٥٢

وكان الضابط يدخل إلى غرفتي بين الحين والآخر، ويحييني باحترام، ويسأل الممرضة عن صحتي، ثم يبتسم لي في أدب، وينظر إلى في حنان. كأن ليس بيني وبينه عداوة.. كأنه ليس سجانى. كأنه يفترض أنى أعذره وأعذر ثورته..

كيف أعذر هذا الشاب المغرور؟!

كيف أعذر هذه الثورة المجنونة التى تتصور أن مصر تستطيع أن تعيش من غيرى؟!

ورغم هذا، فى فترات يأسى، كنت أجد عقلى ينظر إلى ما حدث لى، من وجهة نظر الثورة.. كأنى أصبحت أجد الثوار.. وكنت فى هذه اللحظات أعذرهم... نعم، كانت تمر بى لحظات، أعذر فىها الثورة....

كنت أرى أن هذه الثورة قامت ضدى.. ضدى أنا وحدى.. لم تقم ضد الملك، فالملك هو الشعار، وأنا الحقيقة.. ولم نقم ضد الأحزاب، فالأحزاب كانت الأداة، وأنا كنت المنفذ..

إنها ثورة على الفساد.. والفساد لا ينحصر فى اختلاس بضعة ملايين من الجنيمات.. الفساد لا يقاس بالأرقام.. ولكنه يقاس بأسلوب العمل. و عند ما تبدأ الثورة العاقلة فى البحث عن الفساد لا تسأل أعداءها: كم رحمت؟ ولكنها تسأل: لمصلحة من تعمل؟! فقد يكون شخص يريح الكثير، ولكنه ليس مفسداً، لأنه يعمل لمصلحة الناس، ولا يستغل أحداً، ولا يمتص دماء أحد.. وقد يكون هناك شخص يريح القليل.. القليل جداً.. ورغم ذلك فهو مفسد، لأن أسلوبه فى العمل أسلوب الفساد.. إنه يعمل لمصلحته الشخصية ضد مصلحة الناس.. إنه يستغل الناس، ويمتص دماء الناس..

هذا هو منطلق الثورة العاقلة..

وهو منطلق يستطيع أن يقنعني، عند ما أفكر تفكيراً مجرداً عن أطماعي ومصالحي الخاصة.. ولكنني لا أستطيع أبداً أن أفكر تفكيراً مجرداً عن أطماعي.. ثم إني لا أؤمن بأن هناك ثورة عاقلة.. إن كل الثورات التي شهدتها كانت ثورات ساذجة.. ثورات تقوم ذد الاحتلال الإنجليزي.. لا.. ليس ضد الاحتلال، بل فقط ضد شكل الاحتلال.. وكانت هذه الثورات تخمد بمجرد أن يتخذ الاحتلال شكلاً جديداً، والاحتلال كـرأس المال، يستطيع أن يتخذ عدة أشكال.. ويستطيع أن يلبس أردية مختلفة في ألوانها.. إنه يستطيع أن يرتدى زي قسيس، وزي شيخ، وزي حاخام، وزي ملحد.. إن الاحتلال هو رأس المال..

ولم أكن أنتظر من هذه الثورة أكثر مما فعلته الثورات الأخرى... أن تطلب فقط تغيير شكل الاحتلال.. ولكنني خدعت في هذه الثورة عند ما قستها بالثورات الأخرى.. وكذلك خدع فيها الإنجليزي.. وما كنا لنخدع فيها لو عرفنا منذ اليوم الأول قادتها الحقيقيين.. لو عرفنا أن ليس من بين هؤلاء القادة وزراء سابقون ولا أحد من ملاك الأرض كما كان قادة ثورة ١٩١٩ مثلاً.. إنها كلهم من أولاد صغار الموظفين، وصغار التجار، وصغار المزارعين.. إنهم أولاد الطبقة الوسطى الصغيرة.. إنهم مثلك ومثل عادل.. أولاد محمد أفندي السيد الموظف الصغير الذي استعصى على وتعفف عني.

ولن تكتفي هذه الطبقة بتغيير شكل الاحتلال.. إنها طبقة لها مصالح مرتبطة بمصالح الفلاحين والعمال.. مصالح تتعارض مع مصالحنا مع أطماعنا ومع أسلوبنا في العمل.. فكان من المنطق.. منطلق هذه الثورة.. أن تقضى على أطماعنا، وعلى أسلوبنا..

شيء في صدري- إحسان عبد القدوس ١٥٤

وعندما كنت أنظر إلى الثورة بمنطقها، كنت أستريح.. وكنت أشعر بالشيء الذي في

صدري هبداً، وبيتسم لي..

لقد عاد هذا الشيء يتحرك في صدري..

خيل إلي يوماً أني قتلته.. تخلصت منه.. وسكن مكانه مجنون يملأ فراغ صدري بقهقهته..

ولكن، لا..

إن هذا الشيء لا يموت أبداً.. إنه لم يموت عندما مات والدك محمد أفندي السيد، ولم

يمت عندما اعتديت عليك، والمجنون الذي سكن ظل ينكمش جينا وخوفاً من الثورة، حتى

تلاشى.. ذاب.. وإذا بهذا الشيء لا يزال حياً في صدري.. يتحرك.. ويقلقني.. ويعذبني..

معركة بين ذكائي الذي صنعت به مجدي على جثت ضحايي، وبين هذا الشيء.. الشيء

الذي يسميه البعض: الضمير:

كان ضميري هبداً وهو يناقش الثورة من وجهة نظرها، ثم لا يلبث ذكائي أن يتمرد عليه

ويبدأ في الدفاع عن أطماعي.. لماذا تسميها أطماعاً.. إنها خدمات.. خدمات جلييلة أديتها لوطنك

وللناس.. لقد أنشأت لهم كل هذه الشركات.. وأوجدت عملاً لهذه الألوف من العمال

والموظفين.. لولاك لكانوا الآن يشحذون.. تقول إنك كسبت أرباحاً هائلة.. وإيه يعني.. هذا أقل

ما تستحقه.. تقول إنك تعاونت مع الاستعمار.. وإيه يعني.. لقد كان الجميع يتعاونون مع

الاستعمار.. ولو كانت هذه الثورة منصفة لأقامت لك تمثالاً، لأنهم يحسدونك على مالك، وعلى

نجاحك، وعلى ثرائك.. إنها ثورة أشعلها الحقد الشعبي على الناجحين.. حقد العبيد الذين

شيء في صدري- إحسان عبد القدوس ١٥٥

يعجزون عن أن يكونوا أسيادا.. يجب أن تكره هذه الثورة.. أكرهها.. وقاومها.. حاول أن تحي نفسك، وتحى أموالك منها..

كان ذكائي يقول لي هذا الكلام.. وأنا أعلم أنه ذكاء عاجز.. لم يعد يستطيع شيئا.. عاجز وهو حبيس هذا الجسد المشلول.. وقد أبعدت عنه كل أدواته التي كان يعمل بها.. أبعدت الأحزاب، وأبعد الملك، وأبعد خدام أطماعي، وتخلي عن الإنجليز بعد أن خدعوا في الثورة.. وهذا الضابط يدخل إلى غرفتي، ويحييني باحترام، ويسأل الممرضة عن صحي، ثم يبتسم لي في أدب، وينظر إلى في حنان..

إنه يكاد يقتلني..

وإني أرى في وهه صورتك، وصورة والدك محمد أفندي السيد، وصورة أمك تفيدة، وصورة ملايين من ضحاياي.. الملايين الذين كنت أبتز قوتهم عندما أرفع الأسعار، وأبتز قوتهم عندما أهبط بسعر القطن، وأبتز قوتهم عندما أهوى بأجور العمال..
كلكم هذا الضابط..

الفرق الوحيد هو أن هذا الضابط في جنبه مسدس.. ولن أستطيع أن أخدعه، كما خدعتكم..

بخيل إلى أن هذا المسدس في يدكم جميعا..

إنكم جميعا مسلحون..

وأسلحتكم موجهة إلى صدري..

ورغم ذلك فهذا الضابط لا يزال يتسم لي.. كأن المسدس الذي في جنبه سلاح للحب، وليس سلاحا للحقد والانتقام.. والثورة تعاملني برفق ورحمة كأني أنفه من أن أكون عدوا لها.. كأنها واثقة من انتصارها إلى حد أن تشفق على أعدائها..

لذلك لم تدم فترة اعتقالني في بيتي طويلا. لم تدم أكثر مما استغرقتة عملية مراجعة دفاتري، ثم أصدرت قيادة الثورة أمرا باستيفاء قيمة الضرائب المستحقة علي، من الأسهم والسندات علاتي أملكها.. وبذلك أصبحت الحكومة هي صاحبة الحق الأول في كل شركاتي.. استولت على شركة الصناعات.. أمتها.. ولكنها لم تؤمّمها تطبيقا لمبدأ من مبادئ الثورة، ولكنها أمتها استيفاء لديونها علي.. وباقي الشركات أيضا أصبحت للحكومة فيها أغلبية الأهم، فأصبحت بذلك صاحبة الحق في إدارتها.. وطردتني!

واهتزت دوائر الأعمال في مصر لهذه القرارات..

اهتزت مصر كلها..

وقيل إنها ثورة شيوعية.. وبدأ رجال الأعمال يهربون، والذي لا يهرب بنفسه، يهرب أمواله إلى الخارج، والذي لا يستطيع أن يهرب أمواله يجمدها.. إن الأموال المجمدة أشبه بالجثث الميتة.. وكان رجال الأعمال يحاولون أن يجعلوا من مصر جثة ميتة لا تجري في عروقها دماء.. أي لا تجري في عروقها أموال..

شيء في صدري- إحسان عبد القدوس ١٥٧

وكننت أعلم -ورجال الأعمال يعلمون- أن هذه الثورة ليست شيوعية.. إننا نعرف طبيعة الثورات الشيوعية. وهي ليست طبيعة هذه الثورة.. ورغم ذلك فقد أردنا أن نشيع حال من الذعر في السوق الاقتصادية، وأردنا أن يقطع العالم بأنها ثورة شيوعية.. لعل بريطانيا تتحرك ضد الثورة.. أو لعل أمريكا أيضا تتحرك ضد الثورة..

وبدأت بريطانيا تتحرك..

وبدأت أمريكا تتحرك..

ولكن الثورة لم تخف. لم تجبن.. إن هؤلاء الشبان لا يخافون حتى بريطانيا وأمريكا.. إن أعصابهم لا تهتز، ولا تتخلي عنهم.. إنهم لا يزالون يحاولون خداع بريطانيا وأمريكا.. وقد كنت أعتقد أن قوة الثورة في السلاح الذي تحمله.. ولكن هذا السلاح لا يقاس بالسلاح الذي تحمله بريطانيا وأمريكا.. فكي تستطيع الثورة أن تتحداهما وتستمر في خداعهما.. أي قوة تستند إليها.... إنها تعتمد فقط على الناس.. على الشعب.. وقد كان الشعب موجودا دائما، ولكننا لم نكن ناعتمد عليه.. كنا ناعتمد على الملك، وعلى الإنجليز، وننسى أن هناك قوة ثالثة.. وربما لم ننسها، ولكننا لم نكن نؤمن بها، لم نكن نعرف كيف نستغلها..

وفي نفس الوقت بدأ شبان الثورة يتخذون قرارات جريئة حاسمة لحماية الاقتصاد القومي.. لقد أصدروا أمرا يمنع المصانع من التوقف عن العمل، ويمنعهم من الاستغناء عن العمال حتى لو ادعى أصحاب المصانع الخسارة، وبدأوا يخرجون مدخرات النقابات والهيئات ويوظفونها في الميادين الاقتصادية، حتى يتغلوا على محاولة رجال الأعمال تجميد السوق.. و..

شيء في صدري- إحسان عبد القدوس ١٥٨

و.. والناحية الوحيدة التي فشلوا فيها هي اجتذاب هي اجتناب رءوس الأموال الأجنبية إلى مصر.. لقد أصدروا عدة قرارات بمنح رءوس الأموال الأجنبية عدة امتيازات ورغم ذلك لم يدخل مليم واحد إلى مصر... فقد كنا -نحن رجال الأعمال- قد نجحنا في تشويبه سمعة الثورة في الخارج..

ولم تأبه الثورة كثيرا برؤوس الأموال الأجنبية.. استمرت في طريقها واثقة بنفسها، متهاككة كل أعصابها، وبلغ من ثقها أن أطلقت سراحي..

إني حر الآن..

حر في أن أخرج من البيت، ولكني مشلول القدميين، لا أستطيع أن أخرج.. وليس لي نصيب من الدنيا إلا هذه المساحة الضيقة الجامدة التي أطل عليها من نافذة حجرتي..

وحر في أن أستقبل من أشياء من الزوار.. ولكن أحدا لا يريد أن يزورني.. الكلاب الذين أطعمتهم، وعودتهم على أن يقبلوا مواضع قدمي، كلهم تخلوا عني.. لا يريد أحد منهم أن يزورني.. كل منهم يتبرأ مني ويذكر نعمتي عليه..

وأنا حر في أن أحادث من أشياء في التليفون.. ولكن أحدا لا يريد أن يحادثني، فإذا اتصلت بأحد رد علي في جفاف، أو أنكر نفسه عني... أنا الذي كنت أعتبر اتصالي بالتليفون مع أحد، منة أنعم بها عليه.. أنا الذي كان لا يوجد من يرد علي في التلفون إلا واقفا على قدميه يرتعد من الرهبة، وبجانبه زوجته تنقص كأنها ترسل إلى إغراءها عبر أسلاك التليفون..

شيء في صدري- إحسان عبد القدوس ١٥٩

وأنا حرفي أن أعمل، ولكني لا أجد إلا نوعاً واحداً من أساليب العمل.. أسلوب لا أستطيع الآن أن أبشره..

إن الثورة أفرجت عني فعلاً، ولكن الناس لم يفرجوا عني... لقد حبسوني في دنيا بعيدة عنهم.. دنيا من فراغ هائل.. دنيا ليس فيها أحد..

حبيبي هدى..

هذه آخر مرة أدعوك فيها حبيبي.. إني أموت.. إني أحس بأصابعي تتراخي فوق قلبي.. وأحس بالسطور تغيب في غبار أشبه بالرماد.. وأنفاسي تضيق.. وشيء حاد يسكنني في قلبي.. وآلام كالقرصات تهزئ لحمي وتفكك عظامي.. إني أحس بالشلل يزحف من فوق ساق ليبتلع بقية جسدي.. إني أموت..

إحسان عبد القدوس (١٩١٩-١٩٩٠)

هو إحسان عبد القدوس، واحد من أبرز كتاب الصحافة المتميزة، ومن أشهر أدباء مصر، ولد في حي العباسية بمدينة القاهرة في أول يناير سنة ١٩١٩، لأب مصري وأم من أصل لبناني، وكلاهما من عشاق الفن، فوالده المهندس محمد عبد القدوس، الموظف بوزارة المواصلات، كان يعمل في مجال التمثيل والتأليف المسرحي والسينمائي ووالدته هي الفنانة الكبيرة والصحفية اللامعة فاطمة اليوسف.

نشأ وتربي في بيت جده لوالده المرحوم الشيخ أحمد رضوان أحد علماء الأزهر. ودخل إحسان الكتاب بالعباسية. ثم التحق بمدارس ابتدائية مختلفة وحصل على التوجيهية من

شيء في صدري- إحسان عبد القدوس ١٦٠

مدرسة فؤاد الأول الثانوية سنة ١٩٣٨. والتحق بكلية الحقوق، جامعة فؤاد الأول (القاهرة). وقد أتاحت له ظروف الأسرة، الثقافية، في ظل الدراسة التي لم تكن منتظمة بشكل تام أن يتجه إلى القراءة الأدبية الحرة، فقرأ في أدب القصة العالمي وتأثر بكبار كتّابها. وحصل على الليسانس عام ١٩٤٢. وأخذ يكتب آراءه السياسية وأعماله القصصية في آن واحد في مجلة روز اليوسف.

تولى رئاسة تحرير مجلة روز اليوسف عام ١٩٤٥. وهو صحفي ناشئ لم يتجاوز السادسة والعشرين إلا ببضعة شهور، وكتب في ذلك العام مقالا شهيرا بعنوان "هذا الرجل يجب أن يذهب". وقد خلق منه هذا المقال نجما لامعا في عالم الصحافة وسبق بسببه إلى سجن الأجانب في منطقة باب الحديد.

وأخذ إحسان يفجر بمقالاته الثورية أخطر القضايا السياسية والاجتماعية. وكانت قضية الأسلحة الفاسدة من أكبر القضايا التي تناولها، في سلسلة من المقالات تحت عنوان "محاكمة مجرمي حرب فلسطين"، في عامي ١٩٤٩-١٩٥٠. كما نشر أربعة مقالات، عام ١٩٥٠. تعد من أهم الانتصارات الصحفية التي حققها على مر تاريخه الحافل، أرغم بها حيدر باشا على تقديم استقالته.

وفي عام ١٩٦٠ تولى رئاسة مجلس إدارة مؤسسة روز اليوسف عقب تأميم الصحافة، وكان قد طالب بتأميمها، ثم عين عام ١٩٦٦ رئيسا لتحرير أخبار اليوم ثم رئيسا لمجلس إدارة المؤسسة عام ١٩٧١. وفي عام ١٩٧٤ اختير كاتبا متفرغا بجريدة الأهرام ثم عين رئيسا لمجلس إدارة مؤسسة الأهرام عام ١٩٧٥ وظل يكتب في الأهرام حتى وفاته.

شيء في صديري- إحسان عبد القدوس ١٦١

تنوع إنتاج إحسان الأدبي بين القصة والرواية في أشكال مختلفة قدم لنا من خلالها نماذج عديدة ومتنوعة ثقافيا وفكريا. وقد ساهم أدبه في تغيير الكثير من المفاهيم الموروثة، وحظيت قصصه ورواياته العاطفية بإعجاب القراء، وبخاصة أبناء الطبقة الموسرة، ولكنه لم يحظ باهتمام من النقاد يعادل مكانته لدى القراء.

ومن أشهر أعماله "صانع الحب" (١٩٤٨)، و"النظارة السوداء" (١٩٥١)، و"في بيتنا رجل" (١٩٥٦) و"شيء في صديري" (١٩٥٨)، و"يا عزيزي كلنا لصوص" (١٩٨٢) وغيرها. خلف إحسان ما يربو على ٦٠ كتابا ورواية ومجموعة قصص، تحول معظمها إلى أفلام سينمائية كان أشهرها "الوسادة الخالية" و"أنا حرة"، و"البنات والصيف" و"لا أنام" و"أرجوك أعطني هذا الدواء"، و"لا يزال التحقيق مستمرا".

وشارك إحسان بجهد كبير في إنشاء نادي القصة وفكرة إنشاء المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية الذي تحول فيما بعد إلى المجلس الأعلى للثقافة. وقد كرمته مؤسسة روز اليوسف فأطلقت اسمه على قاعة أنشئت خصيصا له وتم افتتاحها قبل رحيله بعدة شهور.

الدرس الرابع

أكابر - ميخائيل نعيمة

بقي أبو رشيد وأم رشيد حتى ساعة متأخرة من الليل يتداولان في أمر بالغ الأهمية، فما يستقران على رأي. فقد جاءهما من (الأستاذ) أنه قادم في الغد ليقسم البيدر، وإذا لابد من إعداد الغداء التقليدي. فماذا يعدان له؟ لقد كان المرحوم والده رجلاً أميناً مثلهما، وكان كلما جاء لقسمة البيدر في أواخر الصيف يأبى الجلوس إلا على التراب.. والغداء مهماً أسرفت أم رشيد في البذخ ما كان يتجاوز بضع بيضات مقلية (بالقاورمة) مع لبن رائب وبصل وخيار وخبز مرقوق وقليل من عسل إن تيسر العسل

و(الأستاذ) محامٍ يعيش في العاصمة عيشة الكبار، وزوجه كذلك من بنات الكبار، ولهما ابنة وحيدة في سن رشيد. ومن الأكيد أن الأستاذ لن يأتيهم وحده، بل سيصطحب زوجه وابنته وخادمه وسائق سيارته، فكيف يليق بأبي رشيد وأم رشيد أن يستقبلوهم؟ وأين يجلسانهم. في خيمتهما المصنوعة من الأشجار؟ أيجلسانهم على الطرابح أم يمدان لهم فراشهما ليجلسا عليه؟ وماذا يقدمان لهم؟ وكيف؟.. إنهم كبار لا يأكلون إلا بالسكاكين والشوكات وفي صحون صينية. ولا شيء من ذلك عند أبي رشيد حتى ولا طاولة. وجل ما يملكانه من هذا بضعة صحون معدنية وإبريق من الخزف ويضع ملاعق خشبية

تلك هي الأمور التي كانت تشغل بالهما تلك الليلة. فإن يتفقا على رأي حتى تقوم في وجهه صعوبات ومشكلات. هكذا اتفقا في البداية على أن يذبحا جديهما المدلل، فما إن سمع

ابنهما رشيد بذلك حتى جن جنونه وأخذ يبكي ويلطم .. فقد كان الجدي أعز ما لديه في الدنيا. وكانت النتيجة أن نجا الجدي وجعل الديك فداءه. ولم يكن لأبي رشيد غير ذلك الديك وثلاث دجاجات. وهنا انتابت رشيد نوبة من البكاء والعيول والغصص والسعال حتى خشي والده عليه فقد كان يحب ديكه الأحمر ويطعمه من يده ويعتز بجماله وقوته ورخامة صوته، فكان أن عدل الوالدان عن ذبح الديك، وكان أن نام ابنهما من بعد أن بلل مخدته بدموعه. ثم كان أن اتفق الوالدان في النهاية على ذبح دجاجة من دجاجتهما الثلاث. وإذا بلغ الزوجان تلك النهاية تهدت أم رشيد وقالت بحرقة بالغة: ولدي؟ لقد نام والغصبة في حلقة، وستعاوده الغصبة عندما يستفيق في الصباح فيرى أننا قد ذبحنا دجاجة من الثلاث فهو يحمن جميعاً. فقال أبو رشيد: سيبيكي قليلاً ثم ينساها، وما العمل؟ أيأتينا الأستاذ أول مرة ولا نقوم بواجبه؟ دعنا منه يا رجل. كل دعة من عين ابني تساوي كل ما يملك، إن ظفره عندي بالدنيا. لا تنسي بامرأة أننا شركاء، وأنا مدينون لصاحب الأرض بثلاثة آلاف قرش. فيجدر بنا أن نحسن استقباله وضيافته. ولو كنا نعرف أنه سيكون رقيقاً بنا كوالده لهان الأمر، ولكننا نجعل دخيلته.

رحمة الله على والده، فما كان يطالبنا حتى بالفائدة. أي، رحمة الله على عظامه. لقد كان طيب القلب. ولكن الزمان تغير بسرعة يا امرأة .. فما ندري كيف يكون طالعنا مع الأبن. قلبي يحدثني بأنه طالع خير

وفي الصباح الباكر انصرفت أم رشيد لترتيب هندامها وتنظيف خيمتها وإعداد الغداء لضيوفها، وحلق أبو رشيد ذقنه ولبس أحسن سراويله، وانصرف إلى البيدر يكنسه، ويغريل ما تبقى من القمح دون غريلة ثم يطرحه على الكومة القائمة في وسط البيدر، ثم يدور حول الكومة

أسفًا في قلبه لأنها لا تكون نصف ما كانت عليه في الموسم الماضي. لقد بخلت السماء بالمطر في أوانه وجاءت به في غير أوانه. فكان القحط وكانت هذه الكثرة الهائلة من الزؤان مع القمح .. عاد أبو رشيد إلى الخيمة فوجد زوجه مهمكة في تصفيف الصحون المعنبة والملاعق الخشبية ووجد ابنه يلاعب الجدي وكان يدعوّه تحبباً (عفريت) فأناً يركض وراءه، وأونة يحمله، وأخرى يمضي يدور وإياه دورات كأنها الرقص الموقّع خير توقيع. ثم يترك الجدي وينادي الديك وقد سماه (سلطان) فمهرول سلطان إليه في الحال، ويأتيه بشيء من الحب فيلنقطه من يده. ثم يدفعه الولد صعوباً في الهواء فيصفق تصفيق الهلع بجناحيه فيأخذه الولد بين يديه ويطلع قبلة على كل عين من عينيه ثم يرسله في سبيله.

قاربت الساعة الثانية. فكاد أبو رشيد وأم رشيد يقنطان من مجيء ضيوفهما. وإذا بهدير سيارة يأتي من بعيد، وإذا بالسيارة تقف على مرمى حجر من الخيمة. وإذا برجل وامرأة وخادمة وابنة صغيرة يترجلون من السيارة ويسيروا في اتجاه الخيمة. فيسرع أبو رشيد وأم رشيد للقاءهم.

وعندما بلغ الجمع الخيمة بعد عناء وتأفف من قبل زوجة الأستاذ واعتذار مستمر من قبل أبي رشيد. وأم رشيد وقفت هذه الأخيرة بجانب الباب وانحنى وهي تفرك يديها بارتباك وتقول بصوت متلجلج

تفضلوا .. يا عيب الشؤم .. لا تؤاخذونا.. ما في شيء من قيمتكم

فالتفتت إليها زوجة الأستاذ وقالت بازدراء ظاهر:

وإلى أين؟ أين البيت؟

واختنقت أم رشيد وأجابت بلسان متلعثم. البيت يا ست؟!.. هذا هو البيت يا ست، هذه الخيمة التي ترين هي بيتنا الصيفي في هذه الجبال. وهنا تناول الأستاذ الحديث مخاطباً زوجته بالفرنسية.

هكذا يعيش هؤلاء الفلاحون في جبالنا في مثل هذه الخيام صيفاً، ومن بعد أن يجمعوا غلالهم ويزرعوا زرعهم للموسم القادم ينحدرون إلى قراهم... فأجابته زوجته بالفرنسية إنهم يعيشون في الصيف كالذئاب وفي الشتاء كالديبة. وأين تريدنا هذه العجوز أن نجلس؟

فقال: في الخيمة.

فقالت الزوجة: في هذه الخيمة! وعلى الأرض.. لا.. لن أدخل هذه الخيمة على الإطلاق.

فقال الأستاذ: ولكنهم أعدوا لنا غداء ونحن جوع وابنتنا على الأخص، وإن نحن لم نأكل اعتبروا ذلك إهانة لهم

. فقالت: ليعتبروه كيفما شاءوا.. أناكل من هذه الصحون الخزفية وبمعلقة من خشب

، ألعلك فقدت عقلك؟

فقال لها: ما فقدت عقلي، ولكنني لا أستطيع أن أطعن هؤلاء الناس في الصميم

. وهكذا كان. فقد اعتذر الأستاذ لأبي رشيد، فنزل عنده عليهما نزول الصاعقة، وانعقل لسانهما.. وامتعق وجههما .. وأخيراً أخذ الأستاذ أبا رشيد جانباً وذكره بالدين، وطلب إليه أن يدفع الفائدة عن السنوات الخمس التي مرت. فانكمش قلب أبي رشيد وراح يفرك يديه فركاً عصبياً ويقول من غير أن يدري ما يقول:

ليضربني الله بعيني الاثنتين، ما نسيت الدين وسأدفعه إن شاء الله مع الفائدة .. ولكن حصتي من الوسم هذا العام لا تكفي .. ولا أدري من أين آتي بالمال لأبتاع حاجتنا من القمح فقال الأستاذ: تدبر أمرك بمعرفتك يا أبا رشيد. أما مالي فمن حقي أن يعود إلي

. فقال أبو رشيد: حقك .. نعم يا سيدي حقك. ولكن الله سبحانه لم يعطني موسماً يضاهي أتعابي! فماذا أفعل؟

فقال: ذلك شغلك. سأرسل إليك سائقي في الغد وهو يجري قسمة البيدر. أما الآن فنحن مضطرون إلى العودة..

في أثناء ذلك كانت (نونو) مأخوذة بالعباب رشيد وجدية وديكه .. وعندما همّ والداها بالانصراف التفتت إلى أمها وخاطبتها بالفرنسية: ماما. إنني أريد هذا الجدي وهذا الديك فأجابتها أمها: سيكون لك ما تريد يا نونو

. وأمرت أبا رشيد أن يحمل الجدي والديك إلى السيارة، ففعل صاغراً وقلبه يكاد ينفطر غيضاً .. وإذ ذاك أدرك رشيد ما جرى واستفاق كمن كان في غيبوبة، وطفق يعدو في إثر السيارة بكل ما في ساقيه من قوة وسرعة وهو يصيح كالمذبوح:

عفريت يا عفريت! سلطان يا سلطان! وكانت السماء تسمع الصراخ والوادي يردد

صداه

ميخائيل نعيمة (١٨٨٩-١٩٨٨)

شاعر مهجري، وناقد وأديب، مولود في قرية بسكنتا بלבnan، تلقى تعليمه في مسقط رأسه، وأكمّله في روسيا، التي سافر إليها سنة ١٩٠٦. وقضى بها أربعة أعوام. وما كاد يستقر في بلده بعد عودته حتى هاجر إلى أمريكا سنة ١٩١١. فدرس الحقوق والآداب في جامعة واشنطن وحصل على إجازتهما سنة ١٩١٦.

نشر كتاباته في "مجلة الفنون" التي كان يرأس تحريرها نسيب عريضة- وهو من زملاء دراسته في مسقط رأسه - وذلك منذ سنة ١٩١٦. وبعد احتجاجها نشر أعماله في جريدة "السائح" التي كان يصدرها زميل دراسة آخر له هو عبد المسيح حداد، وعاد يكتب في "الفنون" بعد عودة صدورهما.

انتقل إلى نيويورك سنة ١٩١٦. وهناك تعرف على جبران خليل جبران. وزملاء آخرين، عملوا على تأسيس "الرابطة القلمية" حتى ظهرت إلى الوجود بعد ذلك التاريخ بأربع سنوات، وكان نعيمة مستشارها وعقلها المدبر، وواضع قانونها الأساسي.

عاد نعيمة إلى لبنان بعد وفاة "جبران"، وانفراط عقد "الرابطة القلمية". وبعد اشتداد الأزمة الاقتصادية التي اجتاحت أمريكا، والتي اضطرت له لكسب عيشه من أعمال متواضعة، وذلك سنة ١٩٣٢، وفي لبنان اشتغل بالزراعة ووالى إنتاجه الأدبي والفكري فلقى اهتماما من

المفكرين والأدباء العرب، وأصبح اسمه معروفا في الدوائر الثقافية والمنتديات الأدبية، وظل منتجا حتى آخر حياته التي امتدت حتى بلغت قرابة قرن من الزمان.

نشر ميخائيل نعيمة كتابين في المهجر هما "الآباء والبنون" سنة ١٩١٧، و "الغريال"، وهو كتاب رائد في مجال النقد العربي الحديث، صدر بمقدمة بقلم عباس العقاد سنة ١٩٢١. أما بقية كتبه فقد ظهرت كلها بعد عودته إلى المشرق. ومن هذه الكتب "همس الجفون"، وهو ديوان شعر، و "كان ما كان" و "المراحل" و "مذكرات الأرقش"، و "جبران خليل جبران" و "زاد المعاد" و "البيادر"، و "الأوثان"، و "النور والديجور"، و "أكابر"، و "سبعون"، وهو سيرته الذاتية في ثلاثة أجزاء.

يغطي إنتاج ميخائيل نعيمة أنواعا أدبية متعددة فهو شاعر، وناقد، وقصاص، ومترجم، وهو صاحب كتابة تأملية فكرية في البشر والوجود. ويرفد إنتاجه ثقافة واسعة حصلها من قراءاته باللغات المختلفة العربية، والإنجليزية، والروسية، والفرنسية.

وهو - بشعره- يعد في طليعة الشعراء الرومانسيين العرب، وبنقده - وبخاصة في الغريال- يحسب من أوائل المجددين في النقد العربي الحديث.

الوحدة الثالثة- دراسة عن رواية مختارة

الدرس الأول

السمان والخريف- نجيب محفوظ

وقف القطار ولكنه لم يجد أحدا في انتظاره. أين السكرتير؟ أين موظفو المكتب؟ أين السعادة؟ وأجال بصره في المكان والناس بلا جدوى. ماذا جرى؟! هل دار رأس القاهرة تحت ضربة القنال الأثمة؟! وغادر موقفه عند مقدمة العربة فسار حاملا حقيبته الصغيرة نحو الخارج وهو يقطب استياء، ثم ساوره قلق. وتفحص الوجوه بدافع غريزي فوجدها تعكس انقباضا مخيفا، وتحركت في أعماقه غريزة تتنبأ بالمخاوف. أهي مذبحة الأمس بالقنال أم أحزان جديدة تزحف؟ هل يسأل الناس عما وراءهم؟! ولم ينتظره أحد. ولا واحد من مكتبه شد عن هذا السلوك العجيب! يا لها من أيام غريبة حقا! ولم تنزل ذكريات القنال ناشبة في رأسه بكل حدة. المشاهد الدامية. مذبحة رجال البوليس، البطولة العزلاء. ولم يزل صوت الشباب الفدائي يخرق أذنه وهو يصيح غاضبا:

أين أنتم.. أين الحكومة!... أأستم أنتم الذين أعلنتم الجهاد!؟

فقال في حرج شديد:

بلى، ولهذا تجدني أمامك في هذا الخلاء..

فصرخ في غضب أشد:

نريد سلاحاً، لم تقفرون علينا؟!

اليد قصيرة، وموقف الحكومة دقيق.

وموقفنا نحن!.. وموقف الأهالي الذي خربت بيوتهم؟!

أعلم ذلك، كلنا نعلم ذلك، صبراً، وسنبذل أقصى ما نستطيع...

أم تقنعون بالفرجة؟!

يا لها من غضبة كالنار. ولكن ماذا في القاهرة؟..

لا عربة واحدة لتنقله. وفي ميدان المحطة جماهير تجري في كل اتجاه. الغضب يشتغل في الوجوه واللعنات تنصب على الإنجليز. الجو بارد والسماء متوارية خلف سحب متجهم والهواء ساكن لا حياة فيه. الدكاكين مغلقة كالحديد وعند الأفاق تصاعد دخان كثيف..

ماذا في القاهرة؟!

وتقدم في حذر، وأشار إلى رجل يقترب ثم سأله:

ماذا في البلد؟

فأجابه في ذهول:

القيامة قامت..

فسأله في إلحاح:

تعنى مظاهرات احتجاج؟!

فهتف وهو يأخذ في الجري:

أعنى النار والخراب...

وواصل تقدمهم الحذر البطيء وهو يتفحص ما حوله. وتساءل في دهش: "أين البوليس؟ أين الجيش؟". وفي شارع إبراهيم تجلت حقيقة اليوم بصورة أبشع. خلا الميدان للغاضبين. انفرج مكنون اللوعي كالبركان. صراخ جنوني كالعواء. انقضاض على أي قائم على الجانبين. بترول يراق. حرائق تشتعل. أبواب تحطم. بضائع تنتثر. تيارات تندفع كالأموج المتلاطمة. الجنون نفسه بلا رقيب. ها هي القاهرة تثور ولكنها تثور على نفسها. إنها تصب على ذاتها ما تود أن تصبه على عدوها. إنها تنتحر. وتساءل في فزع ماذا وراء ذلك كله؟! واستفحل نشاط غريزته التي تتنبأ بالمخاوف. وأيقن أن مأساة حقيقية سيرفع عنها ستار الغد. ثمة خطر يهدد صميم حياتنا. يتهددنا نحن لا الإنجليز. يتهدد القاهرة والمعركة القائمة في القنال والحكومة ويتهدده هو باعتباره جزءا من هذه الحكومة. هذا الطوفان سيقتلع الحكومة والحزب وشخصه في النهاية. ههيات أن يعتصر هذا الخوف من قلبه. ههيات أن يتناساه رغم دوامة الجنون المحدقة به. كأنها أقوى من الجنون والخراب والنار. وإنه ليؤمن بغريزته بهذا إيماننا قاتلا. هي نذيره في أوقات الأزمات السياسية وقبيل الإقالات المتعددة التي أطاحت بحزبه عن كراسي الحكم المرة تلو المرة. لعلها النهاية. وستكون نهاية مميتة لم تسبق بمثل لها من قبل.

ومضى يتقرب من قلب المدينة في ذهول تام. صمم على أن يطلع على كل شيء. إنه مسئول، ومهما يكن من ثانوية مركزه نسبيا فهو مسئول ويجب أن يرى كل شيء بعينه، الضوضاء فوق كل احتمال كأن كل ذرة في الأرض تصرخ. اللهب ينطلق من كل موقع. إنه يرقص في النوافذ، يقف في الأسقف، يصفر في الجدران، يطير في الجو والدخان يتربع مكان السماء. رائحة الحريق تقتحم الأنوف كعاصفة جهنمية من الخشب والأقمشة وزيت شتى. هتافات غامضة كأنما تنبثق من الدخان، غلمان يخربون كل شيء في نشوة وبلا مبالاة. حدران تنهار مفجرة رعدا. الغضب المكتوم، اليأس المضغوط، الضيق المتكتل، كل أولئك حطم القمم وانطلق كزوبعة من الشياطين. وقال لنفسه إن أشياء كثيرة يجب أن تحرق ولكن ليست القاهرة. وأنتم لا تدرن ماذا تفعلون. إن فرقة كاملة من الإنجليز لتعجز عن إحداث عشر هذا الخراب، انتهت معركة القتال. خسرتنا المعركة. قلبي المجرب بالمحن لا يكذب. الحكومة بلا جنود والنار تجرى بلا عقبة. هل تلتهم النيران المدينة الكبرى؟ هل يمسي ثلاثة ملايين من البشر بلا مأوى؟ هل ينقع الخراب والمرض والفوضى ويرجع الجيش البريطاني ليعيد الأمن إلى نصابه؟ هل ينسى الناس في محنة الخراب والاستقلال والوطنية والأمال العريضة! إن القلق يدب في جذور قلبه كالنمل وتسود الدنيا في عينيه اللتين زايلهما الطموح والمجد. وعند الأركان في الشوارع الرئيسية ليد رجال يحرضون:

احرق.. خرب.. يحيا الوطن...

تفحصهم باهتمام وحنق. ود لو يستطيع أن يقنعهم. ولم يمكنه التيار المتضارب من الوقوف قبالتهم لحظة. إنهم وجوه غريبة لا هي م حزبه ولا من الأحزاب الأخرى. إنها وجوه غريبة

تفوح منها رائحة الغدر، وخيل إليه أن في الجورائحة عفنة أشد كآبة من الدخان. وزفر مع اليأس والذهول غضبا:

احرق.. خرب.. يحيا الوطن...

يا للأوغاد! هل تذهب دماء القنال هدرا؟ وأرواح جنود البوليس وضباطهم؟ إن كل ما هو قيم وجميل يبدو أنه سيصير هباء. كيف السبيل إلى الوزارة ليقابل المسئولين؟ ليس في الطرقات إلا حطام سيارات، ليس في الجو إلا حمرة قانية تستخدم تحت سواد. ماذا يقول للفدائي الغاضب لقله السلاح إذا اطلع على هذا المشهد الغادر الدامي؟ ما عسى ان يقول لو سمع نداء المؤامرة؟

احرق.. خرب.. يحيا الوطن...

النار والخراب والدخان شعارات اليوم الفظيعة ولكن الخيانة اللابدة في الأركان أقطع. وتلاطمه أمواج الثائرين الجنونية فازدرد ريقه مرات بمعطفه الرصاصي الطويل ولفظته وقد اختل توازنه واصطكت بساقيه حقيبته وهو يشد على مقبضها بقوة مستميتة. وتلاشت من رأسه نقاط التقرير الذي كان عليه أن يرفعه إلى الوزير عن سير المعركة ومطالب الفدائيين. وفكر في المستقبل على ضوء العاصمة المحترقة فلاح لعينه كالدخان. وتذكر وهو يميل إلى منعطف أقل وحشية حديث عضو الشيوخ المعمم الذي قال معلقا على إلغاء المعاهدة:

انتهينا والأمر لله!

فارتفع صوته في حماس:

ليس في كل ماضينا المجيد موقف كهذا!!!

فعبث الشيخ بشاربه، وقال بحزن:

بلى، كأيام سعد، ولكنها النهاية!

شيخ مجرب طوى عهد الحماس ولكن ها هي القاهرة تحترق، وهؤلاء الغادرون في الأركان ما أكثرهم. واليد قصيرة إذا اقترنت ببصيرة فليسكر صاحبها بنقيع الأحزان حتى يغرق. وفي الفضاء المكتظ بشظايا الخراب تجسد الحزن كأنه وحش قتيل. ونال منه الإعياء فقرر أن يشق الطريق إلى مسكنه. وخيل إليه أن دهرًا طويلًا سيمضي كالسحابة قبل أن يلح مشارف الدقي.

(2)

عند جنوم الليل ذهب إلى سراي شكري باشا عبد الحليم على مسيرة ربع ساعة من مسكنه بي الدقي. واستقبله الباشا في حجرة مكتبه فجلسا على مقعدين متقاربين. وبدأ الباشا في المقعد الكبير شبه ضائع بجسمه النحيل القصير ولكن وجهه الصغير المستدير الناعم عكس اكفهرارا مغلفا بهدوء الشيخوخة. وأعلنت بدلته الرمادية الإنجليزي عن أناقة عريقة واستقام طربوشه الأحمر الفاتح على رأس لم يبق فوق سطحه شعرة واحدة. تبودلت كلمات الترحيب في عجلة دلت على خطورة الموقف. وشعر عيسى بحرج أول الأمر لما علمه من تطلع الباشا إلى الوزارة ولما تردد من شهر أو أكثر عن ترشيحه لها في أول تعديل وزارى. وأفدح الخسائر ما أصاب الجانبين الشخصي والعام في وقت واحد. ترى كيف يفكر هذا الشيخ الذي انتظر الوزارة طويلًا؟ هذا الشيخ الذي هبط نشاطه في مكتبه إلى الحد الأدنى، والذي لم يعد له

من عمل حقيقي سوى نشاطه باللجنة المالية بمجلس الشيوخ. رثى له كما يرثى لنفسه، ورنا إليه بنظرة مترددة كنوع من العزاء وهو يجلس على المقعد بقامته الرشيقة وقد استرد وجهه - بعد الراحة في بيته- رونق الشباب رغم جريان الهم في تقاسيمه. وقال الباشا وهو يدير خاتم الزواج حول بنصره:

سنؤرخ بهذا اليوم طويلا.

فقال عيسى متشوقا لمعرفة أي حديد: شهدت جانبا منه، يا له من يوم أسود!

وأحنى رأسه الكبير المستطيل حتى ترامت صفحة شعره المجدع أماما عيني الباشا ثم رفعه مقطبا ليطلع إليه بوجهه المثلث الذي ينبسط عند الجبين ويضيق رويدا حتى يرتكز على ذقن مدبب. وتساءل الباشا:

إذن جنت والقاهرة تحترق؟

نعم كانت الجحيم ننفسه يا باشا..

يا خسارة! وكيف وجدت الحال هناك؟

الشبان في غاية من الحماس ولكنهم في حاجة ماسة إلى السلاح، أما مذبحه البوليس فقد هزت القلوب هزا.

معركة ظالمة مشنومة..

فقال عيسى بضيق:

نعم، إننا ندفع دفعا نحو..

وتلاشت الكلمة الأخيرة بين شفثيه في إسفاق فتلاقت أعينهما في كآبة، وسأله الباشا:

ماذا يقول الناس عنا؟

الروح الوطنية عالية جدا، أما أعداؤنا فيقولون إننا افتعلنا معركة لنشغل الناس بها

عنا.

فانحرف جانب فيه في احتقار قائلا:

سيجدون دائما ما يقولونه، أوغاد.. أوغاد..

وبينهما قام خوان، وفوق الخوان إبريق مفضض وطبق بسكوت فطلب الباشا إلى عيسى

-دون كلفة- أن يمالأ قدحين، وراحا يحتسيان بلا لذة، وفي أثناء ذلك امتد بصر عيسى إلى صورة

سعد زغلول المعلقة في الجدار فوق المكتب الفخم إلى يمين مجلسهما. وقال عيسى:

تصور سعادتك أنني لم أستطع الاتصال بوزير حتى الآن.

فربت الباشا على شاربه الفضي برقة وقال:

قل في هذا اليوم ما شئت، أين الوزير؟ لا أحد يدري، أين البوليس؟ لا أحد يدري، أين

الجيش؟ لا أحد يدري، اختفى الأمن وزحف الشيطان..

ترى هل ما زالت النار مشتعلة!؟

مد الباشا ساقيه حتى طوقنا أرجل الخوان الأبنوسية فاشتد لمعان حدائه الأسود تحت
سمت النجفة البلورية الرباعية الأذرع وحانت من عيسى التفاتة إلى المدفأة المركبة في الجدار
فأعجب بشفافية لهبيها الأحمر المتراقص وتذكر المجوس.

ثم سرعان ما استملح الدفاء الذي يهبه بجود، وجرت عيناه برشاقة على الأثاث
الكلاسيكي المجلل بالوقار والفخامة وأحزان الودائع فتذكر مرثية أنطونيو فوق جثة قيصر.
أما شكري باشا عبد الحليم فأجابه في كسل متعمد:

آن للنار أن تنطفئ بعد أن أدت الخدمة المطلوبة!

فالتمعت عينا الشاب العسليتان المستديرتان، ثم قال مستدرجا محدثه إلى المزيد:
لعله الغضب الأهوج..

ابتسم الباشا عن طاقم نضيد وقال:

كان غضب، وكان وراء الغضب حقد، أما الغضب فأهوج حقا، وأما الحقد فذو خطة
مرسومة.

وكيف يقع هذا ونحن في الحكم؟

ضحك الباشا ضحكة جافة مختزلة وقال:

هذا اليوم كالليل المتراكم السحب، انتظر حتى نعرف أين الرأس وأين القدم.

تطاول عيسى في توتر ثم زفر حتى أرعش أهداب غطاء الخوان المخملي، ثم تتم

متسائلا:

الأحزاب؟؟

فانحرف إلى أسفل جانبا الفم الدقيق في ازدياء وقال:

هي أضعف من أن تدبر أمرا!

من إذن؟

تساءل وريبة ذات معنى تتجلى في عينيه. فقال الباشا:

الأمر ليس بالوضوح الذي تظنه، قد تتسلل من السراي تعليمات معينة، قد يمرح

جواسيس الإنجليز ويعيثون فسادا، ولكن يخيل إلى أن المد بدأ طبيعيا جدا ثم انتهز النهازون

الفرص..

وبغته ثارت المخاوف الراسية في أعماقه فزلزلت قلبه فتساءل:

وماذا عن مصير المعركة؟

عاد الباشا إلى العبث بشاربه الفضي، ورفع عينيه إلى السقف التي تضيء أركانه الأربعة

أنوار متوازية وراء أجنحة مذهبة ثم أعادها إلى نوجه الشاب وهما تعكسان غموضا وكآبة دون

أن ينبس، فقال عيسى مطاردا القلق الذي يعذبه:

الويل لمن تسول له نفسه العبث بجهادنا!

فلم يبذ الحماس في وجه الباشا ولا التفاؤل واكتفى بأن قال:

هذا يوم خطير له ما بعده..

فقال عيسى بصوت فاطر مهزوم:

للمرة الثانية في هذا اليوم أتذكر قول الشيخ عبد التواب السلهوبي أثر المعاهدة:

"انتهينا والأمر لله"..

فابتسم الباشا قائلاً:

إننا لا ننتهي أبداً، فقد نسقط ولكننا نعود أقوى مما كنا..

ورن التليفون. وكان المتحدث حرم الباشا من الدور الأعلى. وتجلى الاهتمام في وجه

الباشا إلى أقصى حد. وأعاد السماعه وهو يقول:

أعلنت الأحكام العرفية..

ومضت فترة ذهول حتى قطعها عيسى مغمغماً:

لعلها ضرورة للقبض على المجرمين..

لكنه رأي الباشا غارقاً في التفكير الحزين فاستدرك متأسفاً:

أحكام عرفية في عهدنا! يا له من حدث مؤسفاً!

فقال الباشا:

وهي لم تعلن من أجل عهدنا!

(٣)

قال عيسى:

صدر قرار بنقلي من وظيفة مدير مكتب الوزير إلى المحفوظات!

رفعت إليه أمه وجها نحويلا يشبه وجهه لدرجة كبيرة وبخاصة في هيئته المثلثة ولكنه

كثير الغضون، وللشيخوخة في عينيه وفمه ولحييه معاقل، ثم قالت:

ليست المرة الأولى: لا تحزن، ستعود إلى ما كنت وأحسن، وربنا يصلح الحال.

كانا يقعدان في حجرة الجلوس ذات الشرفة المطلة على شارع حلیم بالدقي.

وكان زجاج الشرفة العريض مغلقا دفعا للبرد وأغصان صفصافة تصعد وتهبط خلفه

في حركة وانية وامتدت وراء ذلك السحب وتكاثفت وتجهمت كالسياسة. وكانت الوزارة قد أقيمت

فأقصته الوزارة الجديدة فيمن أقصت من موظفين عن الوظائف الرئيسية وبخاصة من كانت

لهم علاقة بمعركة القنال، وتعد هذه الأحداث عادية أو شبه عادية عند الأم لكثرة حدوثها. وهي

لا تسدمها صدمة اليأس لأنها ألفت أن يعقب المد جزر في صالح ابنها المحبوب. ورغم شيخوختها

وأميةا فهي تتابع الحياة السياسية وتدرک من أمورها ما يسمح به موقف عيسى وما يؤثر في حياته

جذبا ودفعا. هي به فخور وتؤمن بكل كلمة يقولها. وتعجب بما حقق من نجاح فاق الخيال، خيالها

وخيال المرحوم والده الذي عاش ومات موظفا صغيرا مغمورا. عيسى يشق طريقه رغم شلالات

السياسة وزوابعها يغطس أحيانا حتى يظن به الغرق ولكنه يقب محرزا درجة جديدة من التفوق. وهذا المسكن الجميل بالدقي آية على نجاحه وصموده، وأثائه متعة تهر البصر، وفي مناسبات غير نادرة يشرفه بالزيارة باشوات ووزراء. وتتساءل المرأة وأسابعها المتحجرة تقدس الله على حبات المسبحة الحجازية:

أما لهذه الحال من نهاية تستقر فيها على خير؟! وهل هي وليدة ظروف معقدة عسيرة على الفهم أوهي إصابات نافذة لأعين شريرة؟!:

وقال عيسى في فتور:

من العجيب أننا لا نكاد نستقر في الحكم عاما حتى يقذف بنا خارجه أربعا، ونحن نحن الحكام الشرعيون ولا حكام شرعيين غيرنا في البلد..

فقالت بإيمان وإصرار:

المهم الصحة والعافية:

فابتسم ابتسامة ساخرة مريرة ولكنه لم يشأ أن يعلن عن مرارته. وعلى العكس من ذلك قال بلهجة ذات دلالة:

الهم أن أنتهز فرصة العزلة لأعني بشئوني الخاصة.

فاختلجت عيناها الكليلتان في اهتمام وقالت بارتياح صاف لأول مرة:

نعم. تعجبي. أن لك أن تتزوج، فتاتك في الانتظار، وأبوها العظيم لم يرضن بموافقته.

فضحك متسائلا:

ألم يكن الأجمل أن أتزوج وأنا متمتع بالجاه والسلطان؟!

فابتسمت عن طاقم لاح بريقه كياسمينه منسية في حديقة اقتلعت أشجارها وقالت:

مركزك كبير، وهم يعلمون أنك مرشح لأعلى المناصب، وعلى بك سليمان يفهم الأمور جيدا، ثم نه قريبك. وكان يحب المرحوم والدك أكثر من أي شيء في العالم.

هذه كله حق. على بك سليمان ابن خال والده. وأسرته تمثل الغصن المورق في شجرة أسرته الجرداء، غنى من سلالة غنية. ومستشار خطير فضلا عن أنه من رجال السراي. وعندما يدعم نفسه بمصاهرته سيجد في مرفئه استقرارا إذا عبثت عواصف السياسة بقاربه. الخسائر التي تجيئه من الحزب أطول عمرا من مكاسبه. وسلوى فتاة ممتازة حقا، لا وجه للمقارنة بينها وبين ابنة عمه التي سعت أسرتها طويلا لتزويجها منه. وأم سلوى امرأة ممتازة أيضا وهي ميالة للمحافظة على ندره ذلك في طبقتها. ومن حسن حظها أنها حسنة الظن جدا بمستقبله حتى تخيلته وزيرا أقرب مما يتصور. وعندما فاتحها في مطلب مواجهه من كريمتها صارحته قائلة إنها لا يهمها المال ولكن مهمها المركز، أو ليست الدرجة الثانية امتيازا حقيقيا لشاب في الثلاثين من عمره؟ وهي لها تقدير خاص للشبان المتعلمين في الخارج، وهو وإن لم يتعلم في الخارج إلا أنه خدم عاما في سفارة لندن. وسافر ملحقا بسكرتارية وفد المفاوضات. وطاب له أن يستحضر صورة سلوى بجمالها البلقاني المغرى كالكريم شانتي، واعتدها منة من الله أنها ليست من فتيات النوادي ولا من معتنقات فلسفة العصر. وقال لوالدته:

تصوري أنني لم أكن رأيها منذ الصغرا!

هذا تقصير منك. انهماكك في العمل ليس بالعدر الكافي. فمن كان له قريب كعلي بن سليمان وجب عليه أن يوثق علاقته به..

كنت ألقاه في الخارج. لم أكن أفكر في الزواج..

وهو قد طلب يدها من والدها وليس له عن صورتها إلا فكرة غامضة غاية الغموض، ولكنه وجدها آية وسرعان ما أحبها من كل قلبه. وتهيأ لاختيار الألفاظ المناسبة للإفصاح عن عواطفه الجديدة أمام أمه. ولكن دخلت أم شلبي لتعلن عن حضور حسن ابن عمه لزيارته. وتجادبت قلبه عواطف متناقضة ولكن غلب عليه النفور الخلق بمن يكابد حسرات الهزيمة.

وقد كان حسن على الدباغ منطلق الأساربر. ربعة متين البنيان. مربع الرأس عميق الملامح، عريض الذقن، ويمتاز بعينين صافيتين ذكيتين وأنف حاد مدبب. قبّل يد امرأة عمه وصافح عيسى بحراة لم تخفف من نفوره ثم جلس إلى جانبه وهو يطلب الشاي. هو على وجه التقريب يماثل عيسى عمرا، غير أنه في الدرجة الخامسة على حين دفعت السياسة عيسى إلى الجرجة الثانية، ومع أنه من حملة بكالوريوس التجارة إلا أنه لم يجد عملا إلا في القرعة العسكرية. وسألته أم عيسى:

كيف حالكم؟

بخير، أمي بخير وأختي بخير..

ازداد عيسى نفورا عند ذكر الأخت لا لشيء كرهه فيها ولكن لكونها أخت هذا الغريم والمنافس القديم. كانا متنافسين ومتلازمين وتبادلا عواطف حادة مؤلمة. السياسة وحدها التي حسمت ما بينهما من أسباب التنازل فرفعت عيسى إلى مركزه المرموق على حين تدرج حسن ببطء في طريقه الوعر. وفترت العلاقات بعض الشيء ورسبت العواطف في الأعماق ولكن حسن لم ينقطع عن ابن عمه أبدا بل تمنى لو يزوجه من أخته. ومن عجب أن حسن فكر جادا في الذهاب إلى قريبه على بك سليمان ليطلب منه يد ابنته عقب عيسى بأيام. وضحك عيسى ازدرأ عندما نعى إليه الخبر وقال لنفسه: "رحم الله امرأ عرف قدر نفسه"، ولكنه كان يضمهر له إعجابا رغم نفوره منه لقوة شخصيته ووفرة ذكائه. وقال حسن بأريحية:

سمعت عن نقلك إلى المحفوظات، لا تحزن، أنت رجل مخلوق للشدائد.

فدخلت الأم في الحديث قائلة بحماس:

لا داعي للحزن، هذا ما أقوله دائما، وهؤلاء الناس لماذا يتركون الكبار وينتقمون من

الأبناء!!

وتعقد عيسى بمواساة حسن فقال باعتراز:

نحن قوم اعتدنا السجن والضرب فما أهون عقاب اليوم.

ومضى حسن يرشف الشاي في سعادة وهو يبتسم ويقول بلهجة تنذر بالهجوم:

أنتم تسجنون وتضربون حقا ولكن الآخرين يتاجرون..

أدرك عيسى من يعنهم بقوله: "الأخرين" فتحفز لمعركة. وغادرت الأم الحجرة لتصلي

المغرب، وقال عيسى منذراً:

أنتم تعلم بمنزلة الآخرين في نفسي فحذار!

فقال حسن يتحد باسم:

إن كل شيء ينهار بسرعة، ومن الخير أن ندعه ينهار، هذا القديم كله يجب أن يجتث من

جذوره!

فتساءل عسى في حدة:

وقضيتنا الوطنية من يبقى لها؟

أتظن أن هؤلاء الشيوخ المخرفين الفاسدين هم الذين سيحلونها؟

أنت لا تستطيع أن تراهم على حقيقتهم..

الحقيقة أنني أراهم على حقيقتهم..

أنت تردد باستمرار أقوال الصحف المعادية!

فقال بثقة مثيرة للحنق:

أنا لا أومن إلا بالواقع، وعلى الشباب أن يعتمد على نفسه! فدارى عيسى حنقه قائلاً:

دعوة هدم خطيرة، لولا الخونة لأوقفنا الملك عند حدوده الدستورية ولحقنا

الاستقلال..

أتى حسن على القدح وابتسم بغية تلطيف الجور ثم قال برقة:

أنت رجل مخلص وإخلاصك يحملك على الولاء لأناس لا يستحقون الولاء. صدقني لقد عم الفساد، لا هم لأحد من أصحاب السلطات اليوم إلا الإثراء المحرم، إننا نستنشق الفساد مع الهواء، فكيف تأمل أن يخرج من المستنقع أمل حقيقي لنا؟!

وترامى إليهما صوت الأم وهي تكبر، وخفف عيسى من حدته مراعاة للضيافة. ولم تكن قوة تستطيع أن تحمله على التسليم بما يقول غريمه ولو معاندة له ولكن اجتاحه حزن عميق. الدنيا تتغير وألتهه يتفتتون بين يديه. وحسن من جانبه غير الحديث فتكلم عن خسائر الحريق وتقدير التعويضات وموقف الإنجليز والاعتقالات المستمرة، ولكن ما لبث أن عاد يقول:

دلني على ركن واحد لم ينضج بالفساد؟

ما أبغض أفكاره. محنق حاد مثير للكدر. وحادثة قديمة برزت في وعيه بلا مناسبة. وكان بصحبة أبيه في زيارة لببيت على بك سليمان فوجد نفسه وحيدا في حجرة السفر، ولمح قطعة شيكولاتة في درج نصف مفتوح فدس يده فسرقها. حدث ذلك منذ حوالي ربع قرن فيا للذكرى. أما حسن فلا يكف عن الهجوم كعادته دائما فتبا له. وسأله بفتور:

ماذا تريدون؟

دما جديدا طاهرا.

من أين؟

فضحك عن أسنان لؤلؤية صارخة بالصحة والعافية وقال:

البلد لم يمت بعد...

فتساءل عيسى بحدة:

دلني على ركن يستحق الثقة غير حزينا؟!

رماه بنظرة ساخرة دون أن ينبس. وعلا صوت العجوز في الخارج بسيل من الأدعية، فعاد

عيسى يتساءل:

ما العمل إذن؟

نؤيد الشيطان إذا تطوع لإنقاذ السفينة.

لكن الشيطان لا يتطوع لإنقاذ شيء...

ونظر في غير اكتراث إلى السماء الغارقة في الدكنة ليريح قلبه من نظرات خصمه فقال

حسن:

يجب أن يذهب الإنجليز والملك والأحزاب وأن نبدأ من جديد.

فضحك عيسى في مرارة ثم قال:

حريق القاهرة أثبت أن الخونة أقوى من الحكومة والشعب معا.

ورجعت الأم وهي تقول:

ألا يوجد حديث آخر؟!

بدا خداهما محتقنين وشبه متورمين. واتخذت مجلسها السابق وهي تسأل حسن:

وأنت متى تتزوج؟

وتذكر عيسى تقدمه الجريء لخطبة سلوى فاشتد امتعاضه. فقير لكنه جريء وطمع ولا

شك في مالها كآخر وسيلة لانتشاله من متاعبه. أما حسن فأجاب:

الأحداث الهامة تقع فجأة وبلا سابق إنذار...

وأملك متى نراها؟

أه مسكنكم بعيد عن روض الفرج ولكنها ستجيب حتما.

ثم سأل عيسى وهو يتهياً للقيام:

أين تذهب هذا المساء؟

فأجاب تحد ولكن في هدوء:

إلى النادي.....

فنهض حسن وهو يقول:

(٤)

يوم الخطبة في قصر على بك سليمان هيليوبوليس يوم يستحق الذكر. لم يكن ثمة فاصل حقيقي بين الجنسين فقد احتلا بهوين متصلين بمدخل مشترك يعد في ذاته تحفة زخرافية. وأم عيسى وسلفتها أم حسن جلستا بين المدعوات في الهو الأحمر، وجلس في الهو الأخضر- بين المدعوين من الأهل والأقارب- أصدقاء عيسى الحميمون سمير عبد الباقي وعباس صديق وإبراهيم خيرات وابن عمه حسن، على حين استقبل الهو الكبير المتصل بالمدخل كبار المدعوين من أصدقاء على بك سليمان وجملتهم من رجال السراي أو من رجال القضاء، كذلك معارف عيسى من رجال الحزب. وانكشمت أم عيسى وسلفتها تحت عمرة الأنوار الساطعة. فهذه الدنيا لا ينتميان إليها بسبب. ورغم الفستان النفساني الذي تزينت به أم عيسى، ورغم وقار الشيخوخة. رغم ضعف الحواس وبخاصة البصر والسمع الذي أوهن انفعالها بالجو، رغم ذلك كله فقط لاذت بالانطواء ولم ت حاول في مجلسها أن تمارس أي مظهر خليق بأمر العريس. وعنيت سوسن هانم حرم على بك بمؤانستها عناية خاصة لتذهب عنها الوحشة فهي تحبها من قديم أو مذ كانت عروسا لعلى بك سليمان، وحبا للعجوز كان ضمن الأسباب التي جعلتها توافق على قبول عيسى. وسوسن هانم في أواسط الحلقة الخامسة ولكن لم يبق من جمالها إلا مسحة بسبب

مرض الكبد المزمن وسوء حالة الكيلة، ولكن طولها وعرضها وبهاءها الفطري أورتها مزايا باهرة لا تبيد. وجعلت تقول لأم عيسى في لطف بديع:

لا تنسى أنك في بيتك...

وهجم حسنن على أصدقاء عيسى في مناقضة سياسية رغم معرفته البسيطة بهم. وتابعه عيسى من بعيد بعض الوقت وكان يظن أنه يحجم عن شهود الحفل فعجب لشأنه واتقنع بأنه يستطيع أن يتحدى الزمن نفسه إذا أراد. ولكن عيسى لم يستقر بمكان.

وخص مدعويه من الحزب بأخص مجاملاته. ولم يكن الجو في الهبو الكبير يخلو من حرج فقد واجه رجال الحزب رجال السراي، ومع أن البعض ربطت بينهم مودات قديمة إلا أن الأغلبية من الطرفين تجاهلت بعضها البعض، ولعب على بك سليمان دوره بكل لباقة ورحب بالجميع على قدم المساواة رغم أنه هو نفسه من رجال السراي. كان محاميا وسطا حتى رشحته السراي لوظيفة مستشار في إحدى الحركات القضائية ولم يعرف بلون حزبي ثابت ولكنه اكتسى بشق الألوان كفوس قزح ثم انضم إلى حزب الاتحاد في الوقت المناسب وسار في الركب الملكي حتى اعتلى أسمى مركز في القضاء، ومع أنه يقترب من الستين إلا أنه يتمتع بصحة وحيوية نادرتين. طويل القامة في استقامة رياضية بديعة وعيناه السوداوان تحت حاجبيه الغزيرين الاسودين بهبانه جاذبية لا تقاوم. ودعم حياته في مطلعها بمصاهرة آل همت - أسرة سوسن هانم- فمدرقة أرضه واصل الأرسقراطية في ذريته، وراح يضحك ويداعب مدعويه جميعا قائلا:

من تفرقهم السياسة فلتجمعهم الأفراح!

وهمس شكري باشا عبد الحلیم في أذن عيسى:

ألا ترى أن قريبك يعترف في دعابته بأن رجال الملك -والملك بالتالي- ليسوا فوق

الأحزاب؟!

ومال الشيخ عبد الستار السلهوي برأسه نحوهما ليسمع الهمس في اللحظة المناسبة ثم

ضحك ضحكة صامتة وهمس بدوره:

إذن فلتكن الأحزاب فوق الملك!

ومد بصره في حذر إلى صورة الملك المعلقة بالجدار الأوسط للبهو فابتسم عيسى قائلاً:

لا تخف فإن اللعنات تنصب عليه في المقاهي جهرة...

ولكن مرارة السياسة ذابت في شربات الحفل. عيسى نفسه وهو مخلوق سياسي قبل كل

شيء أسلم نفسه بكليته إلى لبذة الوجدان. أزين كأحسن ما يكون، وتجلى وجهه ذو الهيئة المثلثة

في أنقى مظهر، وصفت عيناه المستديرتان. ولم تكن فرحته بمصاهرة المال والجاه لتذكر إلى

فجرة قلبه بعروسه، وأمله الصادق في حياة هائلة حقا وغد مفعم بالمسرات ومستقبل لواعد

بمجد حقيقي. وتناسى حريق القاهرة وإقالة الوزارة ونقله إلى المحفوظات والفتور المحزن الذي

اجتاح الحماس الشعبي والتقايس الذي طوق الجهات الرمسة نحو الأمانى الوطنية والكأبة

الدكناء التي خضبت الأفاق رغم انتشاء الحياة بمباهج الربيع. وكان عليه ألا يستقر في مكان أكثر

مما يجب الأمر الذي وافق رأسه المشتت بالانفعال. ومضى إلى سوسن هانم فتفقد البوفيه معا

وألقي نظرة أخيرة على صورته المكتملة الزاخرة بالألوان. ثم قصد إلى البهو الأخضر فجلس بين

أصدقائه الأعزاء الذي ود لو يبقى بينهم حتى تدعوه اللحظة الحاسمة. وقال إبراهيم خيرت وهو يسدد النظر إلى البهو الأحمر:

ما أكثر اللحوم البيضاء وما أجملها!...

فتساءل ع باس صديق مازحا:

هل تقصد الحاجة أم عيسى؟

ونظر عيسى إلى أمه في فستانها النفيس المحتشم فارتاح إلى تفوقها على أم حسن في الوقار

رغم وسامة الأخيرة، وشكا عباس صديق إليه حسن قائلا:

ابن عملك أعنف من حريق القاهرة!

فضحك حسن طويلا، وعاد عباس يقول له بنبرة الناصح:

تزوج أنت أيضا وسوف تقتنع بأن الحزبية ليست أسوأ الأشياء...

وإذا بسمير عبد الباقي يقول:

الحالة مضطربة جدا!

فأدرك الجميع أنه يتكلم في السياسة، وقال عيسى:

هذا أمر محقق...

فاق سمير بتوكيد:

لكمها مضطربة أكثر من الظاهر المعروف...

فقال حسن ساخرا:

ربنا يكرمك...!

يقال إن الملك سيدتاجر جنودا مرتزقة لأنه لم يعد بأحد!

فقال عباس صديق ضاحكا:

ليس أدل على سوء الحال من قول أحد الأحرار الدستوريين إنه يفضل عودة الوفد على

تفسيخ الوضع الراهن!

وقال حسن بإصرار:

أسأل الله المزيد من الاضطراب والتفسيخ...

دعي عيسى إلى الداخل لإعلان الخطبة فتعلقت به الأبصار وساد الصمت. وصمت حسن

أثقل الصمت. وانطلقت زغرودة سمعها كل من في القصر. وطافت سلوى بين أخيها وخطيبها

بجميع الحاضرين قبل أن تتخذ مجلسها المجلل بالورود في البهو الأحمر. جميلة حقا. عيون أبيها

ركبت في وجه بدري شفاف البياض. واقتبست من أمها طولها الفارع البيهي وعنقها الطويل النحيل

ولك انبعثت من عينيها نظرة رطبية رطبية توحى بالوداعة والخلو التام تقريبا من الذكاء والحرارة.

وجعلت تلتفت نحو أمها بصفة مستمرة كأنها تستلهمها الإرشاد والمعونة أو أنها تعاني في أعماها

بوادر أزمة الانفصال عنها في خوف وعدم ارتياح، أما فستانها فقد تحدث المدعوون عنه طويلا...

وتواصل الحفل ففتى جميع ما اكتظ به البوفيه من الشطائر والحلوى والأشربة وأخذ المدعوون في الانصراف محملين بعلب الحلوى، ثم خلت حجرة الجلوس المطلة على شارع البارون بفراندا ضخمة الخطيبين وسوسن هانم. وانتشر الليل في جو ربيعي صاف، وامتدت عمالقة الأشجار المحدقة بالبستان مترنحة سابحة في أمواج الضوء الساطع المتدفق من المصابيح الكهربائية وهبت نسائم مرطبة برودة حنونة منعشة.

وقال عيسى:

إني أعتبر اليوم غاية سعادتي.

فهمست باسمه في حياء:

أشكرك.. وأرجو أن أعرب لك عن مشاعري عندما أجد الشجاعة الكافية.

وتفحصتهما سوسن هانم بسعادة وهي تقول:

ستتم سعادتنا بزواجكما في يوليو بإذن الله...

وتساءل عيسى متى يتاح له عناقها؟! وثلم بسعادة دسمة لحد القلق. وقال لنفسه إنه يترسم خطى على بك سليمان. وسوف يفوز في النهاية بمركز كمركزه. ولم يكن ذاق الحب إلا مرة وهو تلميذ بالثانوية. أحب يومذاك ممرضة على محطة الترام الصباحية واندفع بجنون. ولكن والده شكمه وروضه. ها هو اليوم بعد مرور حياة غير قصيرة، وبعد أن امتحنته الدنيا بالسجن والضرب والمطاردة والرفع والخفض، ها هو يخطب بعد انقطاع عن رؤية خطيبته لا يقل عن

عشرة أعوام، ولكنه في الوقت نفسه عرف الحب وأترع برحيقه، وكان يقبض بيديه على سعادة مضمونة، وقال لها:

أنت يا عزيزتي صورة من والدتك، ولذلك فخيالي عاجز عن تصور سعادتني.

فضحكت سوسن هانم قائلة:

أرجو أن تذكر كلامك هذا للمستقبل فإنه يقال إننا -الحموات- لا نسمع الكلام الجميل إلا في هذه المناسبة.

وضحكت سلوى ضحكة رقيقة جدا فإزداد عيسى سعادة وملكته فجأة رغبة في التباهي فسألها:

ترى هل يضايقك العيش في الخارج لو دفعنا الظروف مستقبلا للعمل في السلك السياسي؟

فأجابت عنها أخمها قائلة:

سلوى متخرجة في المدرسة الألمانية.

فابتسم معلنا عن ارتياحه، ثم غمغم:

ولكن الحياة سعيدة، شهدنا في حياتنا ألما حقيقة فلتكن سعادتنا حقيقة أيضا!...

(٥)

قال عيسى لسلى:

في حياتنا يجب أن تعرفيه...

وهما يجلسان في الفراندا المفعمة بعبير الورد والقرنفل. والمغيب يقترب نصف مسدل الجفنين، والشمس تسحب أهدابها من هامات القصور، والربيع يتنفس شبابا رائقا. وهما في خلوة خلقها اختفاء سوسن هانم إلى حين، يشربان الليمون من دورق بلوري على ترابيزة من القش الملون. وغمغمت سلى متسائلة:

سر؟!

فارتفع نصفه الأعلى ابتداء من حاجبيه المستقيمين كما يفعل وهو يتأهب للحديث أو للخطابة ثم قال:

نعم، تظنين أنني تقدمت لخطبتك دون سابق رؤية، ولكنني في الحق أحببتك حبا عظيما قبل عشرة أعوام، كنت وقتذاك في العاشرة وكنت أنا في العشرين، وكنا نقيم في بيت والدتي بالواليية وأنتم كنتم في الهرم، وكان والدك -المحامي وقتذاك- على صلة وثيقة بأبي ويتبادلان الزيارة كثيرا، وكنت جميلة جدا كما أنت اليوم فوقع في غرامك، ألا تذكرين تلك الأيام؟!

فتكتمت ضحكة بالعض على باطن شفها وقالت:

قليلًا، أذكر أنني رأيت صواريخ مولد النبي مرة عندكم ولكني لا أذكر ذلك الغرام...

فضحك وهو يطوح برأسه إلى الوراء في حركة خاصة مقلدا دون قصد أحد باشوات

الحزب وقال:

ولا أحد يذكر، ولكن المرحوم والدي ضبطني مرة وأنا أهدق فيك بشغف وأخي وأنا

أقبلك!

لا!

نعم... قبلة بريئة تناسب طفولتك...

لكنك لم تكن طفلا...

لكنك كنت طفلة! ما علينا، قال لي والدي عند ذلك اجتهد وأنت تتزوجها، كن شابا لانقا
بها وأنا أزوجك منها! فسألته عن مدى اللياقة المطلوبة فقال لي إن على بك سليمان قريبه وحببيه
ولكن يجب أن تحوز القبول عند سوسن هانم، وهي غنية لا تهمها الثروة، ولكنها تريد لكريمتها
شابا ناجحا، قاضيا مثلا، والحق أن كثيرين بهرهم صعودي السريع حتى صرت من كبار
الموظفين بل ومن رجال السياسة في هذه السن المبكرة ولكن أحدا لم يفتن إلى البواعث
الحقيقية وراء ذلك النشاط الفذ.

فبسطت بحركة رشيقة مروحة عاجية صغيرة حتى تكشف صفحاتها عن صورة بطة في

الماء، وقالت في سخرية ودعابة:

هذا رغم أنك لم تزرنا طوال عشرة أعوام!...

فقال جادا:

لا تنسى أن والدك اختير مستشارا بعد ذلك فعمل أعواما ما بين أسيوط والإسكندرية،
ولا تنسى انغماسي في السياسة بعد ذلك...

فقال وهي تبتسم في دلال: وكيف عرفت أن العشرة الأعوام لم تصنع مني شيئا ردينا؟

قلبي!، أنا وأومن بشعور القلب، ولما رأيتك تضاعف إيماني به، وعليه فخطبتنا في ظاهرها
تقليدية ولكنها تطوى في أعماقها قصة حب وإن يكن حبا من جانب واحد...

وهمست وهي تنظر بعيدا:

على أي حال لم تعد كذلك!

ضم ذقنها بين أصابع يده وأدار وجهها بلطف ومال برأسه حتى تلاقت شفتاه المشوقتان
بشفتها الرقيقتين بنبضة متبادلة. وارتد وهو يبتسم في سعادة حقيقة. وراح ينظر إلى مجامع
أصص الزهور في الفراندا بعينين غمرتهما العاطفة كما يغمر الضباب زجاج النافذة. والقصة
بعد ذلك ليست اختلافا على طول الخط، طالما أعجب بجمالها في ذلك العهد البعيد. وهو وإن
لم يكن نسبا عشرة أعوام إلا أنه يحبها الآن حبا حقيقيا فما الضير في سد الفجوة بكذبة بيضا
تشع حكمة وتضفي على علاقتهما جمالا ساحرا! ولكن المحبوبة لا تريد أن تنفصل عن أمها كأن
القابلة نسيت أن تقطع حبلها السري في حينه. وهو يتوجس من ذلك خيفة أحيانا ويتطلع بإلحاح
إلى اليوم الذي يتم له امتلاكها حقا، ونظرة الاسترشاد أو الاستئذان التي توليها إياها عند مقاطع
الحديث تقلقه بعض الشيء. ولكن سعادته اكتسحت ذلك كله كما تكتسح الموجة العالية

نفايات الساحل ثم تتركه أملس صافيا. وفقرها المدقع في تجارب الحياة العادية أسعده. ولعله تملق شعوره بالاستعلاء كما لذه حنينها الدائم إلى الموسيقى واطلاعها لغني على الرحلات، وقال:
 حيك كنز ثمين لا يقدر بثمن، وعندما جئت لمقابلتك أول مرة سألت الله أن أفق من
 نفسك موقعا حسنا...

كنت أراك قبل ذلك في الصحف...

فقال بارتياح:

لو توقعت ذلك في حينه لاستعددت استعدادا أكثر عناية للتصوير.

هذا لا بهم ألبته، ولكن سمعت أيضا عن "شقاوتك" في السياسة.. فضحك مطوحا برأسه
 إلى الوراء مرة أخرى على طريقة ذلك الباشا وقال:

ترى ما رأيتك في ذلك؟! أنا صديق عتيديده لهرافات البوليس ووزنانات الأقسام والرفق
 والمطاردة. ترى ما رأيك في ذلك؟!

فعضت باطن شفتيها مرة أخرى وقالت:

بابا يقول...

وسرعان ما قاطعها:

لا داعي للاستشهاد ببابا في هذا الشأن، أنا أعرف مقدهما رأيه، فهو من رجال الجانب الآخر، وأنت لا تهتمين إلا بالموسيقى وكتب الرحلات؟!... عليك من الآن فصاعدا أن تعدى نفسك لدور زوجة الرجل السياسي بكل معنى الكلمة..

ورجعت سوسن هانم إلى الحجرة فوقفت أمامها وهي تقول بلهجة من يفضي بنتيجة مسعى قام به..

ليكن الأمر كما تشاء...

فوقف الشاب ببديته الشار كسكين الناصعة البياض وهو يقول:

شكرا يا هانم..

ثم جلسا وهو يستطرد:

ليكن الزواج إذا في أغسطس ثم نساfer إلى أوروبا بعد ذلك مباشرة...

وتلاقت النظرات في ارتياح. وغاب آخر شعاع من الشمس. وربت عيسى على ركبتيه فجأة

ثم قال مخاطبا سوسن هانم:

كنت أحادث سلوى عن غرامي بها منذ عشرة أعوام!

فرفعت المرأة حاجبها دهقة وقالت لابنتها محذرة:

لا تصدقي كل شيء يا سلوى، خطيبك سياسي وأنا أدري بهؤلاء السياسيين!

وأغرق ثلاثهم في الضحك...

(٦)

كان عيسى يتناول فطوره حين توقف الراديو عن إرساله المعتاد ليذيع بيان الجيش في

صباح ٢٣ يوليو...

لم يفقه معنى ما تلقتة أذناه بادئ الأمر. ثم وثب من مجلسه ليحتمل في الراديو وهو يلحق

شفتيه. وترادفت الكلمات الغريبة لتصنع جملا مذهلة سرعان ما تنفجر الدهشة عند استيعاب

معانيها. ودار رأسه كمن يخرج بغتة من ظلمة عمياء إلى نور باهر. وراح يتساءل معنى هذا! ما معنى

هذا؟!

ومضى إلى حجرة الجلوس فجلس إلى جانب أمه وهو يقول:

أبناء خطيرة جدا..

رفعت العجوز إليه عينها الضعيفتين فقال:

الجيش يتحدى الملك!

وهضمت المرأة الخبر بعسر شديد ثم تساءلت:

كأيام عرابي باشا؟!

أه. كيف لم يرد هذا المعنى على ذهنه؟! حقا إنه في نهاية من الاضطراب. وتمتم:

نعم، كأيم عرابي...

فسألته بقلق:

وهل تقوم الحرب؟

آه.. ماذا سيقع حقا؟! ليس في القاهرة الآن شخصية واحدة يمكن الرجوع إليها لاستقاء الأنباء. وإذا كان هو لم يقم في إجازة فما ذلك إلا لأنه أجل إجازته لحين سفره إلى الخارج.

كلا، للجيش مطالب وسوف تتحقق مطالبه، هذا كل ما في الأمر...

وسافر إلى الإسكندرية. ها هو الطاغية يتلقى صفقة فولاذية. لتكن صفقة بقوة طغيانه. فلتكن قاضية. وليحترق باجترار آثامه. انظر إلى عواقب غيك وحمقتك. ولكن أين تقف هذه الحركة؟! وما الدور الذي سيلعبه الحزب؟ الأمل أحيانا يسكره، وأحيانا يدخلوه إحساس كالذي يخالج الكلاب قبيل الزلازل. ووجد عبد الحلیم باشا شكري في أثنيوس مرتديا بدلة بيضاء من الحرير الطبيعي مغرورا في عروة جاكنتها وردة حمراء قانية، وأمامه قدح من البيرة الاستوت لم يبق فيها إلا رغوة كالبيود، وقال له الباشا وهو يضيق عينيه في فتور:

دعك من مطالب الجيش، الحركة أكبر من ذلك، المطالب يمكن أن تتحقق اليوم ثم يشنق مقدموها غدا، كلا يا أستاذ، ولكن من الصعب جدا التكهن بما وراء ذلك...

أليس عند سعادتك أخبار؟

الحوادث أسرع من التنبؤ، كان يجلس مكانك منذ ساعة مستر جودوين الصحفي الإنجليزي وقد أكد لي أن الملك قد انتهى.

فاستكان للدهشة الطاغية دقيقة ثم تساءل:

أليس لنا علاقة بهذا الأمر؟

لا يمكن الجزم بشيء من هؤلاء الضباط؟ ولا تنس أن زعماءنا في الخارج.

قد يكون لسفرهم علاقة بالحركة.

وأبى وجهه أن يتفاهل واكتفى بأن قال بصوت لا يكاد يسمع:

قدا!

وأكثر من الكلام وأعاداه دون أن يضيفا إليه جديدا ولكنه انقلب غاية في ذاته وجدا فيه متنفسا عن القلق.

وفي فيلته بسيدي بشر استلقى على بك سليمان على كرسي خيزران هزاز، شاحب الوجه، مغضن الجبين بعبوسة ثابتة، وفي عينيه نظرة مريضة خسرت مالها الطبيعي وكبراءها المأثور. ولما رآه مقبلا تطلع إليه باهتمام شديد وسأله بلهفة:

ما وراءك؟

وجلس عيسى وهو يشعر بثقل نظرات الرجل وزوجه وكريمته ثم قال بهدوء ظاهري واعتزاز خفي بما سيضيفه إلى الموقف من جديد:

الملك انتهى.

وانطفأ آخر قبس في عيني الرجل، وألقى نظرة علية على البحر المعربد من خلال

الشرفة، ثم تساءل:

وأنت.. أعنى أنتم.. هل أنتم موافقون؟

استمتع بلحظة اعتزاز كاذب تأرجحت فوق جرح أليم، وتمتم:

الملك عدونا التقليدي.

اعتدل البك في جلسته وسأله:

هل للجذب علاقة بما يحدث؟

ودلو يستطيع أن يجيب بالإيجاب أمام الأعين المحدقة ولكنه قال وهو يداري تعاسته:

لا أدري عن هذا شيئاً.

لكنك تستطيع أن تدري بلا شك.

ولا أحد ممن قابلتهم يدري، وزعماؤنا الحقيقيون في الخارج كما تعلم سعادتك.

فنفخ الرجل بضيق شديد وقال:

نسينا بسرعة درس عرابي وعمما قليل سيذهب الإنجليز.

فتساءل عيسى قلقاً:

هل من أنباء عن ذلك؟

فلوح الرجل بيده ساخطا على حين سألته سوسن هانم:

ألا يحسن أن نذهب على العزبة؟

فأجابها بفتور:

لا أحد يدري ما هو الأحسن.

وانطلقت الأحداث حتى غادر الملك البلاد، وشهد عيسى ذلك في الإسكندرية ورأى بعينه تحركات الجيش، كما رأى المظاهرات الصاخبة. وعانى طوال الوقت من عواطف متضاربة أطاحت به في دوامة ما لها من قرار. شعر بفرحة كبرى عزل على التصديق والتأمل، وشفقت صدره من آلام المقت المكبوت. ولكن هذه الفرحة لم تنطلق إلى ما لا نهاية، وإنما ارتطمت بسحائب دكناء كدرت بعض الشيء صفاءها. أهورد الفعل الطبيعي لكل شعور عنيفا، أم هورثاء تجود به النفس المطمئنة أمام جنة غريمها الجبار؟، أم أن تحقيق هدف من أهدافنا الكبرى يعني في الوقت ذاته زوال سبب من أسباب حماسنا للوجود؟، أم أنه عز عليه أن يتحقق هذا النصر الكبير من غير أن يكون لحزبه الفضل الأول فيه؟

وهكذا وجد زوار عبد الحليم باشا شكري في قصره بزينبيا. كانوا مزيجا من السرور

والوجوم والقلق. وراح الباشا يقول:

سيحان من له الدوام.

وبطريقته الخطابية في الحديث قال الشيخ عبد الستار السلهوبي عضو الشيوخ:

انتهى فاروق ولكننا نريد أن نطمئن على أنفسنا.

وتمطت موجة من الضحك العصبي الخالي من السرور الحقيقي غير أن عيسى تساءل

وهو يجلس إلى جانب أصدقائه سمير عبد الباقي وعباس صديق وإبراهيم خبرت:

ماذا عن المستقبل؟

فأجابه عبد الحلیم باشا شكري متجاهلا الغرض الحقيقي من السؤال:

سيكون خيرا من الماضي بلا ريب!

فقال له الشيخ عبد الستار السلهوبي:

لعله يسأل عن مستقبلنا نحن؟

فقال الباشا بوجه غير معبر كما يجدر بسياسي عتيق:

سيكون لنا دورنا بغير جدال.

واهتز جذع الشيخ عبد الستار كالمقرئ في الفترات المتخللة للتلاوة ثم قال بعنف:

هذه الحركة ليست في صالحنا. إني أشم الخطر على بعد آلاف الأميال، يوم ألغيت

المعاهدة خسرتنا الملك والإنجليز، واليوم سنخسر كل شيء.

فقال سمير عبد الباقي:

نحن آخر من يتوقع الخطر أو هذا ما ينبغي.

وقال إبراهيم خيرت:

إن ما حدث اليوم هو ما كنا نفعله لو ملكنا القوة اللازمة.

فقال الشيخ عبد الستار ساخرا:

ولكننا لم نفعله يا سي عمر!

وتجمع الماضي في خيال عيسى كقبضة عنيفة مفعمة بالجلال والحزن. وحدث قلبه بأن ذلك الماضي يتبلور الآن في صورة فقاعة لن تلبث أن تنفجر. وإن وجهها جديدا من الحياة يسفر عن صفحته رويدا رويدا حافلا بالجدة والغرابية. وأن بوسعه أن يتعرف على هذا الوجه لأنه سبق له أن لمح هنا أو هناك، ولكن من أين لهذا الوجه أن يتعرف عليه هو داخل الفقاعة المتفجرة؟ ثم استراحت عيناه عند صور فنية معلقة على الجدار فوق المدفأ الباردة، وتعرض زنجية غليظة الشفتين جاحظة العينين في غير دمامة، تحرق في ودهه بنظرة حسية وقحة ناطقة بالإغراء والتحدي...

(٧)

وشحن الجو باحتمالات شتى متناقضة ولكنها اتفقت جميعا على انتزاع الطمأنينة من نفسه فكابد حياته بأعصاب عارية، وبات تأجيل زواجه أمرا محتوما حتى تستقر الأرض تحت قدميه وحتى يسترد حموه وعيه. وانتصبت علامات الاستفهام أمام عينيه وأعين أصحابه

كالرايات السود على السواحل عند هياج البحر ومضغوا الشائعات كالعلقم. ثم علم أن حسن ابن عمه اختير لوظيفة مهمة وأن الباب انفتح أمامه إلى مراكز أهم وأخطر مما قطع بأنه من أهل الدنيا الجديدة وقد صعقه الخبر أشد مما صعقته الأحداث، ولبت مدة لا يدري كيف يبلغه أمه ولكن العجوز لم تفهم الأمور على حقيقتها وقالت ببلاهة:

سيأتي دورك، لا تحزن، أنت تستحق كل خير.

وقال لنفسه: ما أجمل أن يعيش الإنسان بعيدا عن منطقة الوعي! ثم أعلن عن نظام التطهير. وقرأه بانتباه جنوني ومرارة ويأس. سيدركه الدمار الذي يحيق بالأحزاب والزعماء ستقتلع الجذور التي تثبتته بأرضه جذرا بعد جذر. وما أغرب ما يقع اليوم مما لم يكن يتخيله أحدها هو صديقه إبراهيم خيرت المحامي وعضو مجلس النواب السابق يتحمس للثورة بقلمه في أكثر من صحيفة كأنه ضابط من رجالها! ويهاجم الأحزاب -وحزبه ضمنها طبعاً- والعهد البائد كأنما لم يكن أحد رجاله. وعباس صديق آمن مطمئن غير مكترث للأحداث إذا وجد ظهرا يحميه في العهد الجديد بل واصل طموحه إلى الترقى بأمل أقوى مما كان. سمير عبد الباقي وحده الذي شاركه القلق والخوف والمصير، وهو شاب نحيل رقيق قمحي البشرة تشع من عينيه الخضراوين نظرة حاملة فوجد عنده بعض العزاء، وسأله:

كيف تتصور أن يكون مصيرنا؟

فقال وهو يتبسم ابتسامة باهتة:

الطرد أقل ما ينتظرنا.

فسأله بحلق جاف:

ما عسى أن نفع؟

معاش لا قيمة له ولكننا قد نجد عملا في شركة.

ترى هل يتيسر لنا ذلكن وهل نجد الشجاعة لنبدأ من أول الطريق من جديد؟!

وهز الآخر رأسا لا يعد الشيب نادرة في سواده وغمغم بلا روح:

عسى أن تكذب الأحداث ظنوننا.

وتراكت الشكاوى في لجنة التطهير كالزبالة. وعلم عيسى أن كثيرا منها يستهدف القضاء عليه. ولم يستغرب ذلك بطبيعة الحال فإن أعداءه من المسؤولين في الوزارة أكثر من أصدقائه، وأضاف إليهم الحاقدين والحاسدين والذين يتطوعون للشر عند أي مناسبة. بل من هؤلاء وأولئك من تحداه علنا في الوزارة بلا سبب، ومن عرض به ساخرا وجها لوجه، وحتى بعض مرؤوسيه استباح لنفسه الاستهانة به حتى انقلبت الوزارة ركنا من الجحيم.

ثم استدعى للمثول أمام لجنة التطهير. وكانت اللجنة تجلس وراء مائدة خضراء امتدت في عرض الحجرة بمكتب المستشار القانوني للوزارة، واحتلت السكرتارية الجناح الأيمن، على حين دعي هو للجلوس أمام الأعضاء في الناحية المقابلة من المائجة، لمح مكان صورة الملك أخرى تحمل اسم الله، ونقل بصره بين الوجوه فعرف في ممثل مجلس الدولة زميلا قديما في لجنة الطلبة كاد يهلك معه يوما في مظاهرة أما بيت الأمة قبل منظره ريقه ولكن الأعين جعلت

تظل إليه برزانة أو تلقى على الأضابير نظرات ولم يبد على أحد منهم أنه زامله يوما ما بالرغم من وجود مراقب المستخدمين ومدير الإدارة العامة بينهم. وكان شخصه يهز كثيرين من أعضاء اللجنة في الماضي حتى وحزبه خارج الحكم ولكن حلت الحيدة الباردة محل العرفان والعاطفة وسرى في جو الحجرة الكبيرة العالية السقف ذات الجدران القاتمة المشبعة برائحة السجائر العظنة روح رهبة ثلجية، ومن خلال زجاج الباب المغلق انتقضت حدأة على الشرفة الخارجية ثم ارتفعت بسرعة خاطفة وهي تطلق صوتا كالنواح.

وحدجه الرئيس بنظرة طويلة من نظارته الكحيلة المذهبة وقال:

أرجو أن تطمئن كل الاطمئنان إلى عدالتنا فهي لا تبتغي إلا وده الحق وحده.

فقال بهدوء باسم ليستر بأسه:

لا شك عندي في ذلك.

وأحب أن تعلم أن المهمة التي كلفنا بها غايتها المصلحة العامة لا الانتقام ولا أي غرض آخر.

فقال وهو يهبط درجات جديدة في أحضان اليأس:

لا شك عندي في ذلك أيضا.

وصدرت إشارة إلى السكرتارية فتليت العرائض تباعا. بعضها موجه من موظفين والبعض الآخر من عمد. وانقلب صوت قارئ العرائض رتيا كملقن الأموات، وأغمض عيسى

عينيه ابتغاء تركيز أشد ولكن التهم جميعا انصبحت على تعيين العمد بالحزبية والهدايا فتشتت في التكرار تركيزه وذات في الظلمة التي اختارها. ومن خلال ضباب أحمر انغرزت في أذنيه السهام ورغم الجهد المبذول للتركيز اعترضته الذاكرة بصورة قديمة جدا مخضلة كأعشاب الطفولة اليانعة وهو عائد من ملعب كرة في الخاء المحدق بالوائلية في يوم انهل مطره كالسيل فلم يجد ما يحتسى به من انفعال السماء إلا أسفل عربة زباله. وتساءل عن معنى هذا كله. وفتح عينيه فرأى الوجوه وهي تتموج، وللحظة قصيرة خيل إليه أن فردة شارب المستشار اليسرى موصولة بفردة شارب ممثل مجلس الدولة اليمنى، وسئل عن رأيه. أي رأي؟! وقال بحدّة قاهرة:

كلام فارغ، أريد دليلا واحدا.

وامتلاً قوة ولكنه سرعان ما باخ وتهاوى كورقة خضار ذابلة صفراء.

قال الرئيس:

كان الوزير يعتمد ترشيحاتك فأنت أول مسئول.

كان ذلك ضمن واجباتي وقد أديته بما يرضى ضميري.

هل من سبب غير الحزبية يمكن أن يفسر لنا عزل أو تعيين العمد؟

فقال وهو يحاول أن يسيطر على لهاته وتهديه:

لتكن الحزبية هي السبب ألم تكن من مقومات حياتنا الماضية؟

هل أنت مقتنع بصحة تصرفاتك؟

أرى أنها كانت طبيعية جدا.

فتساءل الرجل وهو يلعب بالباركر في يده:

والهدايا؟!

فاندفع يقول بحدة:

قتل إنه كلام فارغ. أريد دليلا واحدا.

وتليت أسماء الشهود من العمد أنفسهم فهتف:

ما قيمة الدس الوضعي؟

ثم استدعى موظفون ممن عملوا معه على فترات متتابة فأدلو بأقوالهم وعرضت عليه توقعات بخط يده لترقية موظفين بصفة استثنائية ولأداء خدمات في الري والزراعة وبعضها يوصي بمجرمين ريفيين ممن تربطهم صلات الرعاية أو القرى بنواب سابقين. وامتد الوقت حتى فقدت الأشياء ألوانها. وصاح بعصبية:

دلوني على موظف واحد يستحق البقاء!

وتصدى له عضو في اللجنة لم يعرفه من قبل فتكلم بعنف عن واجبات الموظف نحو

الشعب ثم قال:

الثورة صادقة العزم على تطهير الجهاز الحكومي من كافة أنواع الفساد وأؤكد لك أن المستقبل لن يرى مصريا واحدا مهضوم الحق، ولا مصريا واحدا يؤثر بأي لون من ألوان الخير أو الامتياز لانتماؤه إلى فرد أو أسرة أو هيئة.

ونصحته شيء في أعماقه بالألا يتعرض لمناقشة هذا العضو فلاذ بالصمت. واستمر التحقيق حتى الرابعة مساء، ثم غادر اللجنة كعود جاف مقصف اخترمته دودة عاتية! واخترق إلى الدقي طرقات غرقت-كقارة أطلس- بجميع أبعادها وأحيائها وجمادها تحت أمواج ذاته الهائجة المتلاطمة حتى لم يعد يرى أو يسمع أو يعي إلا القلق الشيطاني بأشواكه الحادة ومكره القاسي. وتساءلت الأم العجوز:

لم لا تحدث في أمرك ابن عمك وهو منهم!؟

لدغته وصبتها فانفجرت في عينيه نظرة جنونية من الغضب.

(٨)

واستدعاه مراقب المستخدمين ليبلغه قرار إحالتة إلى المعاش مع ضم سنتين إلى مدة خدمته. وهو نفس المراقب الذي كتب مذكرات ترقياته الاستثنائية التي توجب بترقيته إلى الدرجة الثانية.. ولعله ما زال يحتفظ بمشروع مذكرة لترقيته إلى الدرجة الأولى كانت قد أعدت لرفعها إلى مجلس الوزراء قبيل إلغاء المعاهدة بأسبوع واحد ثم لم تحظ بفرصة لاعتمادها في غ مار الأحداث التي أعقبت إلغاء المعاهدة، ولمن يكن للرجل لون حزبي ولكنه لم يشك لحظة في

كراهيته له لتساويه معه في الدرجة رغم فارق اللسان الشاسع بينهما. وتأثر المراقب بمأساة الموقف فانهزخ حول الحجره من أي مستمع وقال له:

لا يعلم إلا الله مدى حزني يا أستاذ عيسى...

فشكره وهو على يقين من مدى كذبه فثمانية أعوام في معاشره الموظفين كافية جدا ليجيد ترجمة مصطلحاتهم المحفوظة في المجاملات إلى معانها الحقيقية. وها هو ملف خدمته مطروحا على مكتبه، وها هو اسمه مخطوطا على غلافه بالفارسي "عيسى إبراهيم الدباغ" فراه بعين الخيال وهو يلقي في الدفتر خاتمة ليقبر هنالك إلى الأبد بكل ما يسجل في أوراقه من توقعات تاريخية تشهد له بالامتياز وتبشره بأسعد مستقبل. وسأل عن مقدار معاشه فأجاب المراقب:

اثنا عشر جنهما ولكنك ستقبض مرتبك كاملا لمدة عامين...

وغادر الوزارة بعينين تحمقان في داخل رأسه. أيقن الآن أنه قضى عليه بأن يعاني التاريخ في إحدى لحظات عنفه حين ينسى وهو يثب وثبة خطيرة مخلوقاتة التي يحملها فوق ظهره فلا يبالي أيها يبقى وأيها يختل توازنه فيهبى. ومشى طويلا في دفة الشمس دون هدف وفي غفلة تامة عن الشوارع التي يخبط فيها. تذكر البوديجا قهوته المختارة فمضى إليها. في مثل هذا الوقت من الظهيرة ليس ثمة أمل في أن يجد في مجلسه أحدا من أصدقائه فراح يحتسي الشاي وحيدا وصورته في إحدى المرايا المصقولة تؤانسه رغم كآبة منظرها. ووجد الجماعة تلعب الزرد وتتحمس حتى الجنون لما يعجب به الزهر، وجد فيها أصدق مثال للمبالاة التي تلتقت بها الدنيا كارتته فتحول عنها وعن الغارقين في دخان النارجيلة إلى صورته الكئيبة. لو نطقت هذه الصورة

لوجدت حقا من يفهمي. خبرني ماذا فعلت، ولم لم تقرأ المستقبل إذ هو على بعد ساعات منك على حين تؤكد أخبار وقععت فوق سطح الأرض منذ ملايين السنين. وهذا الوجه ذو الرأس الكبير والهيئة المثلثة الذي مدحه أحد الشعراء فشمه بدلتا النيل، وهذا الوجه الذي كان مرشحا للصفحات الأولى من الصحف، ما باله يندثر كالديناصور عملاق الأساطير البائدة؟ وكالشيء الذي تحتسيه المقتلع من أرضه الطيبة في سيلان ليستقر آخر الأمر في مجاري القاهرة. وإذا علوت بضعة آلاف من الأقدام في الفضاء فلن ترى فوق سطح الأرض حيا ولن تسمع صوتا إذ يذوب كل شيء في حقارة رهيبية كونية. والماضي الضخم الذي ما زالت أنفساه تتردد على وجهك تقطع القرائن بأنه سيتحلل وشيكا ويعفن ولن تبقى منه إلا على رائحة كريهة.

وارتفع صوت يقول في عصبية:

قلبي يحدثني بأنني سأجرك هنا..

وأقبل سمير عبد الباقي فجلس إلى جانبه بوجه شاحب ونظرة منكسرة كأنما تطالعه من وراء قضبان. وفرح عيسى به فرحة جعلته يشد على يده بقوة نابضة بالاستغاثة. وعاد سمير يؤكد:

قلبي يحدثني بأنني سأجرك هنا!

فضحك عيسى ضحكة عالية اختلج لها جفنا صاحب القهوة وراء طاولته ثم قال:

ولن تجدني منذ اليوم إلا هنا!

فرنا إليه بنظرة ميتة من عينيه الخضراوين وقالك

وأنا كذلك اليوم، وقد غادرت الوزارة لآخر مرة..

تبادلا نظرة طويلة مغرورقة باليأس، ثم اجتاح عيسى مرح غريب لكنه مريب غير أصيل

كأنه مبعث من خمر أو مخدر وتساءل:

وما العمل؟

لدينا هدنة عامين بمرتب كامل.

وبعد ذلك!

يمكن أن نجد عملا في شركة.

فتساءل عيسى بارتياح:

وأي شركة تجازف بقبولنا؟!

فقال سمير متتهيدا:

لا بد لكل مشكلة من حل..

ومضى في طريقه إلى مسكنه وهو ينظر إلى الناس بغرابة كأنما يراهم لأول مرة. وهم غرباء

لا يمتون إليه بسبب ولا يمت إليهم بسبب، وهو منفي في مدينته الكبيرة، مطارداً بغير مطاردة،

وعجب كيف انهارت الأرض تحت قدميه فجأة كأنها نفخة من تراب، وكيف تقوضت الأركان التي

قاومت الدهر ربع قرن من الزمان.. وألقى نظرة على وجه أمه الذابل ثم دهمها بالخبر فوضعت راحتها فوق يافوخها كأنما لتوقف الألم المتصاعد وتأوهت متسائلة:

لم يفعلون بك ذلك يا بني؟

من الخير أنها لا تدري شيئاً. وراح يتحول في المسكن على مهل. ياله من مقام نفسي لا يمكن الاحتفاظ به بعد الآن. مرتب عامين وورصيد في البنك من نفحات العمد. ولكن هل يكفيه ذلك إلا عامين آخرين؟! وجميع هذه التحف التي تزين المدخل والاستقبال والمكتبة هي أيضاً "هدايا". أجدل إن المذنبين أضعاف المطرودين ولكنه مذنب وأصحابه مذنبون. أين الأيام البعيدة الظاهرة أين! أما الختام فهديا محرمة وفساد ثم الضياع المباغت وهو على عتبة المناصب العالية المؤدية إلى كرسي الوزارة! وكيف تعيش في دنيا من الناس والمتجاهلين والشامتين وقد طويت الأمجاد كأن لم تكن ونشرت الأخطاء كالأعلام؟!!

وذهب عصرا إلى فيلا على بك سليمان تحت سماء مليدة بالغيوم وقد عصفت بالجورج باردة أثارت غبار الأرض كالخماسين.. وفكر وهو يصعد السلام المرمري العريض بأنه لولا الحصانة القضائية لقفد بعلى بك سليمان إلى جانبه في الشارع. وكان البك في الخارج وسوسن هانم في الفراش متوعكة بزلّة برد ثم جاءت سلوى في روب من المخمل الأزرق سطع من طوقه وجهها كالضياء. وهو وجه على جماله شحيح التعبير فلم يستطع أن يقرأ في صفحته أثر الأحداث ولكن قلبه المكروب اهتز لمرآه ونبض فيه الشوق كلحن قلق. وقال لنفسه إنها القيمة الوحيدة الباقية لي في الحياة. وتساءل في اللحظة التالية ترى هل هي "لي" حقا؟! ورغبة في حسم الوسوس قلا بإيحاء مخيف:

سلوى.. أحالوني إلى المعاش...

اختلجت عينها الجميلتان الخاملتان وهمست في ذهول:

انت؟!

فقال مسلما أمره للمقادير:

نعم أنا كما يقع للكثيرين في هذه الأيام.

فحدجته باستغراب قائلة:

ولكنك لست كالأخرين!

فوخزه قولها كطعنة في العين، وترنح خياله منذعرا بين التحف ورصيد البنك ثم قال:

إنهم ينتقمون منا باسم التطهير.

امتد بصرها عفوا إلى تمثال برونزي لفارس مغربي يمتطى جوادا كأنما تستلهمه الرأي ثم

تمتت:

تصرف غير لائق!

فتشجع قائلا:

سوف أجد عملا خيرا من وظيفتي..

وابتسمت كأنما لتعتذر عن فتورها المتزايد وتساءلت:

أين؟

وتساءل هو عن مدى حبها وعمّا تضمّره له الأيام من غدر حديد ولعن في سره صورة رئيس

لجنة التطهير التي اقتحمت خياله فجأة، ثم أجاب:

في شركة أو في العمل الحر.

وبرز طرف لسانها ليرطب شفّتها في حركة طبيعية وشت بنسيانها لنفسها فأردك مدى

الخبية التي تعانها وقال برجاء:

دعيني أستمد القوة منك!

فابتسم فوها وحده وغمغمت:

أتمنى لك النجاح..

فطرح يده على يدها المبسوطة فوق ذراع المقعد وقال فيما يشبه الهمس:

الحزب هيزأ بأمثال هذه المشكلات بكل بساطة.

نعم.. نعم..

قد تكون فاترة الطبع ولكنها تحبه بلا ريب. وجاءه دافع قهار ليضمها إلى صدره فمال

نحوها وطوقها بذراعه، وعندما رشقته بنظرة مخملية واستسلم جذعها لذراعه تطايرت من

كده شرارة جنسية مباغطة فانكفأ بوجهه على وجهها ضاغطا بشفتيه المتوثبتين شفّتها

الرقيقتين مدعنا لتحريض شهوة طامحة للعزاء ولكنها أوقفته براحة مبسوطة وأدارت وجهها

لتتخلص من هجمته فانفصلا وهما يلهثان. وانفصلا أكثر بصمت رهيب تبادلا فيه العتاب من ناحية والاعتذار من ناحية أخرى عن طريق قراءة الأفكار المجمومة ثم خرج صوته من المعمة سيرا وهو يقول:

سلوى.. أنا أحبك.. حياتي كلها تتخلص في شيء واحد هو أنت..

فربتت على يده برقة ورناء فقال:

يجب أن تتكلمي.

فتنفضت بعمق لتستعيد توازنها ثم قالت:

علينا أن نواجه الحياة بكل ما فيها..

وصغى إلى عزوبة النعمة بارتياح عميق. وود أن يغيبا عن الدنيا في مكان مجهول إلى الأبد.

مكان لا سياسة فيه ولا وظائف ولا ثورات ولا ماضي له. وسألها بصوت مبتهج لأول مرة:

هل تهبينني الثقة والتشجيع؟

فقال وهي تجفف شفيتها بمنديلها.

لك ما تريد وأكثر...

وجاءته رغبة جديدة في معانقتها ولكن صوت على بك سليمان تردد خارج الحجرة كأنما

يعلن عن مقدمه.

(٩)

أقبل البك نحوهما شبه مبتسم، ومكث معهما قليلا، ثم دعا عيسى إلى الاجتماع به في حجرة مكتبه، وبدأ جو الحجرة في شبه ظلام لبعدها عن الطريق ولشدة اكفهرار الجو في الخارج فأضاء مصابيحها. وجعل عيسى ينظر إليه بعناية فقرأ في أعماق عينيه تجهما فتساءل ترى ألهذا علاقة به أم أنه العاقبة الحتمية للأحداث؟ وحانت منه التفاتة إلى فوق. فرأى صورة للبك في التشريرة القضاية قد حلت محل الصورة التقليدية للملك.

وتساءل على بك سليمان:

كيف الأحوال؟

فتظاهر عيسى بالاستخفاف وهو يقول:

سأبدأ من جديد؟

وقص عليه مأساته في كلمات من وجهة نظره فتفكر الرجل قليلا ثم قال:

لن تجد الأمر سهلا...

أعلم ذلك ولكني غير يائس...

ولاحت في عيني البك نظرة جادة لدرجة مثيرة ثم قال بنبرة الاعتراف:

الحق أن الحكاية لم تكن مفاجأة لي!

لعل رئيس اللجنة قد أبلغها سعادتك؟

نعم.

ألم يكن في الإمكان...

كلا، الرج لصديق حقا ولكن اللجنة أقوى من رئيسها والخوف قد ركب الجميع..

فقال بامتعاض:

على أي حال ما فات فات فلنفكر في المستقبل..

هذا خير ما نفعل..

فقال عيسى متحديا المجهول:

عن ذلك حادثت سلوى.

سلوى؟!.. هل أخبرتها حقا؟

هذا طبيعي جدا.

بعد تردد:

بكل شيء؟!!

فحدجه بنظرة مريبة وقال بشيء من الحدة:

طبعاً!

وماذا قالت؟

فقال وهو يتوثب في باطنه لجميع الاحتمالات:

ما ينتظر منها، فهي معي في الخير والشر على السواء!

نقر الرجل بإصبعه على الكساء البللوري للمكتب ثم قال:

أحب أن أكون صريحا معك، الزواج الآن ليس من العقل في شيء!

هذا حق الآن!

وهز الرجل رأسه كأنما يخفى أكثر مما صرح به، فقال عيسى ليسر اغواره:

ما أنا إلا ضحية سياسية!

فرفع الرجل حاجبيه الغزيرين دونما إفصاح فراح الآخر يقول بغیظ:

طالما كان لي الشرف بأن أكون كذلك..

وإذا بالبلك يقول في ضجر:

ولك السياسة لم تكن هذه المرة وحدها!

وتلاقت العينان في نظرة مزعجة فاجتاحت عيسى موجة عاتية من الغضب وتساءل

بصوت متهدج:

مزيدا من الشرح من فضلك؟!

فقال الآخر في امتعاض وحزن:

أنت تعرف ما أعنيه يا عيسى...

فسأله بحدة أسمعت أركان الحجره الوقور:

أبك شك من ناحيتي؟!!

لم أقل هذا..

إذن ما تقصد؟

فقال وهو يقطب استياء من حجة لهجته:

القرائن خطيرة..

فهتف:

بل هي حقيرة لدرجة أنه لا يمكن أن يهضمها إلا عقل حقير!

الظاهر أن أعصابك..

أعصابي كالحديد وأنا أعنى كل كلمة تفوهت بها.

فاحتد الرجل قائلاً:

إذا أثرت غضبي فسيكون أمرا مؤسفا حقاً!

ولم يكن بقي له من أمل في سلوى أكثر من واحد في المائة فصاح بجنون:

لا أبالي كيف يكون الأمر ، وأيا كانت خطورة القرائن التي تذكرها فإنني لم أكن يوما انتهازيا ولم يكن للملك السابق فضل علي...

وهب الرجل واقفا ووجهه يقطر غضبا قانيا، وأشار إلى الباب بذراع متشنجة دون أن ينبس بكلمة. وهكذا غادر عيسى الحجرة.

ورغم ذلك كله قرر ألا يدعن لليأس قبل أن يستमित في الدفاع عن ركن العزاء الذي لم يتهدم. يجب أن تكون الكلمة الأخيرة لسلي دون غيرها. ولم يكن ينتظر الكثير من شخصيتها ولا من حبه ومع ذلك طلبها عصر اليوم التالي في التليفون، وقال لها بتوسل:

سلي.. يجب أن أقابلك فورا...

وجاءه الجواب كالصفعة..

(١٠)

لا مشكل بلا حل!

هكذا تكلم إبراهيم خيرت في ركنهم الخاص بالبوديجا. وهو لضالة جسمه وقصر قامته يقعد قريبا من حافة الكرسي ليتمكن من إيصال قدميه إلى الأرض ويعقد دبنه في مقدمة رأسه الضخم ليضفي على شخصيته جدية تصد عنها الهازلين. وتكومت فوق كرسيين متلاصقين معاطفهم وتقاربت رؤوسهم في القهوة المزدهمة الصاخبة. وقال عيسى لنفسه إنه-إبراهيم خيرت- يتكلم عن المشاكل والحلول بطمأنينة لأن الزلازل لم تحدث خسائر في أرضهن وهو محام

ناجح وقلم يتألق في الصحف ومثله عباس صديق المستقر في وظيفته رغم أنه كان أشد اغتialا منه لأموال الناس. ولكن لم يكن الحسد ولا الحنق ولا الغضب ليؤثر في صداقتهم الوطيدة زمالتهم السياسة القديمة، وتناول سمير عبد الباقي كبشة فول سوداني من طلق صغير ممتلى وقال:

كلام جميل، ولكن ها هي الأيام تمضي دون أن نجد حلا حقيقيا!

وهل نبدأ من أول الطريق على الآلة الكاتبة؟

وراح عباس صديق يقرر في النارجيلة وينفث الدخان كعضو في أوركسترا المدخنين بالقهوة والدخان ينعقد حول المصاييح المدلاة كالضباب وتأمل عيسى الوجوه المتباينة التعابير على طول القهوة، المتراوحة بين الخمول عند الحالمين، والتركيز المحموم لدى اللاعبين وتساءل في جزع لماذا قدر عليه أن يحارب التاريخ في موكبه المتدفق منذ الأزل؟! وتطلع من زجاج النافذة إلى الطريق السابح في المطر والضوء بنهم جنسي يفتش عن امرأة مهرولة بمدخل عمارة مظلم، وقال:

الشتاء جميل ولكن القاهرة غير مستعدة له.

فقال إبراهيم خيرت مخاطبا سمير عبد الباقي:

لا تنس أن رجالنا منتشرون في مجالس إدارات الشركات.

ها هو يتكلم عنهم فيقول "رجالنا" ويحمل في نفس الوقت بقلمه على الأحزاب والحزبية
ويطالب بمحو الماضي محوا. وما أكثر القرف الذي يدعو إلى التقزز. وهو نفسه عنصر هام من
عناصر القرف. والاستثناء المثير للحيرة حقا هو ماضيه-وماضيهم-المضيء بالإيثار وشرف
النفس! وسأله:

خبرني عن شعورك وأنت تقرأ مقالاتك في الصحف؟!

فقال إبراهيم خيرت في رزاة غير عابئ بابتسام الآخرين:

أنا أتساءل لم أراد الله لأدم أن يهبط إلى الأرض؟!

ورفع عباس صديق وجهه عن خرطوم النارجيلة وهو يجلس على كرسيه ربعة بديننا فاقع
بياض الوجه جاحظ العينين براقهما لحد المرض أصلع يوجي منظره جملة بأنه أكبر من عمره
بعشرة أعوام على الأقل، وقال:

سوف نشقى حتى نراكمنا في وظيفتين كبيرتين بشركة محترمة.

وراح عيسى يحاول النفاذ إلى بواطن الأدميين المتكثلين في القهوة لغير ما سبب واضح.
وجرى في الماضي ملايين السنين بين الدهشة والارتياح. ثم التفت نحو زجاج النافذة فرأى شحاذا
وقافا وراءه ليرمقهم بنظرة مستعطفة وقد انقطع المطر فقال لأصحابه:

تصوروا أن هؤلاء الأدميين انحدروا في الأصل من السمك!

لكن الأسماك ما زالت تزحم المحيطات بملايين الملايين..؟

وهذا هو سر مأساتنا الحقيقي..

وطرد الشحاذ بإشارة من يده وعاد يقول:

يعزيني أحيانا أن أرى نفسي كالمسيح أحمل خطايا أمة من الخاطئين؟

فسأله عباس صديق:

هل أنت متأكد من معلوماتك التاريخية؟

فقال لنفسه إنه تأكد منها ساعة أغلقت التليفون في وجهه. وقال إبراهيم خبرت

بتحريض:

الليلة مناسبة جدا لشيء من البراندي.

وشرب سمير عبد الباقي قليلا من الماء ليرطب فاه الذي جف بطحن الفول السوداني

وقال:

حتى على فرض أننا أخطأنا ألم يجدوا في ماضينا ما يشفع لنا؟!

وأغمض عيسى عينيه ليرى الماضي. فترة حية من نبض القلب. هدير المدد يخلد في

الأسماع. وهراوات الجنود كالصواريخ، والحماس المهلك للأنفوس. ثم الإغراء الموهن للهمم.

وزحف الفتور كالمرض. ثم الزلزال دون نذير كلب. ونشيدان العزاء عند قلب أجوف، ثم صرير

التليفون كصوت العدم.

وقال سمير عبد الباقي أيضا:

كنا طليعة ثورة فأصبحنا حطام ثورة!

فقال إبراهيم خيرت باهتمام وكأنما يبرر موقفه بصفة عامة:

أقول إنه علينا أن نلحق بالركب...

فتجلت نظرة حزينه في عيني سمير عبد الباقي الخضراوي وقال:

قضى علينا بأن نموت مرتين...

فأيد عيسى رأيه قائلاً:

هذا هو الواقع ولذلك فنحن نتغذى بالسّمك!

ورأوا ماسح الأحذية يدق صندوقه حيالهم فاقتبأوا في الصمت حتى ذهب. وضحك سمير

عبد الباقي ضحكة عالية استدعت تساؤلهم فقال:

أذكر أنني أوشكت يوماً أن أدخل المدرسة الحربية!

فضحكوا معاً حتى قال إبراهيم خيرت:

ما رأيكم في أنني أتفاءل عند اشتداد الظلمات؟!

فقال عيسى لنفسه ليس المعزى كالثاكل. وغادر القهوة حوالي العاشرة مساء وهو يحبك

المعطف حول جسمه. ونظر إلى السماء فرأى آلاف النجوم وهي تومض. وتلشق في الجو الصافي

عبير الشتاء غب المطر. وعكست الأرض المغسولة لونا سنجابينا لامعا، غير أن هواء بارداً الفح

وجهه في هبات متقطعة منعشة كالدعابات القاسية، وعاوده الإحساس بالغرابة فمضى يطمئن نفسه بمرتب العامين الكامل ورصيده في البنك المحصل من العمد.

وفي جروبي جلس إلى عبد الحليم باشا شكري والشيخ عبد الستار السلهوبي الذي كان يهمس بأخر نكتة. وسألاه عن الأخبار بطريقة آلية، وانتظر أن يفتح الباشا بنتيجة مسعاه في إيجاد عمل له ولكن الشيخ السلهوبي سأله متهمًا:

أل تزال فرحا بإلغاء المعاهدة؟

فأدرك أن الشيخ قد أصيب حقا بعقدة المعاهدة الملقاة التي يرجع إليها في جميع الأجزاء التي نزلت بهم، وقال عبد الحليم شكري:

الأحداث تنقض على زماننا كالصواعق!

ثم تساءل في قلق:

هل يجيء دورنا؟!

وراح عيسى يحتسى الشاي وهو يرمق الوجوه الرائقة بحسن التغذية، وإذا بعبد الحليم شكري يميل نحوه قائلاً:

كل أت قريب!

فاشتعل باطنه بالغضب وقال لنفسه: ما من أحد منهم إلا وقد قصده قديما في خدمة

قضيت فما بالهم يتنكرون له؟!

وندت عن حسناء ضحكة بارعة كلحن جنسي وهو يغادر المحل. وفي الطريق دهمته الألام التي هصرته حال إغلاق التليفون في وجهه فكاد رغم البرد ينصهر. وهو الذي أحبها دون أن تثبت جدارتها بحبه لحظة واحدة. كلاهما قبل صاحبه أول الأمر لمزايا تهمة لا علاقة لها بالحب ولكنه أحبها بعد ذلك بصدق، أما هي فلما أسرع أن أغلقت التليفون. ولعله من حسن الحظ أنه تلقى ضربة القلب وهو فريسة لضربه السياسة فلم تستأثر به وحدها، وجعل ضيقه بكل شيء يستفحل حتى لم يترك في النفس متسعا لأي قسمة. كيف توهم نفسك بأنك تريد عملا كما توهم الآخرين؟! العمل هو آخر ما تريد. فليعلم ذلك جميع السكارى. وابع قبل ذلك عشرات الحمامات. واستمتع بنقاهاة أطول من الموت. وليكن ما يكون.

(١١)

وجاء حسن ابن عمه لزيارته. وقال عيسى إن الذي تقبل عليه الدنيا لا يزور أحدا أدبرت عنه فلماذا جاء؟ وتذكر عمه فثار باطنه وتوثب للتحدي، غير أنه استقبله بترحاب كلفه جهدا جهيدا. ومنذ جمعهما المركز شعر برغبة في الاختفاء مجرم ولكنه أطلق من ذاته المكدودة مرحا مسرحيا. وتبدت حيوية حسن في أوجها وجرت في ملامحه البارزة الحسنة دماء الثقة والنجاح. لم يعد الناقد الحاقد المغلوب على أمره وعمما قليل سيوجد بمكارم عطفه! وثمة شعور باطني أثار اهتمام الأم بالزيارة فكفت عن غمغمة التسييح لتسمع كل كلمة تقال. وسأل حسن -وهو يتمطق أثر حسوة شاي- عن الحال، فأجاب عيسى بضحكة ولم يقل شيئا فعاد الآخر يسال مرة أخرى فقال:

ألا ترى أنني أعيش كالأعيان؟

فقال بجدة: أن لك أن تعمل.

ورمشت الأم في أمل وأمنت على قوله بحرارة فاغتاط عيسى من اندفاعها وتساءل في ارتياب عن سر الزيارة وأقسم ألا يقبل الزواج ممن بنت عمه ولو مات جوعاً، ثم قال بثقة زائفة:

لو أردت العمل لوجدته..

فسأله الآخر برزانة أخوية:

ولم لترده؟

لأنني أريد راحة طويلة، زهاء عامين أو أكثر!

أنت تمزح بلاشك؟

بل لا أجد داعياً للعجلة..

ثم بامتعاض شديد:

وبخاصة وأن الخطبة قد فسخت.

فنظر حسن إلى الشجرة الجامدة وراء زجاج النافذة ليتجنب عيني صاحبه ولم ينبس

فسأله عيسى باهتمام:

هل علمت بالخبر؟

فقال بلهجة دلت على أنه يخوض الحديث مكرها:

نعم في مقابلة عبارة مع علي بك..

ثم مستدركا بلهجة انتقادية:

موقف يدعو على الأسف الشديد!

فقال عيسى بحدة:

لقد أعطيته درسا لا ينسى..!

استنتجت هذا في اللقاء العابر رغم أنه لم يشر إليه بكلمة، ولكن دعنا من ذلك فلعل

الخير فيما اختار الله...

ثم حدجه بنظرة ودية وقال:

ثمة مكان لك في شركة محترمة!

فأعرب عن تساؤله بتقطيعة طائفة فقال حسن:

شركة جديدة للإنتاج والتوزيع السينمائي، وقد اخترت أنا نائبا للمدير، ولكننا في حاجة

إلى مدير حسابات كفاء...

وهتفت الأم:

فيك الخير كل الخي ريا حسن...

وقال عيسى لنفسه: وضحت الصورة، موظف تحت رياسته وزوج لأخته ودون ذلك فليات

الموت إذا شاء. وقال بوضوح:

إني أهنتك وأشكرك...

ثم وهو يتسم كالأسف.

ولكني أعتذر..

فارتسمت الخيبة في الوجه الفياض بالحيوية وتساءل:

ألا تفكر في الأمر؟

أكرر الشكر والاعتذار..

وردد بصره بينه وبين الأم الذاهلة وقال:

إنها وظيفة محترمة جدا.

بدليل أنك اخترتها لي ولكن مصمم على القيام بإجازة طويلة.

فتريث قليلا ثم قال:

ليست مجرد وظيفة ولكنها في الوقت نفسه فرصة للاندماج في الحياة الجديدة إذ أن

الغرض من تكوين الشركة هو خدمة أغراض الدولة!

فقال بتصميم:

الراحة الآن أهم من أي غرض في الحياة...

من موظف صغير إلى نائب مدير شركة! واشتد جنون رغبته في الإضراب عن العمل، وتوطد نزوعه نحو تدمير نفسه. ووقف حيال محاولات الآخر بكل عناد حتى اضطر هذا إلى أن ينصر دون نتيجة. مخلفا في نفس عيسى مسرة عمياء وإحساسا وهميا بالانتصار.

وتأوهت الأم قائلة:

أنا لا أفهم شيئا..

فقال ساخرا:

ولا أنا...

فقالت بمرارة:

أنت لا تحب ابن عمك..

ولا هو يحبني!

لكنه في الوقت المناسب لم ينس أصله!

لا لوجه الله.

فقالت بإصرار:

ولو، بنت عمك خير من سلوى، هل نسيت؟!، ليتك تفكر في الأمر.

فقال بغموض وبصره معلق بالسحب المتراصة في الأفق من خلال أغصان الشجرة:

إني أفكر حقا في هجر القاهرة...

(١٢)

وصارع التردد أشهراً. ويوما قال لأمه:

إني أفكر حقا في السفر إلى الإسكندرية..

وكانت الأم تزداد اعتيادا لغرابة أطواره كما تزداد ذبولا ونحولا، فقالت بهدوء:

ولكن الصيف انتهى..

أريد الإقامة لا التصيف..

فاختلج جفناها قلقا فاستطرد قاتلا:

أعني لفترة من الزمن.. أود أن أقيم في مكان لا يعرفني فيه أحد ولا أعرف فيه أحدا.

فقال في امتعاض شديد:

حالك لا يعجبني، ولا إنسان يجب أن يواجه الصعوبات بصورة أخرى، وما زالت أمامك

فرصة لم تضع عند ابن عمك..

وعندما وجدت منه إصرارا استعانت بأخواته الثلاثة فسار عن إلى الدقي. وهن جميعا

متزوجات ويحملن في وجوههن طابع الأسرة الممثل في هيئة الوجه المثلية والأعين المستديرة

وجميعهم يكنن لعيسى حبا صادقا لا لأنه كان شخصية لامعة يتعززن بها فحسب ولكن أيضا لأنه صاحب أفضل الأول على أزواجهن في العلاوات والترقيات على عهد نفوذه. وأجمعن على المعارضة في سفره كما أجمعين على وجوب الموافقة على اقتراح ابن عمه.

ما معنى أن تقيم في بلد كالغريب؟

ألا يكفي أن أجد في ذلك راحة؟

ومستقبلك؟

فقال بحدة:

مستقبلي أصبح ماضيا!

بل أمامك فرصة لاستعادة كل ما فقدته!

ورفع يده يدعوهم إلى الكف بحركة حاسمة، ثم قال بهدوء:

لا جدوى من هذا الكلام المعاد، المهم والجديد هو أنني قررت الانتقال من هذا المسكن!

وبهتت الأم حزنا فقال كالمعتذر:

لم يعد من الحكمة أن أتحمل نفقاته الباهظة..

ألهدا علاقة برغبتك في السفر؟

فقال متجهما:

كلا، إني أعتبر السفر علاجاً ضرورياً..

فقالت الأم في توسل:

لا تشمت أعداءك بك، يمكنك ولا شك الاحتفاظ بمسكنك الجميل وكل مظاهر حياتك

إذا أنت وافقت على ما عرضه عليك ابن عمك..

فأغمض جفنه دون كلام رافضاً الاستمرار في مناقضة عقيمة فقالت الام بمرارة:

أنت ابني وأنا أعرفك، أنت عنيد جداً، ودائماً كنت عنيداً، أنت تختار الكبرياء ولو كلفك

الكثير، ولم تكن تجد بعنادك عندنا إلا المحبة والتسامح ولكن الدنيا ليست أمك ولا أخواتك!

فقال بإصرار وهو يهز منكبيه استهانة:

سأفترض أنني لم أسمع شيئاً..

فقالت بمزيد من التوسل:

يجب أن تمتثل أمر ربنا-الملك ملكه يفعل به ما يشاء، والمستقبل بيده، وتستطيع أن

تكون سعيداً دون أن تكون وكيل وزارة أو وزيراً.

حول عينيه إلى أخواته متسائلاً:

أين يحسن أن تقيم الوالدة حتى أرجع؟

وعدلن عن المناقشة، واقترحت كل واحدة منهن أن تقيم الأم عندها، ولكن الأم قالت:

سأرجع إلى البيت القديم بالوالبيلة.

وهتفت وهيبة وهي أبرهن بأمرها:

لن تقيبي وحدك أبدا..

أم شلبي لن تفارقي وأمل ألا تنقطعن عن زيارتي..

وتذكر عيسى البيت القديم الذي شهد مولدهم جميعا. وبخاصة حوشه الواسع وأرضه

الرملية الفاحلة. ولم يدر كيف يعرب عن استيائه ولكنه سأل أمه:

أليس الأوفق أن تقيبي عند إحدى أخواتي؟

فقالته بعصبية:

كلا. أنا أيضا عنيدة، ومن خير الجميع أن أعيش في البيت القديم. وأكدت كل أخت من

بناتها أنها ستسعد بإقامتها عندها ولكنها لم تبالهن. وامتألاً إحساس عيسى بالمسكن الجميل

الذي قال فيه كلمته الأخيرة. ونظر إلى الأشجار خارج الشرفة نوهي تهتز في رقة بالغة في إطار من

جو الخريف الأبيض الموحى بالشجن وقال لنفسه "ألا لعنة الله على التاريخ".

وإذا بوهيبة تقول:

البيت القديم غير صالح للسكنى لمن اعتاد الإقامة هنا!

وخيل إلى عيسى وهو يرى خلجات جفني أمه وشفتها أنها ستبكي ولكنها قالت بصوت

متهدج:

هو صالح تماما وفيه ولدنا جميعا...

(١٣)

جميع ما يحيط بنا يعد براحة كالموت. ومن أضناه الألم خليك بأن يرحب بالمسكن وإن يكن سما. وهذه الشقة الصغيرة المفروشة دليل على أن الحضارة لا تخلو أحيانا من نقطة ورحمة. وها هو البحر يترامى في عظمة كونية حتى يغوص في الأفق ولكنه يستمد من حمل أكتوبر حكمة ودمائة. وجدران الحجرات محلاة بصورة الأسرة اليونانية صاحبة الشقة ولكما نظرت إلى الخارج رأيت الوجوه اليونانية في الشرفات ولا نوافذ وعلى قارعة الطريق، غريبا في موطن غرباء، وتلك مزية الإبراهيمية، والمقهى المرصع طواره بالأشجار وسوق الخضار بألوانه النضرة والجوانيت الأنيقة تحفل بالوجوه اليونانية وتتردد في جنباتها - بعد زوال الموسم - لغتهم الأجنبية فخيّل إليك أنك هاجرت حقا وتهل من الغربية حتى تسكر. وهؤلاء الأجانب الذين طالما أسأت لهم الظن أنت اليوم تحمهم أكثر من مواطنك وتلتمس عندهم العزاء، إذ أن جميعكم غرباء في بلد غريب. واخيار شقة في الدور الثامن دليل آخر على الرغبة في الإمعان في السفر. وعن بعد ترى البحر من فوق قطاعات متلاحقة من الأبنية المنخفضة تمتد حتى الكورنيش. ترى البحر وقد سحره أكتوبر فأخلد إلى أحلام اليقظة وترى أيضا أسراب السمان تهاوى إلى مصير محتوم عقب رحلة شاقة مليئة بالبطولة الخيالية. القاهرة الآن ذكرى مغلقة بالحزن. والوحدة تجربة مرة ولكنها ضرورية لتجنب النظر إلى الوجوه المثيرة للقلق والأرق.. ومعالم المجد المحرّضة على الحسرة. وجرب الوحدة ورفقاء الوحدة-الراديو الكتاب والأحلام- وانظر هل يمكن أن تنسى لغة

الكلام؟ وتتابع اللحظات بلا ضابط يضبطها فأنت لا تعرف الوقت ولا تكاد تعرف اليوم ولذلك ترفع بصرك في دهشة نحو قرص الشمس الماسي الهادئ كما يبدو خلف سحب الخريف الصريحة. وما هي الحياة تفازلت رغم الكمد وكأنك ترى الدنيا والناس لأول مرة بعد أن أفتت من حى العراك والمطامع. وقيمتها الذاتية تتكشف معلنة عن بهجة الإبداع ولم يكن مسير الشمس قبل ذلك إلا بشير بتقديم مذكرة أو نذيرا لمقابلة السفير.. وقد دفتتنا الأحداث ونحن أحياء وما هذه الآلام في الحقيقة إلا أضغاث أحلام تحترق في رأس ميت عفن، أما في هذه الشقة اليونانية فثمة وحدة حقيقية وقلب نابض. وركن البوديجا لا يسلى عنه القلب ولكن ما أقبح عواطفه المتناقضة فأنا أحبها-عباس صديق وإبراهيم خيرت- وأبغضهما في آن، أحب جانهما الذي عاش قبل الثورة وأكره وسائلهما التي عاشا بها بعد الثورة، وعندني الآن فرصة لتصفية هذه العقد الصفراء، والهموم كالجبال والعقل علاه الصدا ولكن سبيل العزاء المحفوف بالحماقات ممهّد أمام مالك الحرام وأحلام يقظتك التي ينتهي فيها لعذاب بالانتصار. ونظرة من عل إلى هذا الخلاء الذي لا يحد تهب النفس راحة ورفعة فوق كل شيء. ولم يا ربي لا تلهمنا ومضة عن معنى هذه الرحلة الشاقة المخضبة بالدماء؟ ولم لا ينطبق هذا البحر الذي شهد الصراع منذ الأبدية؟! ولم تأكل هذه الأرض الأم أبناءها عند المساء؟ وكيف يكون للحجر دور في المسرحية، وللحشرة دور، وللمحكوم عليه في الجبل دور، وأنا لا دور لي؟

ومضى ذات صباح إلى جليم تلبية لرسالة تلقاها من سمير عبد الباقي، لم يكن رآه منذ انتقاله إلى الإسكندرية في منتصف سبتمبر ولم يكن رأى كازينو الفردوس منذ صيف ١٩٥١: وكان الساحل خاليا والكازينو شبه خال كحالها في الأيام الأخيرة من أكتوبر. على عهد النفوذ كان يذهب

إلى الفردوس في مجال من الخيلاء ترمقه الأعين باهتمام فيشوق طريقه إلى مائدته المحجوزة بين أصدقاء وأعداء من الباشوات في تلك الدنيا الزائلة. والحفل الذي أقيم في الفردوس منذ عامين هل يمكن أن ينسى؟ الصوت الملائكي والبهجة الشاملة والتهنئات المدوية، ومجيئه هو في ركاب الزفة ليشرّب ويطبّر ويسهر ولم يكن يرى على مدى الأفاق إلا آمالا واعدة بالفوز المبين.

وجلس بمجلسه القديم على يمين المدخل الجواني بين مقاعد شاغرة. وعلى مائدة متفرقة بضعة من معمرى الباشوات الذين يستمتتون في التصيف حتى اللحظة الأخيرة، وثمة امرأتان وحيدتان، عجوز وأخرى في منتصف العمر، وأحاط بالمكان سكون رهيب. واسترق إلى العجوز نظرة وقال لنفسه إن سلوى ستلقى نفس المصير في يوم من الأيام. كالمجد والعزة وشتى الآمال. وأعجب بانبساط الماء ودمائته ورزقته الصافية كما أعجب بالسحب الحبالي بماء الورد الأبيض. جاء سمير عبد الباقي في ميعاده فتعانقا بحرارة. وبدا سمير ناحلا أكثر مما تركه ولكنه أحسن صحة وأصفى عينا. وقال:

جئت أنا وزوجتي لتعود أمها وسنسافر غدا..

فسأله عن ركن البوديغا فأجاب بأنه لا جديد، ثم قال:

أما أنا فبعت نصيبي في بيت قديم وشاركت خالي وهو تاجر أثاث، أنا في الواقع مدير أعماله وحساباته وشريك صغير له..

فهنا عيسى، وأخبره بأنه لا رغبة له في العمل في الآونة الحاضرة، ونظر سمير فيما حوله

في دهشة ثم قال:

انظر إلى الإسكندرية كم هي خيالية!

الدنيا كلها خيالية، ما هذا بيمينك؟

فناولته كتاباً قرأ على غلافه "الرسالة القشيرية" ثم حدجه بنظرة متسائلة فقال سيمر:

الم تسمع عن التصوف؟

فضحك ضحكة مختزلة وقال:

لم أعرف فيك اهتماماً به من قبل!

هذا صحيح ولكني سمعت أحمد باشا زهران وهو يتحدث عنه بجدية حقيقة، وقد

أهداني في مناسبات مختلفة بعض الكتب عن الموضوع فوجدتني أبحث عنها في الأيام الأخيرة..

وقال عيسى ووجهه لم يتخلص بعد من ذبول ضحكته:

وهل أنت جاد فيه أو المسألة مجرد تسلية؟!

فقال وهو يفرغ زجاجة الكوكاكولا في الكوب:

أكثر من تسلية، فيه راحة حقيقة للقلب.

ثم بعد شربة أتت على نصف الكوب:

وكونك لا تبحث عنه إلا تحت ضغط ظروف معينة لا يجحد فضله فقد لا نذهب إلى أسوان شتاء إلا لمعالجة مرض ولكن هذا لا يطعمن في فائدة أسوان للمريض والصحيح على السواء..

فقال عيسى ساخرا:

ولك يوجد ولا شك فارق بين أن نتصوف حيا أزمة سياسية وبين أن نتصوف لوجه الله والدنيا مقبلة علينا.

فابتسم سمي رفي صبر وتجلت شفافية عينيه الخضراوين أصفى من السحب الناصعة البياض وقال:

نعم ثمة فارق ولكن العبرة بالنتيجة، وأحيانا تدهمنا كارثة لتهدينا سواء السبيل!

ولكن هب الدنيا..

وانقطع عن الحديث فجأة -كأنه عثر في الصمت- بسبب نظرة طويلة تبودلت بينه وبين المرأة النصف المصاحبة للعجوز، ثم رجع إلى صاحبه وقال لنفسه: لو سارت الأمور كما يشتهي لكانت سلوى زوجة له منذ عام على الأقل لو؟! وسأل سمير:

ما رأى التصوف في حرف "لو"؟!

ولم يدرك سمير مرماه فأجاب هو:

لو حرف لوعة يطمح بحماقة إلى توهم القدرة على تغيير التاريخ.

فقال سمير ببساطة:

من هذه الناحية فهو إنكار لإرادة الله المتجلية في التاريخ من شأنه أن يضيء عليه عبثا ولا معقولة..

سلوى لم تترجح من قلبك، رغم احتقارك لشخصيتها. وقد يقرر العقل مواصفات للمرأة المثالية ولكن الحب في صميمه سلوك لا معقول. كالموت والقدر والحظ. وما أشبه سلوى بالدنيا في المعاملة، ولكنك ستظل في حاجة إلى امرأة فهي مسكن طيب للألام يفوق التصوف على الأرجح. وتذكر السؤال الذي قطعته فقال بنغمة اعتذار:

هب الدنيا وعدتنا مرة أخرى بالوزارة فماذا تصنع بالتصوف؟

فضحك سمير حتى لمعت أسنانه النضيدة وقال:

غير مستعص أن أمارس الاثنين معاً، هكذا فعل أحمد باشا زهران أكثر من مرة، وها أنا أجمع بين التصوف والتجارة، وهو لا يخمد النشاط ولكنه ينقيه من الشوائب...!

فقال عيسى بحزن:

وهو على أي حال خير من الانتحار!

وأشرق الشمس مقدار ثوان ثم توارت. وسأله سمير عما ينوي أن يفعل فسأله بدوره:

هل انتهينا حقا؟

فهز رأسه في حيرة قائلاً:

هو الأرجح فليس الأمر كالانقلابات بالماضية...

فسكت عيسى مليا كأنما يصغى إلى الصمت الشامل ثم قال:

ما أشبهنا بساحل الإسكندرية في الخريف!

لذلك أقول لك إنه لا بد أن نعمل..

ومع أي عمل سنتخذه سنظل بلا عمل، لأننا بلا دور، وهذا سر إحساسنا بالنفى،

وكالزائدة الدودية..

ثم وهو يبتسم:

ولا أخفى عليك أن لي تصوفاً الذي يشاغلي في الوحدة.

فتطلع إليه باهتمام فقال الآخر ببساطة:

إني أفكر في اعتراف الجريمة.

فضحك سمير طويلاً ثم قال:

يا له من تصوفاً بديع!

غير أنك لا تقتل فيه جسدك أنت ولكن أجساد الآخرين.

أقترح عليك أن تنتقى نوعاً من الجرائم الجنسية..

وضحكا معا حتى قال سمير:

نحمد الله فلا زالت لدينا القدرة على الضحك..

وستزداد ضحكا كلما رأينا التاريخ وهو يصنع لنا دون أن نشارك فيه كأننا الأغوات..

وهبت نسمة لطيفة، وبدا الباشوات كالنيام ولغير ما سبب تذكر أول خطبة له في بيت

الأمة وهو طالب بالجامعة. قال بأسي:

تاريخنا نفسه مهدد بالإبادة..

التاريخ واسع الصدر، وسيدافع عن نفسه بعد انقراض المتخصصين جميعا.

ومر بهما مدير المحل الرومي فابتسم إلى عيسى وسأله عن الصحة وعن الحال فأدرك من

توه المغزى السياسي لسؤاله وقال باسمًا:

هي كما ترى..

وعندما رجع إلى عمارته شاهقة الارتفاع القريبة من محطة الترام كان يجتر على فراق

سمير. ولعن وهو يخوض عتمة المدخل الطويل سلوى. وقال لنفسه وهو يدخل إلى المصعد:

"ما أحوجني إلى مسكن".

(١٤)

وحده مع كأسه في الطريقة الشاحبة الضوء التي تصل بين معرض الحلوى في الخارج

وصالة الرقص في الداخل بالتريانون الصغير. وعشرات من الآلات العازقة تبعث بالأنغام

الراقصة والأجساد المتعانقة تتراقص في حركات خفيفة رشيقة تنفض بها عن ذواتها متاعب

ضوء الشمس. وهؤلاء الحسان ينسبن إلى بيوت لا إلى الشوارع كما كان الحال قبل الحرب وفي أثنائها وقد أدرك هو جانباً من ذلك التاريخ على عهدي مراهقته وشبابه. أما النسوة فقد أترنن في زمان الحرب وترفعن عن العرض الرخيص فاخترفن من الميدان، وقال عيسى لنفسه: "الميدان خال اليوم لمن يروم عملاً سهلاً مريحاً من منبوذي السياسة!". وهزته نغمة فتاق إلى الرقص الذي يجيده بدرجة لا بأس بها ولكن أين الحسناء؟ ونهل من الكونياك الذي يحبه باعتدال، وشعر بأنه في مخبأ فازداد طمأنينة وقال إن مدخره من مال العمد سيمده بالضروري لارتكاب الجماعات الفاتنة، وقال أيضاً: إنه لولا إحساسنا المرضى بالمستقبل لما أزعجنا شيء! ولكنه لم ينعم بوحده في المخبأ طويلاً إذا ما لبث أن اقتحمه صوت مباغت قائلاً:

ما رأيك في الدنيا؟

ارتعد لوقع المباغتة وأجال عينيه في الطرقة المقوسة فلم ير أثراً لإنسان. الصوت صوت كهل مخمور يغلى في درجة الهذيان ولكن أين هو؟! وإذا بالصوت يقول ضاحكاً:

هل جربت الشراب في الظلام؟

ثمّة شجرة متوسطة-طبيعية أو صناعية- في أبيض ضخم عند نهاية قوس الطرقة المفضي إلى محل الحلوى، وكان المحل فيما يلي الشجرة غارق في الظلمة إذ يغلق أبوابه حوالي الثامنة مساءً. واستنجد أن الرجل كان يجلس في الطرقة، ولسبب ما تزخخ بمقعده إلى الظلام حيث يمارس مزاحه السخيف. وأمهلته وهو يلعنه في سره ولكن الآخر عاد يسأل دون أن يظهر في منطقة الضوء الخافت:

هل جرّبت الشرب في الظلام؟

فتجنّب محادثته لعله يسكت ولكنه قال:

الشرب في الظلام يهبك قدرة على التركيز وهذا هو السبب في أنني أفكر في حال الدنيا، فهل

هي سائرة حقاً إلى الخراب؟

راح يشاهد الرقص-ولو بنصف انتباه- ويعجب بالوجوه والصدور والبشرات والوردية،

ولكن السكران لم يعتقه فقال:

السؤال يهمني حقاً، فإذا كانت سائرة إلى الخراب فأنا أشرب الكونياك أما إن كان ثمة أمل

في النجاة فإني أفضل الودسكي. وإن أكن في الحالتين أهلك نفسي لأني مصاب بثلاثة أمراض

جليلة الشأن، ألا وهي الضغط والكبد والبواسير.

وعلى رغمه ابتسم. النشوة حلوة على أي حال. أما ما انقض على رعوس رجالنا من محن

فأمر محزن حتى الموت. وكأنك تتلقى على يافوخك أنقاض العالم القديم الذي يتقوض. والأدهى

من كل شيء أنك وإن كرهت العهد الجديد بقلبك فإنك لا تستطيع أن ترفضه بعقلك. لا أنت ولا

مدخرك من مال العمدة!

وليس الخراب بالشيء الجديد على العالم فإن يكن مكتوباً على الجبين فمن الخير أن

يعجل..

فسأله وهو لا يدري تقريبا:

ولم تريدته على أن يعجل؟

فضحك ضحكة مقرقرة وقال:

لأن خير البر عاجله.. ورثى عيسى إلى ضحايا التاريخ من قلب متأوه، وأفرغ الشماله ثم غادر المحل. وسار على مهل في شارع سعد زغلول، أحب شوارع الإسكندرية إلى نفسه وبخاصة بعد الثورة، إنه شارع الخاص على وجه ما، ويحب كثيرا أن يقطعه ولو مرة كل يوم جينة وذهابا، ليناجي فيض الذكريات. واقترب الوقت من نصف الليل وشاعت في الجو برودة رقيقة منعشة وبدا المجال كله ملفعا بالهجران. وألقى نظرة إلى ظهر التماثل المحدق في البحر وطوح برأسه إلى الوراء على طريقة الباشا الذي حلا له قديما محاكاته. واستقل الترام إلى الإبراهيمية ثم ذهب إلى الكورنيش ليسلي أعصابه بالمشي الوئيد. وفاقت ملاحه الجو خيال رأسه الدائر بالشراب، وومضت النجوم في الثغرات الواسعة بين السحاب، واستكان البحر كالنائم تحت الظلام. وعلى البعد امتد سياج من الأضواء الثابتة فوق مراكب الصيد، وخلا الطريق من الأحياء فعادت تلج صورة الهجران. وجلس على أريكة حجرية ينعم بالصمت والحنان. إنه لا يعود إلى مسكنه الخالي حتى يقنعه النعاس. ومنذ قدمه إلى الإسكندرية وهو يعيش غير خاضع لإنسان أو لعادة ولكنه يطبع مطالب شخصه الطبيعية في حرية مطلقة، فينام إذا حل سلطان النوم ويستيقظ إذا مل الرقاد، ويأكل عند الجوع ويخرج لدى الملل، هذه الحرية التي لم ينعم بها من قبل. وشعر بشيء يلفت رأسه إلى اليسار. كان إغراء يراسل حاسة أو أكثر من حواسه. رأى شيئا يتجه من بعيد نحو مجلسه، وعندما اقتربت من ضوء المصباح العملاق وضحت معالمه، فتاة من بنات الليل. الفستان الكستور الرخيص والنظرة المقتحمة بلا أدنى تحفظ أو كبرياء والانفراد المريب بالليل

كل اولئك يقطع بأنها من بنات الكورنيش. وتفحصها وهي تمر أمامه في الممشى الضيق الفاصل بين الأريكة وسور الكورنيش فوضح له شبابها ووسامة لا بأس بها في عارضها وابتدال نظراتها وجو التأهب لتلبية الإشارة الذي يغفلها كأنها كلب مهجور يلتمس عابرا ليتبعه. سارت حتى بلغت الهوى درجة ولكن ما أشد انطواء الإسكندرية على نفسها في غير أيام المصيف حتى لتبدو مغلقة الأبواب في وجه الغريب. وانبعث من أعماقه تأفف ولكن في نبضة رغبة جنونية. من المحقق أن الأستاذ مدير مكتب الوزير المتطلع إلى الوزارة قد مات لم يبق في هذه اللحظة إلا ثمل منغرز في الوحدة والظلام تزحف غرائزه في الظلام كالحشرات الليلية وكأن دفعة قوية نحو التمرغ في التراب تنفخ في محرقاته، ولوح لها بذراعه كأقصى ما يمكن أن يوجد في مغازلتها، ولوح مرة أخرى فقامت من مجلسها وجعلت تقترب منه حتى توقفت على بعد ذراع فأشار لها بالجلوس فجلست وهي تضحك ضحكة خافتة جدا كخبر الموح الهامس أسفل الكورنيش. تفرس في وجهها فهالته طفولتها وسألها في دهشة:

كم عمرك؟

فضحكت ولم تجب فأعاد السؤال باهتمام فقالت:

خمن.

لعلك في الخامسة عشرة!

قالت في مباهاة:

لا ، لست قاصرة على أي حال فاطمن..

مائلة للبياض مستديرة الوجه ممتلئة الوجنتين ذات جسم صغير ممتلئ مقصوصة
الشعر كغلام، ولم تكف عن العبث بأظافرها التي بهتت صبغتها:

من أين أنت آتية في هذه الساعة؟

فأشارت إلى الوراء بميل قائلة:

من القهوة.

لاحت القهوة لعينه بابا مضاء يكتنفه الظلام والصمت فقال:

لم أرها في سيري!

يراها عادة من يقصدها.

ثم وهي تضحك:

سيجارة؟

وأشعلا سيجارتين، ولم يجد شيئا يقوله فهمس:

لنا..

وسارا جنبا إلى جنب في الطريق المتفرع عن الكورنيش وتأبطت ذراعه فعبس في الظلام.

وتذكر سلوى فاستفحلت عبوسته، وقال لنفسه "فليحتكموا إلى انتخابات حرة إن كانوا

صادقين".

(١٥)

استيقظ حوالي الظهر فنظر إلى النائمة إلى جانبه باستغراب ثم سرعان ما أطبقت عليه ذكريات الليلة الماضية، وقال إنه ما دام هنالك نسيان وعادة فكل شيء ممكن. وتفحصها وهي شبه عارية بنظرة باردة وقلب خامد وازدراء لكل شيء. شفتاها ممتلئتان ومنفجرتان عن أسنان دقيقة مرسومة بعناية. وقد مال رأسها إلى كتفها الأيمن وفضح النوم حقيقة شعرها فبرز جفافه وخشونته وتمرده. ومن التناقض الغريب حقا أن جمع كائنها بين أهذاب مسترسلة فاتنة وبين كعبين متشققين كضفدعتين، وتزحج إلى الأرض ثم ذهب إلى الحمام ولدى عودته وجدها جالسة في الفراش وهي تتأهب ثم رفعت إليه عينين ثقيلتين جميلتين فعزم على أن يتخلص منا في أقرب فرصة، فقال: عندي ميعاد ويجب أن أذهب.

فحدجته بنظرة مترددة ثم غادرت الغرفة. وفتح باب الشرفة فتدفق هواء قوي ولكنه لطيف مشبع برائحة البحر ودفء الشمس الساطعة في كبد السماء. وراح يرتدى ملابسه وهو يرنو إلى البحر الذي دب فيه حركة مليئة بالاندفاع وانتشرت على مدى سطحه خطوط الرغاوى كأفواه ضاحكة. وطال الوقت وهي في الحمام- كما ظن- فخرج إلى الصالة ليفتح الراديو فوجدها عاكفة على تنظيف البيت وترتيبه بهمة عالية، فقال لها:

أشكرك ولكن دعي هذا للبوab لأنه أن لي أذهب..

فقالت ويدها لا تمسكان عن العمل:

تفضل..

ولكن متى ترتدين ملابسك؟

فجلست على مقعد كبير في الصالة وابتسمت.

أنت كسلانة ولكن عندي موعد!

فسألته بركة:

أتقيم وحدك؟

نعم.. ولكن هيا بنا!

فراحت تمشط شعرها وتقول بحياء حقيقي لأول مرة:

قلت لنفسي ربما في حاجة إلى أنس وخدمة..

فقال بدهشة:

شكرا، لست في حاجة إلى شيء من هذا، أليس لك بيت؟

كلا.

أين كنت تعيشين؟

فقالته بهوان:

عند صاحبة القهوة أحيانا، وأحيانا أبيت في القهوة!

لكنك تكسين بلا شك..

لا نجد عملا في الشتاء وكان الصيف الماضي كالشتاء!

فقال بضجر:

على أي حال ستجدين حلا في الخارج..

فوقفت في إذعان وقالت بصوت منخفضك

لم أدر شيئا للشتاء، وأنت في حاجة إلى خدمة!

وأتى إلحاحها بنتيجة عكسية فازداد عنادا، غير أنه سألمها:

لم لا تهاجرين شتاء إلى القاهرة؟

فرمقته بنظرة دهشة كأن الفكرة ليست مما يخطر بالبال ببساطة:

أنا من هنا..

أليس لك أهل؟

طبعاً ولكن لا يمكن الرجوع إليهم!

ألا تخشين أن يراك أحد منهم؟

هم في طنطا، أنا في الأصل من طنطا...

فقال في ضجر وكأنما قد ندم على الاسترسال في الحديث:

من فضلك، وقتي ضيق..

ومضت على الحجرة لترتدى ملابسها. وقال لنفسه إن ثمة أوجه شبه تجمع بينه وبين هذه البنت فكلاهما ملوث وطريد. أما هي فقد تولاهما حال عبث لدى يأسها من استعطافه فنظرت إلى صورة للأسرة اليونانية بالجدار وسألته:

عائلة حضرتك؟

فابتسم على رغمه وقال:

أرأيت أنك شيطانة؟!

فضحكت أكثر من المنتظر ثم سألته جادة:

من الإسكندرية؟

كلا..

إذن فأنت موظف هنا؟!

تقريبا..

تقريبا؟!

فهتف بها:

أنتت وكيلة نيابة. هيا..

وطلبت أجزتها فأعطاها وكانت دون ما قدر بكثير فرق لها لأول مرة منذ استيقاظه. وغادر الشقة معا ثم افترقا عند مدخل العمارة. وقصد منن توه مطعمما ليشيع جوعه.

ودخل أول سينما صادفته ليمضي الفترة ما بين الثالثة والسادسة، ثم جلس في التريانون الكبير يشرب القهوة ويطلع جريدة المساء، وحوالي التاسعة مضى إلى مجلسه المعتم بطريقة التريانون الصغير. استمع إلى الموسيقي وتسلى بمشاهدة الراقصين وشرب من الكونياك حتى انتشى. وفي لحظة ما تمنى لو يرتفع صوت رجل الأمس من وراء الشجر ليسب الدنيا. وقال مخاطبا سمير عبد الباقي:

أنا أيضا طالب تصوف لا أنت وحدك..

وابتسم في رثاء. ثم قال مخاطبا نفسه:

لا تفكر في المستقبل..

أجل أنت ما زلت في شهر العسل ويلزمك فراغ طويل عريض.

ولا تحزن لتفاهتك فهي تفاهة تاريخية..

وقبيل منتصف الليل بقليل غادر المحل. وهو يقترب من مدخل العمارة رأى البنت

جالسة في القهوة اليونانية على أقرب كرسي من مدخل العمارة فحديق في وجهها المبتسم في ت

رحيب بدهشة. ونهضت بخفة لتلقاه أمام المدخل فتوقف في حيرة فقالت في مرح:

لم تتأخر عن ميعادك!

وسبقته إلى الداخل فترجع لحظة ثم تبعها متسانلا:

ماذا تفعلين؟

فقالته وهي تتأبط ذراعه:

كنت أنتظرك.. وقلت لنفسى سيكون من حسن حظى إذا جاء وحيدا. ورغم إدراكه القاسي

للموقف ارتاح لتملقها، وفي المصعد سألتها:

ما اسمك؟

ريرى...

ضاحكا:

يبدو أنه اسم طنطاوي قح!

هو كذلك في الإسكندرية..

ثم بعد صمت قصير:

قلبي يحدثني بأنك ستقبلني في ضيافتك.

(١٦)

وسمح لها بالإقامة في شقته كما تمننت. وأفهمها منذ اللحظة الأولى أنه رجل حر وأن علمها

أن تلتزم حدودها حتى لو جاء كل ليلة بامرأة. وقالت له سمعا وطاعة. ولم ينكر بعد ذلك أنها

أكسبت الشقة أنسا ونظافة وأطلقت في جوها البارد أنفاسا حارة. وأنها تبدت في الثياب الجديدة التي ابتاعها لها مقبولة حقا. وبالغت دائما في العناية بمظهرها. ولعبت ورها بلباقة، وهو دور فوق مرتبة الخادمة ودون مرتبة السيدة وتجنبت أن تثقل عليه بأي صورة من الصور. وكانت تشاركه الطعام والتدخين والشراب ولم تطالبه فوق ذلك بميلم. ولم يشجعها على التودد العاطفي إليه ولا على استعمال التعبيرات العذبة وقال لها:

أنا رجل سيئ الظن بكل شيء، هكذا أصبحت، فاحذري ان تذكريني بالكذب.

وعندما استحكمت الشتاء وأمسى الجو كالغيب لا أمان له اضطر إلى قضاء الليالي الطوال معها في الشقة يستمعان إلى الراديو، أو ينفرد هو بضع ساعات بالقراءة أو يريح النفس المكدودة بأحاديثها التافهة. وأسوأ ما يمر به معها أن تدهمه أحيانا كمركز اللهبان الذي تدهور إليه في الحياة وعند ذلك يتجنبها ويتوثب للإساءة إليها عند أول فرصة. وعند الإساءة ينقبض وجهها المستدير الممتلئ فيلحظ خفية الجهد الذي تبذله لشكم غضبها والتنفيس عن استعدادها العدواني المكبوت المكتسب من حياة الأرصفة بمعركة باطنية تفتضح آثارها في خديها وشفتيها ونظرتها وانقلاب سحتها. ورغم أنها كانت أمية إلا أنها كانت على ثقافة في عالمي السينما والراديو فهي تحفظ أسماء وصور النجوم والكواكب كما تعرف الأفلام والأغاني والبرامج ولا تشبع من أحاديثها. وسألته:

ألا تراني صالحة للسينما؟

فأجابها بأنه لا خبرة له في هذا الميدان. وعجب للغرور البشري الذي يفوق قوة البذرة. وقصت قصصا عن نجوم وكواكب لا يدري من أين جاءت لتثبت له أنها جديرة بالأضواء وان المسألة مسألة حظ لا أكثر ولا أقل! وقال لها ضاحكا:

كان ينبغي أن تبحثي عن شقة منتج أو مخرج لكي تشاركه فيها! ولأن ليل الشتاء طويل، ولأنه يأتي أن ينام قبل الفجر. فقد علمته ألوانا من لعب الورق، وقامرته كثيرا وربحت منه بعض النقود، وهي النقود الوحيدة التي استقرت في جيبيها منه، وخطر له أن يسأل نفسه مرة ماذا تعرف البنيت عن السياسة-السياسة التي ازدردته بطلا ولفظته جثة- فسألها عن أسماء وأحداث ولكنها هزت منكبيها ولم تعن بالإجابة. وعجب كيف يوجد مخلوق لا اكتراث له بديننا السياسة وسألها ساخرا:

ماذا تعريفين عن الدستور؟

فلم تبين عينها عن أي فهم. فعاد يسأل:

ورأيك في الاستقلال؟

فلم تتغير نظرتها فأوضح كلامه قائلا:

أغنى خروج الإنجليز!؟

فهتفت:

أه. فليخرجوا إذا شئت. ولكني سمعت الكثير عن أيامهم الحلوة. أبلتي صاحبة القهوة فتحت قهوتها من نقودهم.

وقال لنفسه إن استقلالها الحقيقي هو أن تتحرر من الحاجة إلى أنا وأمثالي.

وفتحت له قلبها فحدثته عن ماضيها بصراحة غريبة:

لي أم وخالة وأخوات، والرجل الوحيد الباقي لي عم في التسعين من عمره، لذلك لا أتوقع الذبح.

وكانت شيطانة منذ الصغر. وقد مات أبوها وهي في العاشرة فعجزت أمها عن تأديتها وتهذيبها ولم تستطع صدها عن الصبيان، ولم يجد معها الزجر ولا الضرب.

وعشقت شابا وأنا دون البلوغ حتى ضربت القرية بي المثل.

ثم وقعت الواقعة كالمتوقع.

وضربني أمي. ولطمت خديها حتى سقطت على الأرض كالميتة. ثم هربت مع شاب إلى الإسكندرية حيث ذهب لإتمام تعليمه، وسرعان ما تخلص منها بعد أشهر فوجدت نفسها وحيدة، ثم بدأت هذه الحياة. وقال باسمها:

أنت بنت صغيرة ولكنك شيطانة كبيرة.

فقال في مباهاة:

وعشقتني في الأزاربطة خوaja عجوز فاتخذني خادمة في الظاهر، وكانت له امرأة عجوز

قعيدة الفراش!

لكنك لم تحسني الانتفاع بالفرص كأبنتك صاحبة القهوة!

فقالت ببساطة:

أنا لا أطلب إلا الستر:

فضحك ضحكة عالية وقال لنفسه لعله من المفيد أن نصادف ما يقنعنا بأننا لسنا

أيأس مخلوقات الله. وسألها:

وما تنتظرين من المستقبل؟

فرفعت حاجبها لحظات ثم غمغت:

ربنا كبير.

الظاهر أنك متدينة!

وابتسمت لنبرة السخرية في قوله ولاذت بالصمت فقال:

لكنك عفريتة باعترافك؟

فأغرقت في الضحك وقالت:

جاء وقت النوم وهو خير من إتعاب الرأس بلا فائدة.

وازداد إيماننا بأوجه الشبه التي تجمععه بهذه البنت. وسلم بأنها ضرورة لا غنى عنها في وحدته وبخاصة عندما فضعت الملمات، فقد هوت المعاول على الزعماء وانقضت المحاكمات فانقبض قلبه خوفاً كمنوع المخدرات إذا دهمته أنباء القبض على المعلمين الكبار، وأنكر الدنيا فلم يعد يعرفها. ولم يعد يدهش لأيام الشتاء العاصفة حين يغلق البوغاز وتتطاير أمواج الغضب من البحر الصارخ فتجتاح الكورنيش، وتكفهر السحب كقطع الليل، ويشتد البرق كالصواريخ. وتهل الأمطار ككائنات هاربة من غضب السماء، وبدت الغربة حمقاء عمياء ففاض حنينه إلى القاهرة، وإلى ركن البوديجا الدافئ، وقالت له:

ترى أين أنت الآن؟ إنك لست معي، ولا أنت في الدنيا كلها!

فعاد الحضور إلى نظرته المتعبة من التسكع في الغيب وابتسم في فتور دون أن ينبس، فقالت: وهكذا أنت منذ أيام!

فقال في ضجر:

نعم، أما أنت فلا تسمعين في الراديو إلا الأغاني..!

فتساءلت في نبرة تطفل مستحية:

أنت من الأعيان؟

فضحك ضحكة جافة وقال:

أو عاطل من العاطلين!

أنت؟! كلا. ولكنك سر من الأسرار!

إنهم يفشون الأسرار.

خبرني حتى متى تبقى كما أنت؟

دعيني أسألك نفس السؤال.

أنا حياتي ليست بيدي.

ولا أنا..

ثم وهو يتسم:

وعندما يأتي الربيع سيذهب كلانا إلى سبيله.

فقال بحرارة غير متوقعة:

أنالن أذهب حتى تأمر بطردي.

لعنة الله على العواطف. الكاذبة والصادقة على السواء. وأحدث توددها في نفسه أترا

عكسيا أو شك أن ينقلب غضبا فركز انتباهه في أغنية تذاع، ثم أعلن المذيع عن برنامج

اقتصادي تناقشه مجموعة من رجال الاقتصاد سمع عند تعدد أسمائهم اسم الأستاذ "حسن

الدباغ" فسرعان ما وثب إلى الراديو فأغلقه. وسألته عن سر ضيقه فقال لها بحدة:

قلت إنك لا تسمعين إلا الأغاني!

وفي الأيام الصافية من الشتاء كان يجوب الأماكن المحبوبة في شتى الأنحاء بالإسكندرية. ولم يصحبها معه ولا مرة واحدة ولكنه لم يمنعها من ممارستها حريتها الكاملة في الحركة. وقرأ في عينها رغبة في مصاحبته ولو خطوات على الكورنيش، ولكنه كره مجرد التفكير في تحقيقها، وسألته:

ألا ترى أنك تعاملني كما لو كنت...

فقاطعها بحزم:

لا تفتشي عن أسباب للنكد!

ثم رق لوجهها الذي تورد في تأثر واضح فداعب شعرها القصير وقال بلهجة حانية:

لا تفتشي عن أسباب للنكد..

ولم تعد تفصح عن مشاعرها بالكلمات ولكن بالجهد المبدول في خدمته ورعاية وراحته. ولا في جهدها بامتنان مشوب بسوء الظن. وقال إنه عما قليل يولي الشتاء فيتحرر من هذه العلاقة التي اقتحم عليه شقته. حتى سلوى لم يكذبى من تجربتها الفاسية إلا جرح سطحي لعله من الكبراء لا من الحب. وأدرك أن الفراغ الذي تركته الساسة في قلبه سيحتاج في سده إلى مغامرات قد تشق على النفس. ثم أدهشه فيما تلا ذلك من أيام أن يرى صحة البننت وهي تسوء بشكل ملحوظ. أجل الشحوب والإعياء والفتور والسحنة المنفرة. كيف يأتي هذا وهي تحظى بما لم تحلم به يوما من الغذاء وراحة البال؟! وطن ما بها بردا ولكنه خلا في الحقيقة من أعراض البرد، ولازمها بإصرار أقلقه وشغله. وسألها:

ماذا بك؟، هل سبق أن عانيت هذه الحال من قبل؟

أجابت بالنفي. وتهربت من ملاحظته، وإذا بها ترقد على الفراش في استسلام قبي. ووقف

يتفحصها بعينين قلقتين وضيق ثم قال:

إذن يجب أن أدعو طبيبا.

فلوحت بيدها رفضا وقالت:

كلا. مجرد ضعف من الرطوبة..

واغرورقت عيناها فبدت طفلة بلا تجربة.. وساوره خوف لم يدر سببه فقال:

لديك ما تقولينه بلا شك..

أغمضت عينيها في يأس ثم أشارت إلى بطنها ولم تنبس. ودق قلبه بعنف لم يجربه إلا عند

الابتلاء بخطر الأحداث التي هصرته. وانقلب خوفه ضيقا خالصا. الهرة الماكرة قد وضح هدفها.

وصاح بها:

حية سامة، هذا جزء إيوائي لك؟!

فولولت قائلة:

لم أعرف إلا بعد فوات الوقت..

تدعين السداجة يا شيطانة؟!

أبدا ولكنه وقع رغم الحذر.

كذابة، وحتى لو صدقتك فلم لم تخبريني؟

الخوف!... لم أستطع من الخوف!

فصاح:

العفارية تخاف مثيالاتك، وماذا تنتظرين! متى تفعلين شيئا؟

قالت بلهجة وهي تشهق:

لم أنس صديقة ماتت وهي تفعل ذلك..

وإذن؟

واحتبس صوته من الغضب ثم صرخ:

وإذن؟! افصحي عن مكرك! اسمعي..

ثم وهو ينذرهما بسبابته:

لا تربي وجهك، من الآن، من الآن، وإلى الأبد!

فتوسلت إليه قائلة:

لم تضع الفرصة ولكن كن أحسن من ذلك..

فقال بإصرار جهني:

الآن... الآن أنا فاهمك ولكن الآن وإلى الأبد.

(١٧)

اشتدت وطأة الوحدة عليه فلم يعد يتحمل الرجوع إلى الشقة إلا آخر الليل. ولكن خوفه من البنت فاق جميع عذاباته وجعل يتساءل ترى هل تتخذ الخطوات التي تقذف به إلى صميم الفضيحة العلنية؟ هل يقف قريبا موقف النذل أمام النيابة؟ كما سيحلو التشهير به عند الصحف! وكم سيكون ذلك فرصة طيبة للتشهير بالآخرين وبعهد بأكمله! وطوفه القلق في وحدته كالبعوض في مستنقع. ولكن تتابعت الأيام دون أن يتحقق شيء من مخاوفه أو يجينه من البنت تعب. وثمة أسباب كثيرة أفنعته بوجوب العودة إلى القاهرة ولكنه تشبث بالبقاء في الإسكندرية بلا سبب معقول، وكلما اطمأن من ناحية البنت زاد تشبثه بعذابه، ولم تعد العواصف تزعجه بقدر ما تفتنه، والوحدة تغارله بسحر غامض قاتل، أما جدو الأجنب ذو العبير الغريب ففجر في نفسه أحلاما بالهجرة الأبدية إلى قمم الجبال المنقوشة بالمراعي الخضراء حيث ينقضي العمر بعيدا عن الكدر. وأحب ميدان الرمل حبا جما، فهو مسرح دائم لحاملات الأناقاة والشعور الذهبية الملفات بمعاطف المطر. وكلما جاء ترام انطلقت أسراب الحسن تبهج خاطر وتسكر اللب وتعزف بسيقانها مختلف الألحان. ورأه ضابط بوليس وهو يحملق في حسناء وهم بمتابعتها فالتقت عيناهما وابتسم الضابط فتراجع عيسى من فوره وهو يتفكر ما كان له من رهبة في نفوس جميع الرتب من ضباط البوليس. واتخذ وراء الزجاج مجلسا في "على كيفك" المشرف على الميدان. وتيار البشر يتلاطم بلا انقطاع فيعيش فيه ما شاء بلا ملل. الماضي المشحون

بالطموح لم يسمع بجلسة كهذه وإن تكن جلسة منبوذ كالزبد الذي يخلفه الموج فوق الساحل حتى يجمعه عمال البلدية. وأين الأعراء الكبار الذين أجبروا على الاختفاء ومتى تجف الدموع عليهم! والهبوط في تلك الأيام لم يؤخذ إلا خطفا وبلا تذوق ودون علاقة إنسانية حقيقية، وعندما أذن الزمان بإنشاء علاقة إنسانية هب الإعصار فاجتاح كل قائم. وها هو الجو يكفهر وتبتلع قوة مجهولة الضياء وتتكدس السحب فيلوح الأدميون المولون بالأطياف. يا إسكندرية الشتاء المتقلبة كامرأة! وهب الهواء عنيفا كأنباء السوء فحكبت الأيدي البضة المعاطف واحتساء الشاي الساخن نعمة النعم. وجعجع الرعد فشرد القلب وهطل المطر بقوة ورشاقة حتى وثق ما بين السماء والأرض بأسلاك مكهربة، وخلا الميدان وتكتل البشر تحت مظلات الأسمنت فبعث منظر تلاصقهم الدفء فارتاحت نفسه وطابت.

وسمع نحنحة خفيفة فالتفت إلى يساره فرأى ربري مستقرة على كرسي لا يفصلها عنه سوى ترابيزة واحدة! حول رأسه إلى الميدان بسرعة ولكنه لم يعد يري إلا صوتها في المعطف البرتقالي القديم في مزيج من أفكاره المضطربة، لقد التقت العينان لحظة قصيرة جدا ولكنها مليئة بتعبير مأساوي باسم. أهي تتبعه عن قصد أم رماه بها التسكع وحده؟! وهل تنتهي الجلسة بسلام أو تنفجر في ذروة من الفضيحة؟ وهل تخلصت من الشيء أو ما زالت مصرة على الاحتفاظ به؟ وقرر أن يغادر المكان ولكنه انتبه إلى الميدان فرأى العاصفة تتماهى في هياجها وسلم بأنه سيظل حبيسا داخل المحل على رغمه. وقرر أيضا أن يغادر المكان ولكنه انتبه إلى الميدان فرأى العاصفة تتماهى في هياجها وسلم بأنه سيظل حبيسا داخل المحل على رغمه. وقرر أيضا أن يغادر الإسكندرية في أول فرصة، غدا لو أمكن ثم تظاهر باللامبالاة وأسند خده إلى قبضته

كالمتأمل الحال! وخطر له خاطر سيئ جدا وهو أن حضورها ما هو إلا جزء من خطة متفق عليها مع البوليس للقبض عليه. وأنه أن له أن ينضم إلى ركب أبناء جيله البارزين الذين يقذف بهم تباعا خارج الأسوار. وقد يسوق ذلك إلى ما هو أدهى إذ إنه لا شك في أنهم مطلعون على رصيده في البنك وأنهم قد يطلقون عليه هذا السؤال "من أين لك هذا؟" في أي لحظة. وما يدري إلا والبنت تجلس إلى تراييزته وهي تقول:

قلت أدعو نفسي مادام لا يريد أن يدعوني!

حدجها بنظرة جامدة تخفى وراءها ذعره ولم ينبس فقالت:

لا تزعل، سنجلس معا بعض الوقت كما يليق بالأصدقاء القدامى.

وقال لنفسه هذه هي الخطوة الأولى في المكيدة ولعل المتآمرين الآخرين يترقبون. وصمم

على الدفاع عن نفسه حتى الموت، فقال بصوت يسمعه القريبون منهما:

عم تتحدثين.. أنا لا أفهم شيئا!

فأخذت بتجاهله وانطفأت المداعبة في عينها وتمتمت:

أنت تقول هذا!

فبسط يسراه متظاهرا بالحيرة فقالت بتعجب:

إذن فأنت لا تعرفني!

أنا آسف جدا. لعلك أخطأت في الشبه!

ولقتها الخيبة بصورة محزنة، ثم أطبقت شفتيها في غضب أحال سحنتها نديرا بالبشر حتى توقع كارثة أمام الجلوس ولكنها قامت وهي تقول في سخرية وتحذ:

يخلق من الشبه أربعين..

وشعر لشدة انفعاله بدوار. ولم يصدق أن المعركة ستقف عند هذا الحد. ولكما تذكر سحنتها المنقلبة ارتعد وأيقن أنها تخفى نمرّة تحت جلد البنت المرحّة. وليث في ذهوله لا يدري كم لبث حتى انتبه إلى أن المطر قد كف عن الهطول وأن فرجة تتسع في الأفق ينبث منها شعاع وان مغسول، ونهض بلا تردد فارتدى معطفه ومضى دون أن يلتفت ناحيتها. وعندما رجع إلى العمارة بعد منتصف الليل وجد في انتظاره برقية مرسلة من العائلة لتنبئه بوفاة والدته.

(١٨)

تقرر تشييع الجنازة من القبة الفداوية عصر اليوم التالي، وقد سبق عيسى إلى هناك ليستقبل المشيعين فصادف وصوله قدوم حسن ابن عمه في سيارته المرسيديس، ولم يدهش للسيارة بطبيعة الحال ولكن منظرها أثاره. وعجب للتحسن الواضح الذي طرأ على صحة ابن عمه، والاستعلاء الذي شد قامته، والسيادة المطلقة من عينيه. وتصافحا ووقفنا ينتظران تحت ظل شجرة، وجعل حسن يتفحصه ويقول:

ليست صحتك كما كنت أنتظر!

فقال عيسى وهو يستعرض أحزانه في لفظة خاطفة:

لعل الجو لم يناسبني..

فقال الشاب بلهجة تقريرية قاطعة:

رحلة لا معنى لها ولكنك رجل عنيد!

وقال عيسى إنه لم يعدل بعد عن حلمه القديم في تزويجه من أخته. ثم جاء الأصدقاء سمير عبد الباقي وإبراهيم خيرت وعباس صديق وبعض الشيوخ والنواب السابقين. وجاءت أفواج من الناس لا حصر لهم لتعزية حسن فاكتظ بهم السرادق على سعته. وكانت لحظة حرجة حين هبط على سليمان من سيارته. وقد استقبله حسن، ولم ير عيسى بدا من استقباله فتصافحا وتلقى تعزيتته دون أن يتبادلا نظرة واحدة. وتتابع الخطوات التقليدية واحدة بعد أخرى، ولم يخرج عيسى عن رزائنه إلا ساعة الدفن فاغرورقت عيناه رغم ما بذل من جهد صادق لضبط مشاعره. وقد أشرف على جميع الإجراءات بنفسه. ولم يستطع أن يقاوم الإغراء الأبدي فألقى بنظرة طويلة إلى جوف القبر. وشعر برغبة في الخلو بنفسه ليقول لها أشياء هامة، ثم وثب إلى مخيلته موقف الوداع الأخير بينه وبين أمه في البيت القديم وقد لثمت جبينه وقالت:

افعل ما تشاءن وليحرسك المولى أينما تكون، أما أنا فسأحبس دموعي حتى تذهب

بالسلامة!

ولا يكاد يذكر تعابير وجهها لأنه لم ينعم فيه بالنظر ولكن كانت يدها باردة منتفضة.

وانتهى جانباً عندما بدأت التلاوة الجماعية. وتبادل وأصحابه نظرات متعاطفة أكثر من مرة.

وسأل نفسه بتأنيب "لم تحزن أكثر مما ينبغي؟". ثم قال لنفسه أيضا بحماس مريح لم يخل من شماته "هذا هو المصير الأخير. لكل مسكين ولكل جبار. أجل ولكل جبار!"

واقصر العزاء في البيت ليلا على الأهل والأصدقاء الثلاثة، أما علي سليمان فلم يحضر، وتجنب عيسى الانتقال إلى الحريم كيلا يرى آل عمه ولكنه تساءل باهتمام هل حضرت سوسن هانم وسلوى! وفي الحجرة التي جمعتها مع سمير وعباس وإبراهيم وحسن شهد صورة أقرب ما تكون إلى الفكاهة إذا لم يجرؤ أحد من أصدقائه على الإفصاح عن مشاعره السياسية في حضور حسن ولما كانت السياسة جزءا لا يمكن إهماله في أي اجتماع فلم يروا بدا من النفاق فنوهوا بالأعمال التاريخية كالغاء النظام الملكي والقضاء على الإقطاع والجملاء، وبخاصة الجملاء ذلك الحلم القديم، ولم يشترك عيسى في الحديث إلا قليلا لغلبة الإعياء عليه ولشعوره بالفراغ والحزن، وداري سخريته من الموقف بالتظاهر بالإصغاء إلى تلاوة القرآن المنبعثة من الصالة حيث ترعب مقرئ من الدرجة الثالثة. وقال لنفسه إن حسن بات ركنا خطيرا يعمل له ألف حساب. ألا يبدو هذا مضحكا؟! واستسلم للشعور العجيب بأن أمة لم تمت أو أنها لا تزال حية بطريقة ما أو أن روحها لم تغادر البيت بعد. ثم ذكر بدهشة حلم الجملاء القديم وكيف أصغى إلى أنباء إعلانه بارتياح فاتر مشوب بالغيظ لاشيء إلا لأنه لم يتحقق على يد حزبه. وما تمالك أن قال:

الحقيقة أن الجملاء ثمرة للماضي!

ولم يعلق أحد من الأصدقاء بكلمة على حين نشط حسن للبرهنة على فساد هذه الفكرة، وإذا بإبراهيم خيرت يقول:

الحقيقة أن جميع ثوراتنا القديمة ثورات بلا نتائج حاسمة، ثم جاءت هذه الثورة لتحقق رسالات الثورات القديمة بالإضافة إلى أهدافها الذاتية..

وتواصل الحديث حتى خلا البيت. وحين مضى ليوصل ابن عمه إلى الباب الخارجي توقف فجأة ثم ابتسم إليه في تودد قائلاً.

كان سفرك خطأ ويجب أن تعيد النظر في موقفك.

فابتسم عيسى بلا أدنى رغبة في الحديث فعاد الآخر يقول:

خبرني عن أمل واحد من أمالك الماضية لا يتحقق اليوم.. فيجب أن تلحق بالقطار..

وهز رأسه هزة غامضة، ثم تصافحا وحسن يقول:

عندما تغير رأيك ستجدي رهن إشارتك..

فشكره عيسى بنيرة امتنان واضحة. والحق أنه تأثر كثيرا بالحسن ومجاملته ولكنه أبى أن يفكر في زحزحة الجدار الذي يصده عنه. وكثيرا ما يسلم بمنطق خصمه ويعترف بهزيمته الخفية أمامه، ولكن كلما ازداد عقله اقتناعا غاص قلبه في الامتعاض الأسن. وخلا بعد ذلك بأشهر شلبي التي حيت مقدمه بالبكاء على الراحلة. انتظر حتى سكتت ثم سألها:

كيف كان حالها؟

فقالت وهي تجفف عينها:

لم ترقد يوما واحدا.

إذن فجأة؟

نعم، وبين يدي من حسن الحظ..

هل كانت تطول وحدها بالبيت؟

أبداً، كل يوم كانت تزورها ست من أخواتك.

الليلة ألم تحضر سوسن هانم؟

نعم يا سيدي حضرت.

وبعد تردد قصير سألمها:

وسلوى؟

لم تحضر يا سيدي.

ورمشت بعينها ثم استطرقت:

كتبوا كتابها على سي حسن ابن عمك.

انتفضت عيناه المتعبتان في نظرة يقظة دهشة ثم تساءل:

سلوى وحسن؟

نعم يا سيدي.

متى؟

في الشهر الماضي.

مد ساقيه بلا مبالاة. وألقى برأسه على مسند المقعد فرأى السقف القديم الباهت القائم على أعمدة أفقية، ثم استقرت عيناه على برص كبير في اعلى الجدار تراءى في وضعه الجامد كالمصلوب.

(١٩)

في جو يونيو المشيع بالدفء يحلو المجلس على طوار البوديجا وبخاصة عندما يحمل السماء نمسة لطيفة. وقد يسود الصمت عند مرور حسناء ولكنه ملا يشبعون بحال من حديث السياسة. وبالرغم من المركز الذي يشغله عباس صديق في الحكومة والمكانة التي يحتلها إبراهيم خيرت كمحام وكاتب من تكاب الثورة فإن موقفهما لم يختلف في شيء عن موقف عيسى أو حتى سمير عبد الباقي الجانح إلى الهدوء، وقد لخص إبراهيم خيرت شعورهم العام بكلمة من كلماته إذ قال:

تكون في فمك وتقسم لغيرك..

وطبعهم الاستلام بطابعه لكن الأمل في معجزة ليست في الحسبان لم يمت، ومن أنفه الأحداث يتلقون أحيانا ما يبعث في موات نفوسهم نفضة حياة غامضة. ومن عجب أن إبراهيم خيرت وعباس صديق يثبتان بصورة مستمرة أنهما أشد تدمرا من عيسى نفسه وقد قال لهما ضاحكا:

أنتت كاتب كبير وأنتت موظف كبير فماذا تريدان؟

فقال عباس بصوته الرنان المنسجم تماما مع جحوظ عينيه وبريقهما:

الحالة الخاصة مستكنة ولا شك ولكنها لا تتغير من النظرة العامة.

وقال إبراهيم خيرت:

الحقيقة أنه لا قيمة لإنسان اليوم مهما علا شأنه، نحن بلد الفقاقيع..

فقال عباس:

كنت وأنا في الدرجة السادسة لا غير في حكم وزارة بأكملها.

وقال سمير عبد الباقي باستسلام مريح:

لم يعد يهمني شيء ألبتة!

يمكن أن يعتبر موقفك أشد تطرفا منا جميعا!

فسارع إلى إصلاح رأيه قائلا:

أعنى لم تعد تعذبني الحسرة على ما فات، وأحيانا أدعو لهم بالتوفيق، ولا تهمني غربتي

لأنني اخترتها.

فداعبه عيسى قائلا:

قل إنها فرضت عليك..

ولكنني اخترتها في نفس الوقت، ولتكن مشيئة الله..

وربت إبراهيم على كتف عيسى قائلاً:

وأنت لم لا تتكلم؟ ألا جديد عندك؟

فقال عيسى ببساطة:

علقت منذ أيام إعلاننا على باب بيت المرحومة الوالدة "للبيع".

بيت قديم لكنه صقع!

فقال عيسى بسرور:

سيمكنني نصيبي مه من أن أعيش حياة الأعيان التي أحيها أطول مدة ممكنة..

هل تجدها حياة موفقة؟

لعل فيها الشفاء من انقسام الشخصية الذي أعانيه..

فتساءل عباس صديق:

مرض جديد؟!

فقال عيسى بعد تأمل:

الحقيقة أن عقلي يقتنع أحياناً بالثورة ولكن قلبي دائماً مع الماضي، والمسألة هل يمكن

التوفيق بين عقلي وقلبي؟!

فقال إبراهيم خيرت:

المسألة ليست مسألة مبادئ يقتنع بها لعقل ولكن العلاقة بين الحاكم والمحكوم تتقرر بطريقة خفية كما في الحب، ويمكن أن يقول إن أظفر الحكام بقلوب المحكومين هو أعظمهم احتراماً لإنسانيتهم، وليس بالخيز وحده يحيا الإنسان!

فقال عيسى بحزن:

ولذلك فحتى لو حظيت بعشرات الأعمال فسوف أظل بلا عمل..

فقال عباس صديق:

أهو العقل أم القلب الذي يتكلم؟!

فقال سمير عبد الباقي باسمًا:

للقلب "عندنا" معنى مختلف كل الاختلاف...

تساءل عيسى:

لم نضحك والحياة مأساة بكل معنى الكلمة؟

فقال إبراهيم خيرت:

نحجن نعتبر الموت ذروة المأساة، ومع ذلك فموت الأحياء أقطع ألف مرة من موت

الأموات..

فضحك عباس صديق ضحكة كالفرقة وقال:

ما أنسب أن يسوقنا الحديث عن الموت إلى حديث الذرة مثلاً!

فقال عيسى ولم يكن قد خرج تماماً من حزنه المفاجئ:

التهديد بالذرة من شأنه أن يخفف من متاعب الحياة، أعنى حياتنا..

فتساءل عباس صديق في سخرية:

والحضارة؟ ألا تخشى على الحضارة؟

من حسن الحظ أننا لم ندخل الحضارة بعد فما خوفنا من الليل؟

فقال إبراهيم خيرت:

ليكن عهد كعهد الطوفان ليظهر العالم..

فسأله عباس صديق:

هل سمعت عن ذلك من مصدر مسئول؟

فقال سمير عبد الباقي:

فنعترف بأنه لولا الموت لما كان للحياة قيمة..

ما أكثر الكلام عن الموت..

وتذكر عيسى موت أمه وزواج سلوى من حسن والقسوة التي عامل بها ربرى. وقال لنفسه إن السم مع هؤلاء الأصدقاء تسلية شاقة أما حديث حسن فإنه يزيد انقسام شخصيته حدة. ومال سمير نحوه قائلاً:

مشكلتك تعتبر يسيرة بالقياس إلى مشكلة العالم، أنت يلزمك عمل وزوجة..

فقال عيسى دون مناسبة ظاهرة:

لذلك فأنا أحب أفلام الرعب..

فقال عباس صديق:

عيب هذه الأفلام أنها خيالية..

فقال عيسى:

بل عيبها أنها واقعية أكثر يجب..

وانطلقت صفارة الأمان خطأ واستمر انطلاقها نصف دقيقة. وقال عيسى إنه سيجد

نفسه في النهاية باحثاً عن عمل وعن امرأة، ولكن ذلك لن يقع حتى يسلم بالهزيمة ويخرج نهائياً من التاريخ.

(٢٠)

حياة آخر الليل حادة اللذة ولكنها لا تدوم فضلا عن فداحة ثمنها. وللأريزونا جمال خاص عند منتصف الليل، فالرقص يدور مع حسناوات من أمم شتى، والشراب ممزوج بندي الفجر، ثم إنك تستطيع أن تقتنع بالكذب، وفي الحديقة الخلفية لا يوجد إلا العشق والعشاق وضوء القمر أو ضوء النجوم، والنقود لا قيمة لها ألبتة والعواطف تهرق بلا حساب، وقال إنه لا جديد في الصورة، غير أنه يمارس أكاذيبه في الحياة اليومية في جو شديد الجفاف أما هنا فهي تمزج مع الأغاني في جو من الطرب، وسلوى قد عرفت التفاهة ولكنها لم تعرف الطرب.

وخطر له أن يسأل صديقه الإيطالية في الحديقة:

أنت طوفت بلادا كثيرة فما رأيك في الناس؟

وكانت متعة الحواس الخمس فأجابت:

أنا ألقاهم عادة عندما يكون السرور مطلبهم فهم طيبون جدا.

ولكن ذلك كله كذب؟!

في الأقل فهم يرغبون في بصدق؟

مجرد انفعال عابر.

وهكذا كل شيء!

فضحك، وتردد قليلا، ثم قال:

ولكن حتى هذا الانفعال العابر لا تجدينه في نفسك؟

فقال في دعابة:

إذن فأنت لا تصدق أنني أحبك؟

فسألها باهتمام:

كيف لم يتأت لمثلك أن تنعم بالاستقرار؟

فغنت أغنية إيطالية. ومرت به لحظة تأثر بجمالها فحزن لامتهانه ولكنه قال إن قيما ثمينة غير الجمال تلقى نفس المصير كالحرية والأدمية وحتى الدين يتاجر به أناس بلا حياء، وإنها في الحقيقة مأساة واحدة، وهو نفسه وقع في نفس العيب في ماضيه فهضم ألوانا من الفساد وشارك فيه. ولا يزال رصيده في البنك شاهدا على ذلك، فلم لا يسود النقاء؟ وما الذي حال دون ذلك طوال القرون؟ وهل يوجد في مكان ما من الأرض إنسان يعيش بلا خوف ولا رذائل؟

وجعل يتسلى بتعقب الفتيات في شوارع القاهرة، وبخاصة الصغيرات منهن كأن قوة تدفعه إلى منابع السذاجة، ولكنها لم تكن إلا رحلات عابثة غامضة وبلا نتائج، وكلما اشتدت العواصف السياسية وأطاحت بمعنى أو برجل من ماضيه ترنح من هول الصدمة حتى تمنى يوما لو كان للمصريين-كما لغهم-جالية في أمريكا الجنوبية لمهاجر إليها. وقال ساخطا إن المصريين زواحف لا طيور. وراوده حلم بتغيير جذري في حياته. ولكنه لم يكن يفعل سوى العيب. وقد شكَا إلى صديقه سمير عبد الباقي فقال له:

أيك شرعك؟.. أنت زورق بلا شرع! وعند الرابعة من مساء يوم جاء سمسار الوايلية وهو

يقول:

بعضهم يرغب في مشاهدة البيت..

ودخلت سيدتان، عجوز في السبعين وابنتها- من الشبه بينهما استنتج ذلك- في الأربعين أو دون ذلك بقليل، تقدمهما من حجرة إلى حجرة وهو يجيب على أسئلتهما، وكانت العجوز نحيلة بيضاء البشرة رمادية العينين ذات جفون ثقالة ونظرة تدل على الخبرة والثقة بالنفس، أما ابنتها فمتوسطة الطول ممتلئة الجسم والوجه ولها عينا بقرة وهدوءها. وقد لاحظ دهشتها من التناقض الواضح بين قدم البيت وفخامة الأثاث وعصبريته فضايقه ذلك وأهاج إحساسه الراسخ بالمطاردة. وبعد أن ألقيا نظرة على الحوش الكبير دعاهما إلى الجلوس في حجرة الاستقبال وقدم لهما القهوة. وشهد المجلس السمسار بجلبابه الأبيض وراسه العاري وهو يتفحص الجميع بعينيه الضيقتين ويقول:

البيت عبارة عن مساحة كبيرة تصلح لإقامة عمارة على ناصيتين، ميدان الكومي وشارع الجلال بحرية غربية، موقع نادر المثال، والحي فيما حوله يتجدد بسرعة كما رأيتما فخمس عمارات جديدة تشيد في وقت واحد وهو ما يزيد من قيمته..

فقالت الابنة التي وضع لعيسى سواد عينها وفخامة ملبسها:

ولكن البيت قديم جدا ولا يصلح للسكنى..

فقال عيسى:

كبيعي أن الذي يشتري بيتا كهذا البيت لا يشتريه للسكنى ولكن للبناء كما قال الحاد حسنين، والأرض صقع، والبيع بأجر المثل ويمكن حضرتك أن تسألني عنه بنفسك!

فقال الحاج حسنين:

هذا عن الحاضر أما المستقبل فالحي كله مضمون وما من حي في الدنيا مثله في موقعه أو ازدحامه بالسكان أو مواصلاته الكثيرة...

وسألت الالة عيسى عن المساحة بصوت حلقى مليء كوجهها ولكنه مثير في الوقت نفسه، وقد كون عنها فكرة أولية بأنها امرأة جديرة بالاحترام لفخامة مظهرها، وقد تشتى أيضا فترة ما. وأجاب:

ألف متر مربع ولعل الحاج أبلغكما بالثمن المطلوب...

فتساءلت العجوز:

عشرة آلاف جنيه؟! أين تجد القادر على دفع هذا المبلغ؟

فأشار عيسى إليهما ضحكا وهو يقول:

هنا أجدّه...

وقال الحاج حسنين بتوكيد:

فرصة لا تجود الدنيا بمثلها مرتين والله شهيد...

ورفض عيسى أن يخفض من الثمن قرشا واحدا. واستمرت المساومة طويلا ولكنها كانت تصطدم بإصراره، وفي أثناء ذلك تبادل عيسى والابنة نظرات غير تجارية على سبيل الاستطلاع فغلب على ظنه أنها غير متزوجة. وقال لنفسه إنها غنية ومقبولة: أجل ليست من الطراز الذي يحبه ولا السن التي تناسبه ولكنها غنية وهادئة وعلى خلق فيما بدا له. ولم تكن إلا خواطر عبارة من وحي المجلس ولكن خيل إليه أن العجوز تتابع خواطره.

وانتهت الجلسة بلا تراجع من ناحيته ولا قبول من ناحيتها...

(٢١)

ونصحته السمسار لأن يتساهل بعض الشيء ولكنه رفض بعناد لحاجته الماسة إلى تأمين مستقبله. ولسوف يضمن -إذا قبض نصيبه من ثمن البيت- مستوى من المعيشة كمستواه الحالي لعشرة أعوام على الأقل وقد تفتتح له أبواب عمل مناسب في أثناء هذه الفترة الطويلة. ولم تعارض موقفه أخت من أخواته الثلاث وتركن له مطلق الحرية في القبول أو الرفض ومضت أيام حتى أدركه الجزع ولكن السمسار جاءه ليزف إليه بشرى قبول السيدة للثمن المطلوب، ومن ثثرة السمسار عرف أن عنايات هانم أرملة مأمول بوليس ولكن الثروة ورثتها عن أبيها، وأن ابنتها قدرية هي وحيدتها مطلقة منذ خمس سنوات ولم تنجب أطفالا. وقد مضى إلى زيارة السيدة في مسكنها بعمارة تمتلكها بميدان السكاكيني ودل أثاث المسكن الكلاسيكي الفاخر على عراقية حقيقية في الجاه وتم الاتفاق على الإجراءات في جلسة ودية وقال عيسى بلباقة وهو يشير إلى صورة المرحوم:

أنا أعرف المرحوم، سمعت عنه أول عهدي بالعمل، ما أفنعتي بشهامته ووطنيته.

وأحدث كلامه أثرا طيبا جدا في نفس المرأتين.. ودعته عنايات هانم للبقاء بعض الوقت. وما لبث أن جاءت خادم بالشاي والحلوى الفاخرة، وأعربت العجوز عن سعادتها إذ مكنتها المصادفات من استضافة شخص من المعجبين بالمرحوم ولكن عيسى لم يأنس منها أريحية تبرر هذا الكرم وحده أن الدعوة موجهة لحساب الابنة التي جلست في هدوء تملأ فراغ المقعد بجدارة وترمقه بين حين وآخر بنظرة ناعسة. وقالت عنايات:

وأيام الخدمة بالأقاليم لا تنسى، أيام مليئة بالخير، ونال المرحوم تقدير سعد زغلول فنقله إلى الداخلية عام ١٩٣٢ ولكنه تعرض لأسوأ أنواع المعاملات في عهد الانقلاب..

ثم أتت على صدق فراسته واستشهدت على ذلك قائلة:

عندما تقدم زوج قدرية لخطبتها أعرب المرحوم عن عدم ارتياحه له، ولكي تشبثت به

فكنت المسئولة عن سوء حظ ابنتي!

تلقي عيسى الكرة بارتياح ثم تساءل:

ترى كيف كان ذلك؟

كان من أسرة ولكنه ذو خلق منحرف، ابنتي طيبة وست بيت وكريمة الأخلاق فلم تقبل

بطبيعة الحال أن يجعل من بيتها خمارة وملعبا للقمار!

فتأسف عيسى قائلا:

يا للحظ السيء، ولكن ربنا يعوض صبرها خيرا.

ومضى وقت غير قصير في ثرثرة هادفة، وجعل عيسى يتساءل عن مدى قدرته على استساغة امرأة كقدرية يمكن أن يعتبرها نوعا من التأمين مدى الحياة وسوف يجدها بلا ريب حضا طيبا إذا قدرت على ضوء ما عاناه من تقلب الدهر. وعندما غادر البيت اطمأن إلى أنه قد استأثر باهتمام المرأتين لدرجة لا بأس بها، وقال لنفسه في غير قليل من الأسى: قدرية في حاجة إلى رجل وأنا في حاجة إلى امرأة. ورسم خطة للتحري عن قدرية كالعادة.

وقررت التحريات أنها تزوجت ثلاث مرات لا مرة واحدة، الأولى لم تستغرق إلا شهرا إذ كتب كتابها على قريب لوالدها وقبل أن تتم الدخلة وضح لهم طمعه في مالها ونفعيته المفضوح فحمله أبوها على تطليقها. والثانية استهلكت أربعة أعوام أو خمسة. ولم تقبل الأم أن تهبها من مالها شيئا رغم مطالبة الزوج بذلك والحاحه عليه لاقتناعها بأنه يستطيع أن ينهض بمسئوليياته دون مساعدة منها وأن مطالبه غير معقولة وناطقة بسوء نية فانتهى النزاع بالطلاق. والثالثة استمرت أعواما ستة وبشرت بالدوام وبخاصة بعد أن غيرت الأم سياستها وأغدقت على ابنتها من مالها ما كفاها وأكثر ولكن الزوج كان يرغب في إنجاب أطفال، ولم تسعفه قدرية في ذلك ولا وعدت به قياسا على حياتها الزوجية السابقة فتزوج الرجل سرا، ثم انكشف سره فاعترى الحياة تنغيص لم يستطع تحمله إلى ما لا نهاية فكان الطلاق الثالث.

هذه هي قصة قدرية، غير أن عيسى لم يعرضها بتفاصيلها في ركن البوديجا ولكنه قال:

امرأة لا بأس بها ترغب في الزواج مني!

فتحولت إليه الأعين كأنها بوصلات تنجذب إلى قطب، فقال بارتياح ممزوج يزهو:

من أسرة عريقة وغنية..!

فقال عباس صديق بصوته الرنان كأنما يعلن الخبر على الملأ:

الصفة الأخيرة هي المطلوبة!

وقال إبراهيم خيرت باسماء ليداري انفعالا بالجسد:

مبارك، من الخير أن نرمم بيتنا الآيل للسقوط بفعل أعاصير السياسة واغتاظ عيسى

من هذه الملاحظة فردها قائلاً:

وبخاصة وأنى لا قلم لي أستغله في التقرب من الأعداء!

وضحكوا جميعاً. وانهاالت عليه الأسئلة من كل لون، وجعل يجيب بحذر حتى تراكمت

أكاذيبه. ولم يفض بذات نفسه إلا لمسير عبد الباقي وهما يسيران منفردين بشارع سليمان باشا،

صارحه بالحقيقة بلا رتوش فسأله سمير:

الا يهملك إنجاب الذرية؟

فأجاب بامتعاض:

يهمني أن أجد رفيقا في وحدتي. وهذه امرأة لا بأس بها مستعدة لأن تقبلي بعيني فلم لا

أقبلها بعينها؟، وأين هي الفتاة الكريمة التي ترضى بي بحالتي الراهنة؟!!

وزار عنايات هانم ليطلب يد قدرية فوجد منها استعدادا طيبا لقبوله، وقال:

سأصدقك القول فإن الكذب هو عدو الزواج، لي رصيد في البنك لا بأس به ومنه نصيبي من البيت الذي آل إليك، ولي أيضا معاش صغير، وليس لي عمل في الوقت الحاضر ولكن من الممكن أن أجد عملا محترما في المستقبل، وقد أخرجت من الحكومة لا لسبب يمس الشرف ولكن للتعصب السياسي الأعمى، ولم يكن من الممكن أن يبقى العهد الحاضر على شخص مثلي يعده في غاية الخطورة!

فقال العجوز:

جميل. جميل، نحن لا تهمننا الثروة، ولا نفضل العمل إلا لأن الفراغ غير مستحب، ولا أشك في شرفك فقد قاسى المرحوم زوجي كما تقاسى، وقلبي يحدثني بأنك ستكون خير زوج لابنتي.

ولم تفتحه عن زيجات ابنتها المتعاقبة ولا عن عقمها، فارتاح لذلك إذ أنه رأى أن اطلاعه على عيوب العروس مقدا لما يترك له فرصة في المقبل لتمثيل دور الزوج المخلص الذي خاب أمله وهو دور مهم جدا لتعزيز مكانته وسيطرته..!

(٢٢)

وسافر إلى رأس البر لقضاء شهر العسل في عشة عنايات هانم، ونمت العلاقات بين الأطراف الثالثة على وجه يبشر بالخير. وقد أراد أن يكون منذ البدء "رجلا" بمعنى الكلمة فلم يلبس في موقف يندم عليه مستقبلا.

ولذلك رفض أن يقيم في مسكن الأم كما اقترحت وأصر على السكن مع زوجته بعيدا في الدقي، حي الذكريات التي لا تنسى. وصارح الأم بشجاعة غريبة-على حد وصفها لها- بأنهما هو وزوجه- يجب أن يتمتعا بمالها في حياتها ليدعوا لها بقلب خالص بطول العمر! كان يقف وراء مطالبه حتى تنفذ بحذافيرها وهو يقول لنفسه إن الذي أضاع حزنه الجبار لم يكن سوى التساهل في أواخر عمره الحافل بالعناد والإصرار.

وكان يرى رأس البر لأول مرة في حياته فأعجب بطابعها الخاص الجامع لمحاسن المدينة والريف والساحل، وفتنة ملتقى النيل والبحر، والهدوء الشامل كحللم سعيد، والوجوه النظرة. والهواء اللذيذ الجاف الذي يستبجح عصمة البيوت من جدرانها المضيافة، ولم يجد أحدا من أصدقائه في المصيف فهوب وقته كله لأسرته. وصادق الزواج توفيقا بديعا وشعر بأنه سيطر على زوجه بقوة وأقدار، ولأول مرة آلمته البطالة إذ وجد الحياة في البيت تدور على محور غير محوره، وأن شخصيته وحب زوجه له ومجاورة حماته لرغبته، كل أولئك لم يدفع عنه ذلك الإحساس المؤلم. وقديما كان يمارس حياة الأعيان أمام الناس بماله، اليوم تتعلق الأبصار بزوجه وأموالها ولن يصدق أحد أنه سيواصل إلى الأبد حياته المرفهة بنصيبه في البيت المباع أو

بمعاشه. وجعل يداري أفكاره بالتظاهر بالبساطة والثقة والضحكات العالية، ولكنه أيقن أن حياته لن تدوم على هذا المنوال، وأن عليه أن يستثير همته النائمة ليبدأ عملا حرا جديرا به.

وأكملت المعاشرة معرفته بزوجته فقد تكشفت له عن أستاذة في المائدة والملبس سواء من ناحية الذوق أو الصنعة، فأتخمته بألوان الطعام التي تقدمها وبخاصة الحلوى التي تتفنن في تأليفها. وهي أكلة لحد الإفراط وتغرى من يؤاكلها بالإفراط كذلك. وهي مسلية جدا لإتقانها الألعاب البريئة كالنرد والكونكان ومولعة بالسينما والمسرح الفكاهي وإن يكن تعليمها الابتدائي قد معى من ذاكرتها تقريبا ولم يبق لها منه إلا قدرة ضعيفة على القراءة أو كتابة رسالة ركيكة. وهي امرأة بكل معنى الكلمة، متأججة العواطف فلم تدع له مجالاً للشكوى من هذه الناحية، غير أنه توجس خوفاً من توئها إلى ازدراده كلما أمكن ذلك، ورغبتها غير الواعية في أن تجعل منه زوجا وأبا وابنا في آن. ولعل لذلك صلة بتطلعها الدافق الحزين إلى الأطفال، وأعرابها عن مشاعرها المكبوتة بالسهوم والنظرة القلقة والحركات العصبية الطارئة التي لا تنسجم مع كيانها المليء الرزين. وقال عيسى لنفسه: إن التعاسة تبدو قاسما مشتركا أعظم بين الناس جميعا فما أحقر المظاهر، وتساءل عن السر الخفي المستول عن هذا العبث. وقال أيضا: إهن حسن الحظ أننا نستطيع أن نخفى أفكارنا عن الآخرين، وترى أي أفكار عنه تدور في رأسها الصغير الغزير الشعر؟ وهل تزعجها -مثلا- الأسباب الحقيقية التي أوجبت فصله من وظيفته؟

وتذكر سلوى والجرح الذي حفرته في قلبه فازداد تنغيصان وتذكر ربري أيضا فقطب بمرارة ودهمته لحظة سوداوية فشعر بتفاهته إلى غير حد. ولذلك ذكر كيف كانت تنزل الوزارة وهو يغادر صباحا السيارة الشيفروليه الحكومية، وذكر أيضا يوم أراد أن يرشح نفسه في دائرة

الوالي فنصحته عبد الحليم باشا شكري بتأجيل ذلك إلى انتخابات قادمة لاعتقاده بأنه سيرشح عما قريب وكيلًا لوزارته.

وفاجأه الراديو يوما بقرار تأمين شركة قناة السويس. ارتفعت حرارة اهتمامه الخامد لدرجة الغليان. لهث في لهفة كأيام زمان. وما لبث أن أغرقه مد الحماس الذي اجتاح الجميع. وافتقد بألم شديد الأصدقاء الغائبين لحاجته إلى تبادل الرأي معهم. واعترف بذهول أنه عمل كبير حقًا لدرجة أنه لا يصدق. بذلك أقر عقله. أما قلبه فغاص في صدره كالمريض وأكله الجسد. إنه ينذعر كلما قامت قمة في الحاضر تضاهي القمم التاريخية التي يعيش على ذكراها وشعر بألم التمزق في منطقة الجذب والشد الفاصلة بين شطري شخصيته المنقسمة. وتساءل عن العواقب. وحاول أن يسأل نفسه عن موقفه بين هذه العواقب وسعان ما هرب من معركته الداخلية بإشراك زوجه وأمها في الحدث ولكنه لم يجد له صدى في نفسها فهرع إلى الفريجدير ليتناول بضع كاسات مريحة.

وعاد إلى القاهرة في منتصف سبتمبر متخم الحواس قد زاد وزنه زيادة ملحوظة. وكان يمر أمام بيته القديم وهو في طريقه إلى مسكنه الجديد باقي فتنتال عليه الذكريات الحزينة. وراح يتبادل الزيارات مع أصحابه وقد كان لكل منهم زوجة شابة متعلمة ولكن قدرية احتلت بينهم مكانا مرموقا لجاهها ومالها.

ولما سأله سمير عبد الباقي: وكيف وجدت الزواج؟

أجاب بعد تأمل دبلوماسي:

عال، لكن.

ولكن؟

ولكن أشك في أن إنسانا يهضمه بلا عمل وبلا أطفال.

وهجم اليهود على سينا، بذلك لطمته الصحف ذات صباح وزلزله الخير. وجالس الراديو يتابع الأنبياء بانتباه منصهر. انفعّل بالنبأ لحد الهذيان. ودار رأسه بالأفكار حتى أصابه الدوار. أجل تأرجح مصير الثورة في الميزان ولكن انفجر شعوره الوطني فطغى على كل شيء. غضب الغضب الجديرة بالوطني القديم الذي كاد يدركه الموت. الوطني القديم الذي كاد يدركه الموت. تشبّثت قدماه بحافة الهاوية التي تهدد وطنه بالضياح. وأبعد عن ذكره الثورة ومصيرها ليحتفظ بمشاعره في أوج انفعالها. ومحا بقوة إرادته المشاعر المتناقضة التي تدب تحت تيار وعيه المتدفق. وحانت منه التفاتة إلى زوجه فهاله عدم اكتراثها وانكباها على روتين حياتها اليومية. ولم تخرج عن ذلك إلا حين تساءلت بازدياء:

حرب وغارات مرة أخرى؟

ورأى الأمر دعاية فأحب أن يعاينها ليروح عن نفسه، قال:

أنت مهتمة جداً بإعداد الطعام، خبريني عن حال الدنيا لو فعل كل إنسان مثلك؟

فقالته ببساطة:

كنا تبتل الحروب؟

فضحك رغم همه وغمه وقال مدفوعا بالرغبة في الدعاية:

أنت يا قدرية لا تهتمين بالشئون العامة، اعنى الناس والوطن..

حسي اهتمامي بك وبيتك.

ألا تحيين مصر؟

طبعاً.

ألا تودين أن ينتصر جيشنا؟

طبعاً ليعود الأمان إلينا.

ولكن ألا تحبين أن تشغلي عقلك به؟

عندي ما يكفي من المشاغل..

خبرني عن مشاعرك لو كان مقصد اليهود أن يستولوا على أملاك البست الوالدة؟

فضحكت قائلة:

يا خير أسود، وهل قتلنا لهم قتلاً؟

ووجد في ذلك كله مزاحا يخفف من حجة مشارعه المتوترة، ورغم تجهيم اليوم ذهابا لزيارة
 عنايات هانم في السكاكيني فتنالوا عندها الغداء ثم غادر البيت قبيل المغرب. ووقفا في الميدان
 يتصيدان تاكسي عندما انطلقت زمارة الإنذار. وشدت بيدها على ذراعه وهمست بصوت متهدج:
 لنرجع..

عادا إلى العمارة، وهما يرقيان السلام انطلق مدفع مضاد فارتعدت كما دق قلبه بعنف.
 واجتمعوا في حجرة مغلقة الشيش، وراحت عنايات هانم تقول محتجة:

ضاع العمر من حرب لحرب لحرب، صفارات إنذار وقنابل ومدافع وقنابل طيارات، ألا
 يحسن أن نبحث لنا عن مأوى غير هذه الأرض!

وليثوا في الظلام بحلوق جافة. ودوت أربعة مدافع متباعدة، وعادت الأم تقول:

سيدخل هذا الجيل الجنة بغير حساب!

وسأل عيسى نفسه في حيرة حقيقية كيف تجرأ اليهود على مهاجمة مصر بعد أن صنعت
 لنفسها جيشا قويا بكل معنى الكلمة!؟

(٢٣)

وهرع إلى البوديجا مساء اليوم التالي ممتلئ الرأس بأخبار الصحف المطمئنة والمشجعة.
 وتقاربت رءوسهم حول مائدة على الطوار في جو بديع حقا. تلاصقت أنفسهم بفعل قوة حارة

عميقة يورقها الشعور بالخطر والأمل. وجعل إبراهيم خيرت يشب بقامته القصيرة وهو يتساءل

في انفعالك

أتحسبون أن إسرائيل تقدم على هذه الخطوة وحدها؟

وتبادلوا نظرات غريبة نطقت فيها بواطنهم كأنما تذهلهم سكرة، فعاد إبراهيم خيرت

يقول:

وراء إسرائيل تلبد فرنسا وإنجلترا وأمريكا!

وتساءل عيسى في جزع كيف يحدد موقفه وسط هذه العواصف من الأفكار والعواطف؟!

وقال سمير عبد الباقي:

يبدو أن جيشنا سيقضى عليها قبل أن يعلن حلفاؤها عن أنفسهم..

ندت ضحكات ساخرة وكان المساء يهبط بالهدوء والخفاء وأخفض إبراهيم خيرت من

صوته وهو يقول:

الآن وضع الأمر في النهاية!

وتشربت قلوبهم المعنى المقصود بفرحة عصبية لم تخل عند البعض من شعور بالإثم.

ورفع عباس صديق فاه عن التارجيلة وقال وعيناه الجاحظتان تلمعان بشدة:

هم أيضا وراءهم من يسندهم!

فقال إبراهيم خيرات بازدرء:

لا يوجد مجنون يفكر جادا في إشعال حرب عالمية من أجل نقطة لا تكاد ترى فوق خريطة العالم.

وجد عيسى في مشاعرهم تعبيرا سافرا عن جانب من نفسه فقرر أن ينطق الجانب الآخر، فقال:

أتودون حقا أن يهزمننا اليهود؟

فقال إبراهيم خيرت:

سوف تكحون هزيمة سطحية تخلصنا من جيش الاحتلال الجديد ثم تجبر إسرائيل على التراجع وربما الاكتفاء بالاستيلاء على سيناء وعقد صلح مع العرب، ثم تتدخل إنجلترا وفرنسا لتسوية المسائل المتعلقة بالشرق الأوسط وإعادة الحالة في مصر إلى طبيعتها.

فتساءل عيسى:

ألا يعنى هذا الرجوع إلى النفوذ الغربي؟!

هو على أي حال خير مما نحن فيه..

وقال عيسى وكأنما يخاطب نفسه:

أي مصيدة وقعنا فيها! إنه التخبط والتمزق والعذاب، إما أن نخون الوطن أو نخون أنفسنا، ولكن الهزيمة في هذه المعركة تعنى بالنسبة لي شيئا هو أفضح من الموت..

فقال عباس صديق:

أنت رومانتيكي جدا.

وقال إبراهيم خيرت:

علام تحزن؟ لم يبق ما نحزن عليه. وفي نظر الميت تعد أي حياة خيرا من الموت..

فقال عيسى:

أحيانا أقول لنفسي إن الموت أهون من الرجوع إلى الوراء، وأحيا أقول لنفسي لئن نبقى

بلا دور في بلد له دور خير من أن يكون لنا دور في بلد لا دور له..

فقال إبراهيم خيرت باسمًا:

إنك باعتبارك منقسم الشخصية، ونحن لا يهمنا رأى القسم المتكلم وحسبنا رأى القسم

الصامت:

وضحكوا عاليا والليل يجثم. ثم التفت إبراهيم خيرت إلى سمير عبد الباقي بنظرة تحته

على الخروج من صمته فقال:

أود أن يعيش كل مواطن متمتعا بالكرامة البشرية.

فقال إبراهيم خيرت:

إذن فأنت من رأينا؟

فقال باختصار:

كلمتي تحمل معنى أعمق!

إذن فأنت تعارض رأينا؟

فعاد يقول:

كلمتي تحمل معنى أعمق!

وغاص عيسى في نفسه القلقة. يجب أن ينصره شطره المتكل على شطره الصامت، وأن يحترق المهاجمين بلا حياء إغرابا عن احتقاره لشطره الصامت. ماذا أدى بنا إلى هذه الحال المحزنة حقا؟ وألا من سبيل إلى نسيان الهزائم الشخصية؟ إن المرض متفش في الوطن. ودوت صفارة الإنذار كأنها جدار انقض عليهم بغتة. واختفى النور من الدنيا. وشملت الطريق حركة فرار في الظلام. واقترح سمير أن يدخلوا القهوة ولكن الفكرة لم تلق تشجيعا من أحد. وتذكر عيسى زوجته في وحدتها بالدقي مع أم شبلي فأشفق عليها. وإذا بأصوات انفجارات بعيدة تتابعبت بغزارة فبعثت الرعب في نفوسهم. وفي لحظة قصيرة أسرعوا إلى ركنهم الشتوي داخل المقهى. ثم توالي الضرب البعيد في نظام مخيف. واختلطت التخمينات عن الأماكن التي نهال عليها، شبرا؟ مبر الجديدة؟ حلوان؟

من أين للمهود بهذه القوة؟

وأين طياراتنا؟!

ولم يتوقف الضرب مما قطع بقيام غارة حقيقة لعل البلاد لم تشهد مثلها طيلة أيام الحرب العالمية فاضطربت الأعصاب أيما اضطراب. وجاء رجل من الخارج مهرولا وهو يقول بصوت سمعته القهوة المظلمة:

طائرات بريطانية التي تقذف بالقنابل!

ففتفت عشرات الحناجر:

غير معقول!

فأكد الخبر قائلاً:

سمعت هذا من محطة الشرق الأدنى.

وانفجرت التعليقات في شبه هلوسة. ثم سكت الضرب. ومضت دقائق توقع في صمت ورهبة. ثم انطلقت صفارة الأمان واستردوا أنفسهم من قبضة التوتر وتبادلوا في الضوء العائد نظرات ذابلة كأنها ترى بعد نعاس طويل وفاضلوا بين البقاء والذهاب ولكن صفارة لا إنذار لم تمهلهم طويلاً فعادت تعوى من جديد. وما لبثت الانفجارات أن تتابعت حتى همس إبراهيم خيرت:

الظاهر أن النهاية أقرب مما نتصور.

فهمس سمير عبد الباقي:

اد الله ألا نكون ضمن النهاية؟

وبعد ساعة من العذاب انطلقت صفارة الأمان فسرعان ما غادروا القهوة. واستقلوا سيارة إبراهيم خيرت. وما كادت السيارة تصل إلى جسر أب العلاء حتى دوت صفارة الإنذار الثالثة فتوقفت السيارة قرب الطوار. ولم يكن هنالك مخابئ فقد فضلوا البقاء في السيارة. وقال إبراهيم خيرت وهو يضحك ضحكة عصبية:

يجب أن نعيش إذ إن أسعار حياتنا أخذت في الصعود!

وبعد حوالي الساعة انطلقت صفارة الأمان فأسرعت الفورد بهم عبر الجسر، ثم عبرت جسر الزمالك مائلة إلى شارع النيل، وعند أوله دوت صفارة الإنذار الرابعة فوقفت السيارة لصق أرض فضاء وتوالى الضرب بشدة، وقال عيسى ليطمئن نفسه: \العلمهم يضربون الأهداف!
فقال سمير في إشفاق:

وربما جاء دور الضرب الأعمى!

فقال عباس صديق بصوت كأنما قد أصيب بشظية:

إن ضرب المدنيين مسئولية خطيرة قيل العالم!

فقال إبراهيم خيرت:

جميل جداً أن نطمئن أنفسنا!

ودوت صفارة الأمان بعد نصف ساعة فانطلقت السيارة بأقصى سرعة لعلها توصلهم

قبل أن تدركهم الصفارة التالية..

(٢٤)

سما القاهرة معبر للطيارات ليل نهار. وأعجب شيء أن الحياة اليومية واصلت مألوفها في البيت والديوان والدكان والسوق بالرغم ممن أن أزيز الطيارات لا ينقطع، ولا تسكت الانفجارات. ورددت الخواطر أن القنابل لا تسقط جزافا ولكن همسات كثيرة جرت بأبناء الضحايا. ولم يغير الناس من سلوكهم المألوف ولكن الموت أطل عليهم من نافذة قريبة وتطابرت نذره إلى آذانهم فاقتحم الأفكار والقلوب. وانقلبت القاهرة إلى معسكر واخرقت شوارعها قوافل من العربات المصفحة واللوريات فغرقت الحياة العادية في بحر من الظنون والهواجس.

وانقلبت عنايات هانم لتعيش مع ابنتها في الدقي حتى تستقر الأمور. وفي الليل بدت الدنيا كما كانت تبدو قبل التاريخ، فانكمشوا في البيت حول الراديو، يستمدون الري لجفاف حلوقهم من أصوات المذيعين والأناشيد الوطنية.

وباتت الانفجارات والمدافع المضادة كنداء باعة حتى زاع بصر الام العجوز وهبت لون عينها، وقبضت راحتها على المسبحة كأنها مانعة صواعق. ولم تكن قدرية دون أمها تهافتان ولم تنفعها بدانتها، أما عينها الناعستان فقد تولى عنهما جلال الخمول. ومناقشات هيئة الأمم ومجلس الأمن تنفذ من الراديو كالهواء للمختنق. وأساطير بورسعيد تتلى والقلوب تتوجع. وفي حال من أحوال الذعر تساءلت قدرية:

هل نحن كفاء للإنجليز والفرنسيين؟

فأجاب عيسى بوجوم:

بور سعيد تقوم والعالم ثائر!

هم يتكلمون ونحن نضرب!

نعم، وما العمل؟

فهتفت برفزة:

لكن لا بد أنه يوجد حل، أي حل، وإلا تحطمت أعصابي..

وأعصابه أيضا على أبواب التف. الحزن والظلام والسجن. والهمة الظلام بالاندفاع نحو أمل النصر. أشياء كثيرة ذابت في الظلمة فنسي الماضي والمستقبل وتركز في نشدان النصر. ولعل تعذر مغادرة البيت ليلا أتاح له فرصة أكبر لتأمل الموقف وللتشبع بالخطر، والحنين للنصر، وإسكات شطره الخفي، فتحرك في أعماقه نبع للحماس أوشك أن يدفعه إلى تضحية. وعند تسكعه نهارا قرأ في مئات الوجوه مشاعر كالتى تشده إلى الحياة رغم الغبار والفناء وشائعات الأنانية. أمسى كالفريق لا يفكر إلا في النجاة، وخيل إليه أن الحاجز القائم بينه وبين الثورة يذوب بسرعة لم تخطر ببال من قبل.

وزاره إبراهيم خيرت عصر يوم في طريقه إلى مكتبه في المدينة. بدأ شديد الثقة بنفسه

جادا، وقال:

إن هي إلا ساعات ثم تنتهي المأساة!

فحدجه بنظرة ذاهلة من عينيه المستديرتين فقال الآخر مقطباً بدافع منن إحساس

بالسيادة:

بعض رجالنا يقابلون المسئولين في هذه اللحظة ليقنعوهم بالتسليم لإنقاذ ما يمكن

إنقاذه!

خيل إليه أنه يرى موكب المندوب السامي كما كان يراه في الماضي، وتساءل:

ماذا سيبقى لممكن إنفاذه؟

لا تغال في التشاؤم.

ثم استدرك حانقا:

أتعس الناس الذي يستوي لديهم الموت والحياة..

فقال عيسى في غم:

كأشباح الكابوس..

فقال إبراهيم خبرت بحدة:

نحن في حال تهون معها الهزيمة..

سنتعب كثيرا إذا حاولنا إحصاء متاعب البشر، وإني لأتساءل هل الحياة صالحة حقا

للبشر؟

فهز إبراهيم خيرت منكبیه في استهانة فعاد الآخر يقول:

ربما كان التعلق بالحياة رغم آلامها نوعا من الحماسة، ولكن ما دمنا أحياء فيجب أن نحارب كافة السخافات بلا توان..

فسأهل إبراهيم خيرت:

خبرني هل تغيرت حقا؟

فلم يجب بحرف، ودلت تقلصات وجهه على منتهى القرف.

ولكن بارتفاع الأزمة إلى ذروتها اندفعت إلى دوامتها عوامل جديدة. العالم أصدر قراره، وتوالت الإنذارات، وأجبر عدو على ازدراد كبريائه والإذعان لواقع لا قبل له به، وانفجرت فرحة أقوى من أي قنبلة.

ورجعت إلى ركن البوديجا الحياة فاجتمع الصحاب. ابتسامة باهتة ونظرة خاملة عمياء لا ترى مستقبلا. وقال إبراهيم خيرت متهمًا:

ثمّة أمل في أن يزيد وزننا كالمحكوم عليهم بالإعدام!

ولوح عباس صديق بخرطوم النارجيلة قائلا:

هذا حظ أندر مليون مرة من ربح الصفر في الروليت..

وحق سميير عبد الباقي لم تخل عينه الخضراء من خيبة في أعماقها. الأعجب من ذلك أن عيسى نفسه-بعد أن ابتل ريقه بالنصر- فسرعان ما تهاوى في فتور عميق كل من رماد. انقلب فكره إلى ذاته، وغاص مرة أخرى في الظلمات..

(٢٥)

وكل إنسان عمل وهو بلا عمل. ولكل زوج ذرية وهو بلا ذرية.. وكل مواطن مستقر وهو منفي في وطنه. وماذا بعد الدورات الهروبية المعادة؟، تسكع في الصباح ما بين قهوة وقهوة، ومجلس البوديجا مساء المركز في الاجترار وزيارات مملدة في محيط الأسرة، ماذا بعد الدورات الهروبية المعادة؟! ويعاني ألما قاسية، ووحشة وملا، ويتساءل في جزع إلام تمتد هذه الحياة الكئيبة؟! ها هو جالس يتشمس وراء زجاج النافذة في جو قارص البرودة بلا عمل وبلا أمل. وها هي قدرية عاكفة على قطعة من الكانفاه، لم تعد تبديد له وحشة، ويشعر مشعث وقسمات منتفخة أعلنت عن إهمال مألوف، وقد ازدادت شحما ولحما، ونطق وجهها الطبيعي بتنظره الحاسم لرواء الشباب.

واسترد نظرات الأسى من وجهها ليتصفح الجرائد ويقرأ العناوين. إذا لم يعد يهتم بالاطلاع على الأخبار، ثم استسلم لحديث النفس. وما أكثر ما حدث نفسه في الأعوام الأخيرة. ليست قدرية بالزوجة المطلوبة، وستظل حسرته على سلوى حية في القلب رغم موت حيا، ولولا الخمر ما طاق الاستسلام إلى ذراعي قدرية ولولا اليأس ما احتمل التعريضات التي تطوقه بسبب ثروتها،

وهو نفسه يتألم كثيرا كلما تذكر أنها تنفق مالها على بيتها وأنه لا ينفق مليما من معاشه إلا على نفسه، وحتى رصيده لم تنتفع به حياته الزوجية شيئا، فماذا تعنى هذه البلطجة؟!

ويوما أثبتت له أنها تفكر فيما وراء المائدة والكانفاه، قالت:

عيسى، أنت تشرد كثيرا وتلوح في وجهك الكآبة أحيانا، وأنا أتألم لذلك جدا.

فأبدى أسفه لتألمها وقال: أنا بخير فلا تهتمى لذلك.

ولكن هناك أسبابا تسيء إلى الرجل؟

مثال ذلك؟

أن يكون بلا عمل وهو قادر عليه.

فاتسم وهو متضايق جدا وقال:

لعله يضايقك أن تجدى زوجك عاطلا!

فقالت بتوكيد:

أنا لا يهمنى إلا أثر ذلك عليك أنت.

وماذا تقترحين أن أعمل؟

أنت أدري يا عزيزي.

فقال ببساطة:

لا توجد وظيفة خالية.

وضحا بلا روح ألبته ولكنها عادت تقول برجاء:

فكر في ذلك جديا، أرجوك..

وقال لنفسه إنها على حق، وان رأسها البليد لا يخلو أحيانا من فكرة صائبة، وهو نفسه

يؤمن بضرورة العمل ولكن ما بال همته خائرة؟

هل أصاب إرادته مرض؟ لم لا يفتح مكتباً أو حتى يشارك في مكتب؟!

كان يفكر في العمل ولكنه يعيش بلا عمل وبلا إقدام جدي على الخطوة المطلوبة. وكان

على درجة من الطمأنينة برصيده ثم زاد من طمأنينته زواجه الدسم، وفضلا عن ذلك فإن

معاشه يتكفل بنثرات حياته اليومية فأذعن للكسل والكبرياء، وتعزز نفوره الأبدى من أن يبدأ

من أول أخط. وجرى وراء التسلية بأي سبيل سواء في البيت أو الخارج في رأس البر أو الإسكندرية

ولم ينتبه باهتمام إلى مرور الأيام.

وقال له سيمير عبد الباقي:

وزنك يزيد باستمرار فانتهه لنفسك.

حقا إنه يكثر ممن الطعام والحلوى منه بصفة خاصة ولا تخلوا وجبة به من كأس أو

كأسين، وقال:

أعلم ذلك، وسيقول الناس إن زوجتي تلعفني بسخاء..

فقال سمير بحياء:

لم أفكر إلا في صحتك..

نعم، ولكني أقرأ أحيانا في أعين كثيرين.

فقال سمير مقطبا:

أنت وحدك المسئول عن ذلك بكسلك، وإني أتساءل في دهشه أين عيسى زمان الذي كان يغادر الوزارة بعد منتصف الليل من كل يوم تقريبا، فضلا عن نشاطه المأثور في الحزب والنادي؟

وأعلن المعلن يوما عن غزو الفضاء وافتتاح عصر جديد. استيقظ من سباته ودب الاهتمام في روحه الخاملة. وعاد يقرأ الجريدة بشغف ويستمع إلى الراديو ببقطة. ووجد ركن البوديجا حديثا غير حديث الحسرات السياسية ومضغ الشائعات:

وعلق عباس صديق على ذلك قائلا:

ما أجمل أن تظالعا الصحف كل صباح بإثارة كهذه!

وقال إبراهيم خيرت بحقد:

هذا بشير بأقول نجم الساسة فليزلوا نجم الساسة فليزلوا عن مكانتهم للعلماء وليذهبوا في داهية.

وقال سمير عبد الباقي:

أن لنا أن ننظر برجاء من جديد إلى السماء!

ورفع عيسى رأسه إلى سقف الحجره كأنه يتطلع إلى السماء، وتخيل الكواكب او النجوم
برغبة طفل في الهرب الخيالي الساحر، ثم تمتم:

ما أجمل أن نهجر الأرض إلى الأبد.

ثم شاكيا:

الأرض أمست مملة لدرجة المرض!

وتساءل ألا يمكن أن يؤكد انتسابه إلى الإنسان ويتناسى انتسابه الجبري إلى هذا الوطن؟!

(٢٦)

وجمعهم الصيف على غير عادة في رأس البر حتى عباس صديق مدمن الإسكندرية. وأعد
إبراهيم خيرت في عشته غرفة للقمار والشراب كانوا يرجعون إليها بعد الرياضة المألوفة على
شاطئ النيل. ثم انضم إليهم الشيخ عبد التواب السلهوبي الذي تصادف وجوده بالمصيف.
وانزلت رجل عيسى إلى بوكر بسهولة جدا، وبسبب القمار وما يدفع إليه من سهر حتى الفجر
نشب أول خلاف جدي بينه وبين قدرية. ووجدها عند الخلاف عنيدة كالبلغل وكنه لم يبالها وأصل
على سلوكه باستهتار. وعندما اتخذ مجلسه على المائدة سأله إبراهيم خيرت وهو يماله كأسه
من الكونياك:

كيف حال الشئون الداخلية؟

فأجاب باقتضاب:

قطران!

فقال عباس صديق:

زوجاتنا أكثر تسامحا من قدرية هانم فالرقبة يجب أن تتوقف بعض الشيء في منفي

جميل كراس البر..

ونظر عيسى في ورقه فبهره منظر زوج الآس فدخل الدور بقلب قوى، ثم واتاه الحظ بزواج

ثمانية فريح ستين قرشا حتى قال الشيخ عبد التواب السلهوبي باسماء:

واظب على الريح تتحسن شئونك الداخلية!

ولكن عباس صديق تداركه قائلا:

حرمه لا مهمها المال...

ومع أن الملاحظة بدرت تلقائية إلا أن عيسى تألم لها كثيرا وبخاصة وأنه كان بصفة عامة

مسيء الحظ على المائدة حتى اضطر إلى سحب مائة جنيه من فرع البنك لتعوض خسارته

وسأل إبراهيم الشيخ السلهوبي عن عبد الحليم بابا شكري فأجاب:

سافر إلى الخارج في الوقت المناسب وبالقدر المناسب، ولن يعود طبعاً.

فقال سمير عبد الباقي:

الخارج ليس أفضل من الداخل وما أبه صفحة السياسة الخارجية بصفحة الوفيات!

فقال عباس صديق:

إذن فالعالم مهتد بالفناء حقا..

فقال عيسى وهو يوزع الورق:

هو مهتد بالفناء سواء بالحرب أو بالسلم!

فقال الشيخ السلهوبي ضاحكا

أنت لا تتفلسف غلا عندما تتدهور روحك إلى الحضيض فلعل طوفان حظك أن

ينحسر..

فلما خسر عيسى الدور رغم حوزة ثلاث عشرات قال للشيخ متغيظا:

كلمة منك تنحس بلدا..

كلام فارغ، ها أنا ألاحق العهد الحاضر بكلماتي المباركة منذ مولده فماذا حصل له؟

وانهمك في اللعب بمجامع روحه. واستمتع بالحرارة والحماس والأمل والاندماج في حيوية

قاترة. ونسى كل شيء حتى التاريخ نفسه ونحسه، وعائش اللذة في جنونها، وتجمع على المائدة

مبلغ لا يقل عن سبع جنميات. وتعلق أمله بفردة أس. وسحب ورقة فإذا الأس يضحك بين يديه

بوجهه الأحمر. فول أس. ولكن إبراهيم خيرت رمى بكاريه كالصاعقة. وسرت تقلصات عدة في

جهازه العصبي. كيوم أعلن حل الأحزاب. وتساءل ماذا تصنع زوجة في هذه اللحظة؟ هل يدور

الكلام بينها وبين أمها؟ لعل العجوز تقول لها رضيينا بالهم والهم لا يرضى بنا. وستقول أيضا عاقل ومرفوت لسوء السمعة ولا يحمد ربنا. الويل لها إذا تحدثه، امرأة مزوجة وعافر. بحكم الطبيعة

هي عافر وبحكم السن. أنسيت أنك تكبريني بعشرة أعوام على الأقل!

وانتبه من غيبوبته إلى حديث يستطرد فيه السلوهي قائلا:

لذلك فنحن في عصر مبادئ كالحال أيام الصراع بين الديانات الكبرى!

فتساءل سمير عبد الباقي:

والأمم الصغيرة أي أمل لها في الحياة إن لم تختلف الأمم الكبرى؟

فقال شيخ بيقين:

الذرة هي الطوفان، فيما توجه حقيقي لله ذي الجلال وإما الهالك الميّن!

وحاول عيسى أن يتذكر متى ارتطم بهذه الفكرة، فكرة الطوفان من قبل؟ ثم أهمل

التذكر حين وجد بين يديه كاريه عشرات! توثب لتعوض خسارة الليل الطويل. وفتح بخمسة

وعشرين قرشا ليجرهم إلى الاشتراك في الدور. ولكنهم انسحبوا تباعا لعقم الورق بين أيديهم.

ودار رأسه. ثم كشف عن الكاريه السعيد.

وصاح إبراهيم خيرت:

حظك في الريح أسوأ منه في الخسارة!

وقال الشيخ السلهوبي:

أنت سعيد في الحب بلا شك..

وأوشك أن يثور. وقال لنفسه إن القمار يتحول في النهاية إلى حصى مميتة. وبدأ يعمل حساباً للأزمة التي تترىص له في البيت. وكف الجميع عن اللعب والفجر يقترب.

وتساءل عباس صديق وهو ينهض قائماً:

ما طعم رأس البر بلا قمار؟

وخرج عيسى إلى الطريق كشمعة لم يبق منها إلا عقب فتيلة. وسار عباس صديق وسمير عبد الباقي في طريق ومضى هو بصحبة الشيخ عبد التواب في طريق آخر. وهب هواء مشبع بالطل في صمت خاشع.. وترددت أنفاس النوم السعيد في ظلمة لا ضوء فيها إلا ضوء النجوم وهلال آخر الشهر الصاعد. ومن بعيد رجع الأفق هدير البحر.

وتأوه الشيخ عبد التواب متثابراً وهو يهتف "الله" ثم غمغم:

ما أجمل هذه الساعة!

فضحك عيسى قائلاً:

وخاصة للرايحين!

فضحك الشيخ قائلاً:

لقد خرجت من السهرة لا على ولا لي، عباس صديق هو نار الله الموقدة..

ثم بعد هنيهة صمت:

أنتت مقامر خطير يا عيسى!

فقال بنبرة ذات معنى:

لقد خسرتنا رغم الكاربه الذي كان في يدنا..

وأدرك ما يعنيه فقال بحزن:

هذا هو حال الدنيا، هل نستحق ما حاق بنا، فلنسلم بأن لنا أخطاءنا ولكن من يخلو من الأخطاء؟ وكيف نسينا هذا العشب المارق، كيف نسي الذين عاملوه معامله الأم الرؤوم لابنها الوحيد؟

وفاض الحزن بعيسى، وسلست إرادة كبريائه فاستجابت نفسه لرغبة طارئة في الاعتراف فقال:

كنا حزب المثل الأعلى، حزب التضحية والفداء، حزب النزاهة المطلقة، حزب "كلا ثم كلا" أما كافة المغريات والتهديدات، كنا كذلك حتى قبيل ١٩٣٦، فكيف أدركت روحنا الظاهرة الشيخوخة؟، كيف تدهورنا رويدا رويدا حتى فقدنا جميل مزايانا؟ وما نحن نقلب أيدينا في الظلام يملئنا الشجن والشعور بالإثم، فوا حسرتاه..!

فقال الشيخ بإصرار:

كنا خير الجميع حتى آخر لحظة.

فقال بقسوة موجهة في الحقيقة إلى ذاته:

هذا حكم نسبي لا ترتضيه طبائع الأشياء، ولا تقتنع به الأمم المتوثبة للحياة،

فواحسرتاه!

وودعه عن منعطف، وجعل ينظر إليه وهو يسير متمهلاً والهواء ينفخ في جبهته الفضفاضة. وقال لنفسه بحزن: بدأ حياته بالاعتقال في طنطا، قبض عليه الجنود الأستراليون وهو يهتف: "يحيا الوطن. يحيا سعد" ثم انتهى عام ١٩٤٢ بالانتجار في الوظائف الخالية، كما انتهت أنا بالرصيد رقم ٣٣١٢٣ ببنك مصر.

وأجال بصره في الكون، الهلال الصاعد في أبهى رواء والنجوم المتألقة واللانهاية المسيطرة على كل شيء، ثم تساءل بصوت مسموع "خبزني يا سيدي ما معنى هذا كله؟ خبزني فقد احتار دليلي!".

وضغط على جرس الباب فرن بقوة في صمت الليل، وانتظر ملياً ثم أعاد الكرة. وانتظر ثم أعاد. وضغط على الجرس بإصرار مستمر ودون توقف ولا مجيب.

وقال بخنق إنها قررت ألا تفتح له الباب!

وضرب الأرض بقدمه ثم ولى الباب ظهره وذهب.

(٢٧)

بات ليلته عند إبراهيم خيرت، ثم استأجر في اليوم التالي حجرة بفندق جراند أوتيل على النيل. وعقب أسبوع اضطر إلى سحب مائة جنيهه أخرى لتغطية خسائره المتتابعة ولمواجهة تكاليف الحياة اليومية. وذهب زوجة إبراهيم خيرت بإيعاز من زوجها لزيارة قدرية للاعتذار لها عن الدور غير المقصود الذي لعبه إبراهيم في نزاعها مع زوجها، ثم حاولت الإصلاح ولكنها لم تلق استجابة. وتمادى عيسى في القمار بلا أدنى تقدير للعواق. وقاطع سمير السهرة تقززا من حال تدهور التي آل إليها صاحبه، وقال له سمير يوما:

يجب أن تعبد النظر في موقفك كله..

كانا يجلسان في كازينو سيرانو أمام البحر عند الظهر، وهو الوقت الذي يستيقظ فيه عادة. وكان عيسى يتابع بعينه المستديرتين جموع السابحات. وأهمل التعليق على صاحبه مستسلما للذة المتابعة ولما كرر الآخر قوله قال عيسى بنبرة اشتياق:

كم أود أن أمارس تجربة لم تتح لي في وقتها وهي أن أغازل فتاة جميلة وأتعرف بها ثم أخطبها وفي أثناء ذلك نتبادل الهدايا والمكالمات التليفونية والمواعيد..

فسأله سمير:

أتريد حقا أن تتزوج مرة أخرى؟

فنظر إلى سحابة تسير ببطء راسمة صورة جمل ثم تسأل:

انظر إلى هذه السحاة وخبرني أمن الجائز أن تكون حياتنا قد خلقت كما خلقت هذه

الصورة؟

فابتسم سمير قائلاً:

حتى هذه الصورة الزائلة حتمية ونتيجة لمئات من عوامل الجور والطبيعة، ولكن خبرني

أتريد أن تتزوج؟

فضحك عيسى وأكمل الاسباتس وهو يقول:

خاطرة حلم ليس إلا، ما بال المتصوفين يصدقون كل شيء؟

فقال سمير بضجر:

إذن لتتحدث عن موقفك.

فقال بنبرة الروح نفسها:

تصور أنني قابلت وأنا قادم من الفندق سامي باشا عبد الرحمن الحر الدستوري

القديم، أنا شخصياً شعرت نحوه بعطف ما لا نتسابه معي إلى الجيل الزائل، وتصافحنا ووقفنا

نتكلم، ومن عجب أن قال لي في ختام حديث "لولا سعد زغلول ما وصلنا إلى هذه الحال!".

وضحك سمير بقوة لفتت إليهما عشرات الأعين حولهما. وإذا بعيسى يقول بنبرة جديدة:

أكبر خازوق شربته هو مؤخر الصداق، العجوز الداهية بعيدة النظر!

فقال سمير بأسف:

قدرية هانم ست معقولة جدا يا عيسى، أنت في حالة فمار جنونية. فنفخ عيسى بضيق

متمتما:

الملل أبارك الله!

فربت سمير على يده قائلاً:

العمل.. العمل، نصيحتي الأولى والأخيرة لك..

وفي أول السهرة الليلية وعيسى منهك في اللعب جاءه سمير يجعلوه للقيام معه لأمر هام عاجل. وأراد عيسى أن يتجاهل الدعوة ويستمر في اللعب ولكن سمير انتزعه من المائدة رغم احتجاجه الصاخب، والاحتجاج الصامت المصدق به.

وفي عشة سمير وجد نفسه أمام إحسان زوجة سمير وقدرية زوجته التي جلست على مقعد كبير خافضة الرأس. ورحبت به إحسان وأجلسته إلى جانبها على كنبه طويلة شبه مستديرة كثيرة الزخارف وهي تقول:

نحن نشكر لك تفضلك بالحضور.

ثم وهي تشير إلى قدرية ضاحكة:

أقدم لك قدرية هانم، صديقة عزيزة وحررم رجل عظيم من المفقودين في الحرب!

تجهم وجه عيسى، واحمر وجه قدرية وابتلت رموش عينها، ولما لاحظ سمير ذلك قال:

علامة طبية تبشر بالخير ، ما قولك؟

ولم تكف الألسنة عن الكلام لحظة واحدة وقالت إحسان:

لكل مشكلة حل بلا جدال..

وخاطب سمير قدرية وهو يبتسم:

الأمر تعالج برفق، زوجك رجل عنيد، وقد تعرض فيما مضى لألوان من الإرهاب

والتعذيب ولكنه لم يتحول عن رأي.

تساءلت قدرية:

هل ترضيكم هذه الحال؟ تكلموا

وقدمت صينية فضية بقالب الكاساتا وפטائر بلدية من السوق فكانت هدنة استمتعوا

فيها بأكلة ظريفة.

وقال سمير:

الحق أن جميع البشر في حاجة إلى جرعات من التصوف، وبغير ذلك لا نصفو الحياة.

فقال عيسى:

نحن في حاجة إلى أن نعود للحياة مرارا حتى نتقنها..

فقال قدرية وكانت مخاطبه لأول مرة:

أرجو ألا تؤجل حسن معاملتك لي إلى حياة أخرى.

فقال سمير وهو يمسح بطرف منديل مبلل بالماء نقطة من الفراولة الذائبة سقطت على

ثنية بنظونه عند الركبة:

لنتكلم عن المستقبل، أرجوكم.

فقالت قدرية:

أنا مؤمنة بأنه لن ينقذه شيء من متاعبه سوى العمل، وفي سبيل ذلك أنا مستعدة لأي

تضحية!

فقال سمير:

أوافقك كل الموافقة، ولكن حتى ينفذ هذه الفكرة الوجيهة يجب أن يتعد عن رأس البر،

حسبكما منها شهر أغسطس فاذهبوا إلى الإسكندرية لإتمام التصنيف هناك، هذا ضروري جدا

وعاجل.

فقالت قدرية:

سنسافر غدا إذا وافق على ذلك..

وقال سمير وهو يوصلهما إلى باب العشة الخارجي:

وسوف تجد في الإسكندرية متسعا للتفكري، ولدى عودتك إلى القاهرة في أكتوبر تبدأ

العمل فوراً..

سارا جنباً إلى جنب في طريق شبه خال ونصف القمر مرشوق فرق الأفق كابتسامة كونية
في سماء صافية. وخطر له خاطر وهو أن هذا الجمال المنتشر في نظامه البديع ما هو إلا قوة
مجهولة ساخرة تجبر الإنسان على الشعور بحدّة تعاسته وفوضاها.

وغمغت قدريّة:

اكتشفت أن عندي ضغط دم، وأنت السبب!

حقاً؟!!

نعم، كشف على دكتور وكتب لي دواء ورجيماً وسترى ذلك بنفسك!

وربت على ظهرها قاتلاً برقة بالغة:

لتشفيين سريعاً ياذن الله..

وشعر بأنه لا يتقدم خطوة في طريق السعادة..

زواج بلا حب، حياة بلا أمل، ومهما وفق إلى عمل فسيظل بلا عمل.

(٢٨)

سافر إلى الإسكندرية وحدهما، وبقيت الأم في رأس البر. وأقاما أياماً في فندق اللوفر حتى
عثر عيسى على شقة في سيدي جابر بالدور السابع من عمارة مطلة على البحر، وكان المصيف
على وشك الوداع، حف به صخب الشباب، واستقبلت السماء أسراب السحائب البيضاء، وتهياً
الجو للمهدوء والتأمل. وقدريّة بدت سعيدة حقاً رغم توقعها، وواظبت على العلاج والرجيم على

ولعها المأثور بالطعام وقالت إذا كان ذلك سيخفف من وزنها فيها ونعمت. وتحمس عيسى للمشي وتجنب الدهون ما أمكن ليسترد رشاقته، واتفق الرأي بينهما على أن يشرع في العمل حال عودته إلى القاهرة. وقد استقر الرأي على فتح مكتب وإن لم يبد ارتياحه لذلك. قال:

شد ما أتمنى حياة أخرى..

فحملت بعينها البقيرتين في وجهه متسائلة فبادر يقول:

لا تقلقي، هذا مجرد حلم، أود أن أعيش في الريف بعدا عن القاهرة فلا أراها في المناسبات، وأن أفضى نهاري في عملي بالحقل وليلي في شرفة مطلقة على الفضاء والصمت.

فقال بقلق:

ولكن لا علاقة لنا بالريف..

إنه مجرد حلم.

ومرت الأيام في ضجر، ولم يجن من الشواطئ شبه الخالية إلا الوحشة وبخاصة وأن قدرته أثرت البقاء في البيت أكثر الوقت بسبب صحتها. وكان يمشي حتى تكل قدماه ويجلس إذا جلس في فردوس جليم تعلقا بالذكريات.

وقال لنفسه إن عصره قد انتهى وأنه لن يندمج في الحياة مرة أخرى بنفس الحال التي كان عليها من قبل، وأنه يرتبط بامرأة ليسرقها لا ليحبها. وتساءل متى يندثر العالم؟ وتساءل أيضا ألا توجد أفكارا من نوع آخر تفتح للصدر الحياة.

ووجد أمامه رجلا من قراء الكف في زي هندي، يحدق في وجهه بعينين براقيتين وهو بمجلسه التقليدي بالفردوس. وبسط للرجل كفه فسحب هذا مقعدا وجلس أمامه وعكف في الحال على قراءة خطوط راحته، وراح ينتظر صوت الغيب في استسلام باسم، وارتفع صوت الرجل قائلا:

عمرك طويل وستنجو من مرض خطير.

ثم بعد تأمل:

وستتزوج مرتين وتنجب ذرية..

فانتبه باهتمام فاستطرد الرجل قائلا:

وفي حياتك تقلبات كثيرة ولكن لا خوف عليك لفضل إرادتك الحديدية، ولكنك ستعرض لخطر الغرق في البحر!

البحر؟!

هكذا يقول الكف، وأنت رجل طموح بلا هواة وستجد دائما رزقك موفورا ولكن عصبيتك تفسد عليك صفو حياتك في كثير من الأحيان..

وقام الرجل وهو يحيي له رأسه تحية. وعندما هم بالابتعاد سأله بلا وعي:

وما المخرج؟

فالتفت إليه الرجل متسائلا فاستسخر عيسى نفسه ولوح له بيده شاكرا.

وعند المساء مضى يتمشى على الكورنيش حتى بلغ كامب شيزار. وعند سلسلة من المقاهي والدكاكين ملتصقة بطول الطوار في مهرجان من الأنوار وقعت عيناه على وجه ريري! توقف عن السير على الكورنيش وهو يحده بصره بانتباه الخائف فتوكد لديه أنها ريري دون غيرها. جلست على كرسي المديرية أو المالكة وراء صندوق الماركات بمحل صغير لبيع الدندرمة وشطائر الفول والطعمية، وأسند ظهره إلى سور الكورنيش في موضع بعيد عن الضوء وراح بمعن النظر في وجهها بدهشة وهو لا يخلوا من ضيق لذكرى سلوكه معها الذي دهمه بقسوة ونبوة عن الذوق. يري.. يري دون غيرها.. ولكنها لم تعد البنت الصغيرة، كلا إنها امرأة بكل معنى الكلمة، وذات شخصية يستشعرها النادل الذي يتحرك باستمرار بالطالبات بينها وبين الزبائن امرأة جادة ومديرة حقا. ومن عجب أن تمشى بهذه الناحية طوال عشرين يوما متتابعة دون أن يلتفت إلى هذا المحل الصغير الذي قرأ اسمه الآن بوضوح "خذ واكثر". وفي المرات القلائل التي صيف فيها في الإسكندرية كان يتذكرها ويخاف فكرة مقابلتها سواء وحده أو مع زوجه وأصدقائه ولكنه لم ير لها أثرا حتى ظنّها قد رحلت عن البلدة أو عن الدنيا جميعا. وكيف تأتي لها أن تجلس هذا المجلس، وهل خمسة أعوام تكفى-بلا حرب عالمية-لبلوغ هذه الدرجة؟ لا شك أن أبلتها في الإبراهيمية تحسدها على هذا التقدم السريع الذي لا تحلم به قريناتها!، وقف في شبه الظلام لا يحول عنها عينيه، وسيتحضر في ذهنه علاقتهما القدمة التي طويت في زوايا النسيان إلى الأبد، ويتعجب من زيف العلاقات البشرية. وقال إننا نجرب الموت=ونحن لا ندري-مرات ومرات في أثناء حياتنا قبل أن يدركنا الموت النهائي. وما أشبه ريري في مجلسها بالمحل بالنادي السعودي

حين يمر أمامه أحيانا أو ببیت الأمة، جميعها حيوات قضى عليها بالموت المبكر ولا يجنى منها إلا الحسرات.

ودخلت المحل امرأة في هيئة الخدم ممسكة بيدها بنتا صغيرة ثم اتجهت إلى ريري تحادثها باهتمام على حين وثبت الصغيرة إلى حجر ريري وراحت تعبت بعقد بطوق عنقها بألفة واطمئنان. وعند ذلك خطر له خاطر دق له قلبه حتى غطى على هدير البحر وراء ظهره. وتصل جسده وتركز في الصغيرة حتى فقد الوعي بما حوله، ولكن لا... لا.. لم تدور أفكاره في هذا المدار؟! أي وهم سخيف ومخيف معا! ووجه الصغيرة متوجه إلى أمها فلم يره. وقال لنفسه قد تمر اللحظة بسلام وسيضحك من نفسه طويلا فيما بعد ولكن قد تنزل الأرض وتخرب كل قائم. إذن فليهرب. لن يعود إلى كامب شيزار. لن يعود إلى الإسكندرية. ولكنه لم يتزحج عن موقفه ذرة واحدة. كيف دهمته هذه الأفكار السخيفة؟!

وتخلصت ريري من البنت فقبلتها وأنزلتها إلى الأرض فتناولت الخادم يده ومضت بها خارج المحل مائلة إلى شارع جانبي يصعد على الداخل. وبدل أن يهرب عبر الطريق نحو الشارع الجانبي وهو يوسع خطاه حتى كاد أن يلحق بالخادم والصغيرة. وارتفع صوت النت كلمات غير مفهومة أو لم يفهم منها سوى كلمة "شيكلوطة" في نبرة كزقزقة العصافير ووقفا أمام دكان لبيع الحولي واللعب عند منعطف الطريق المقاطع فاتخذ مكانه إلى جانبها تحت ضوء ساطع وطلب علبه سجائر وراح يلتهم وجه البنت بغرابة ونهم. ألا يستوي هذه الوجهه على هيئة مثلث؟ والعينان المستديرتان؟ إن ملاح من أمه وأخواته الثلاث يختلطن في صفحته. ويغبن ثم يظهرن. أهو

وهو؟ أهو الخوف؟ أهي الحقيقة؟ إنه يكاد يسقط إعياء! خفق بسرعة باعث موجات من الدهشة والتقرز والرهبه والحزن، والحنان والرغبة في الموت.

ودهبت بها الخادم إلى عمارة قائمة أمام الدكان في جانب الطريق الآخر فظل يتبعهما عينيه حتى اختفتا. ونظر إلى السماء وهو يتنفس بصعوبة ثم تمت "الرحمة.. الرحمة.."

(٢٩)

وجلس في قهوة النسرو وهي المجاورة لمحل ربري متجنباً مجال عينها. وأسرف كثيراً لأنه لم يحدث الخادم ولا الصغيرة ولم يخرج لحظة عن الشلل الذي دهمه. ثم أليست الطفلة لطيفة ونشيطة وخفيفة وسنها متوافق جداً مع ذلك التاريخ المحزن؟ وما عسى أن يفعل الآن؟ لا يجوز أن يؤجل الجواب، ماضيه يزداد مقتاً وما أبغض فكرة الرجوع إلى قدرية. وقد عدل بصفة حاسمة عن التفكير في الهرب. ولقد اعتاد أن يهرب مرات في اليوم الواحد ولكنه لم يهرب أمام هذه الحقيقة الجديدة التي اجتاحت مستنقع حياته الراكدة فتفجر عن ينابيع حارة. لعلها دعوة أخيرة بأئسة إلى حياة ذات معنى. معنى في حياة أعياء أن يجد لها معنى. لن يهرب، وليس في مقدوره أن يهرب وسيواجه الحقيقة بوجه متحد، وبأي ثمن، أجل بأي ثمن، وسيرحب بذلك أيما ترحيب. ولن يعجز قدرية أن تجد لها رجلاً آخر ليعيش في كنفها، حق أنها تستحق العطف ولكن حياته الكاذبة معها لا تستحق عطفاً. عبث أن يواصل حياة كاذبة يجتر فيها أوها ما ماضية ولا مستقبل لها. إن قلبه لا يخفق بحب شيء، وهما هي فرصة سانحة لكن يخفق حتى الموت، والبنت ابنته، وسيعرف اليقين بعد دقائق، ولن يقضى عليها باليتم الذي قضى التاريخ به عليه. وسوف تنفجر

بها في حياته قبله من التعليقات والأقوال والظنون، ويمسي مضغعة في الأفواه، لكنه سيصمد للمحنة، ويتألم، ويكفر، ثم يحيا، وأخيرا سيجد للحياة معنى. وإذا تيسر له أن ينضم إلى أسرته الحقيقية فسبق في الإسكندرية ويستثمر ماله في المحل الصغير ويبدأ حياة جديدة. افترس الخجل والكبرياء والعناد وواجه الحياة بشجاعة.

انتظر حتى فات الليل منتصفه، وخلا الكورنيش أو كاد، وولى الجالسون، وأنس في محل ريري حركة شاملة تنذر بالنهاية فغادر مجلسه إلى الشارع الجانبي الصاعد إلى الداخل ووقف عند المنعطف المواجه للعمارة. وظهر شبح في أول الطريق الصاعدة، ها هي ريري قادمة. وتقدم خطوة إلى ما تحت المصباح لتتجلى معالمه. واقتربت منه ولكنها لم تلق إلى الواقف بالا. لم تعد تعباً بالمتسكعين وهذا حسن جدا. وعندما شرعت في المرور به قال بصوت رقيق متهدج:

ريري!

التفتت نحوه متوقفة عن السير وهي تتساءل:

من؟

اقترب منها خطوة وهي تتفحصه دون أن يبين في وجهها أي انفعال حتى قال في قلق:

أنا عيسى.

تبدو حقا قوية ومحتشمة وجذابة. ولا شك أنها تذكرته فهكذا تقول الدهشة والتقطيب

واختلاج الشفتين والتقرز. وهمت بالسير فاعترض سبيلها فهتفت بغضب:

من أنت؟ وماذا تريد؟

أنا عيسى كما تعلمين!

فقالته بحدّة وهي تعاني شتى الانفعالات:

أنا لا أعرفك..

فقال بحرارة:

بل تعرفيني.. لا داعي للإنكار؟

ثم مستدركا بنفس الحرارة:

لا أمل عندي في قبول أي عذر ولكن لدينا ما نتحدث عنه..

أنا لا أعرفك ودعني أمر..

فقال يائسا:

يجب أن نتحدث، هذا أمر لا بد منه، وأنا أتعس مما تتصورين!

فقالته بغضب:

أذهب.. اختف.. هذا خير ما تفعل.

ولكني أكاد أجن، من الطفلة يا ربي؟!

أي طفلة؟!

الطفلة التي جلست على حجرك منذ ساعات ثم دخلت هذه العمارة مع خادمتها، رأيتك مصادفة، ثم رأيتها. وتبعها حتى دخلت العمارة. أؤكد لك أنني أنعص مما تتصورين..

فقالت بإصرار:

لا أدري شيئاً عما تحدثت عنه. اذهب، فهذا خير ما تفعل.

إني أكاد أجن، يجب أن تتكلمي، هي ابنتي يا ريري. يجذب أن تتكلمي...

فصاحت به في الشارع الصامت:

ابعد عن وجهي، أنت أعشى ومجنون، ويجب أن تختفي..

ولكن قلبي حدثني بكل شيء..

إنه كذاب مثلك، هذا كل ما في الأمر..

لا بد أن تتكلمي، الجنون يعصف برأسي، أنا أعلم مدى نذالتي ولكن يجب أن تتكلمي،

قولي إن البنت هي ابنتي..

ليس عندي ما أقوله لك سوى أن تذهب وأن تختفي..

أنا أعلم أنني أستحق عذا الجحيم، ولكن لدى فرصة لصنع شيء طيب فلا تضيعها علي..

فصاحت به كالزوبعة:

اذهب ولا ترني وجهك..

ريري، أصغى إلي، ألا ترين أنني سأطالبك بالكلام ولو مت موتا..

(٣٠)

رجع إلى مسكنه قبيل الفجر بعد أن هام على وجهه طويلا في الكورنيش ولا ثاني له. لم يسمع هدير البحر ولم ير نجما واحدا. ووجد قدرية ساهرة في انتظاره على غاية من القلق والاستياء. أوشك أن يعترف لها بكل شيء، ولو كان أنس من ريري بادرة تشجيع واحدة لاعترف، لكنه لم ير بدا من أن يقول لها إن مقاومة عادته السيئة تدفعه إلى التسكع على الكورنيش حتى الفجر. وقال لنفسه وهو يستلقي على الفراش: اللعنة. اللعنة.. يجب أن تقتلع هذه الحياة الكاذبية من جذورها، إما حياة جديدة أو لا مناص من الردة إلى القمار والكونيكا وأحاديث العجائز بركن البوديغا.

وفي مساء اليوم التالي صحبها كارها إلى سينما ريو ثم تناولا العشاء في تافرنا ثم أوصلها إلى البليت ثم مضى وهو يقول:

نامي يا عزيزتي واشبعي نوما ودعيني أعالج نفسي..

وحام طويلا حول محل ريري وأمام العمارة لعله يرى الطفلة ولكن لم يوفق فجلس في قهوة النسر. ورغم فشل الأمس داعبه أمل غامض كنشوة اليأس فاعتقد أن كافة مشاكل العالم ستحل الليلة بلا عناء. ونظر إلى السماء المتوارية وراء ظلمات السحب وقال عن الخريف في الإسكندرية روح من أرواح الجنة وهو مغسل لجميع الأحزان. وإن جميع الأحزان ما هي إلا أوهام وإن الموت هو حارس السعادة الأبدي وقال لنفسه بصوت مهموس:

ما أجمل أن يسكر بلا خمر...

وإذا بما سح أحذية يقف أمامه وهو يرمقه بنظرة استجداء. وقرأ في نظرتة أكثر من معنى
فأشار إليه أن يجلس ثم سلم إليه قدميه. وأراد أن يتأكد من ظنه على سبيل التسلية فسأله:

هل توجد شقة خالية؟

فابتسم قائلاً:

في هذا الوقت الشقق أكثر من الهم على القلب.

أقصد غرفة خالية؟

في بنسيون؟

أفضل أن تكون في عائلة..

العائلات أيضاً أكثر من الهم على القلب...!

وضحك عيسى في ارتياح، وإذا بخاطر يخطر فأشار نحو محل ريري متسائلاً:

ماذا عن صاحبة "خذ واشكر"؟!

فتغيرت سحنة الرجل وقال بلمحة جادة:

لا.. لا.. هذه ست بمعنى الكلمة.

فحدجه بنظرة كأنما تقول له "اطلع!" فقال الرجل:

لا تضع وقتك.. أنا لا شأن لي بها.

أنت لم تفهمي فنظرة واحدة إليها تقنع بما تقول، ولها طفلة لطيفة جدا..

نعم، نعمات، بنت حلال!

فابتسم عيسى متظاهر بعدم الاكتراث ثم تساءل:

ولكن أحدًا لا يرى أباهما أليست الست متزوجة؟

طبعًا.. وزوجها هو صاحب المحل.

وما له لا يدير محله بنفسه؟

قال الرجل بعد تردد:

في السجن ولا مؤاخذا!

لأي سبب؟

مخدرات.. مظلوم والله...

ربنا يفرج عنه ولكن أنت متأكد أنه والد الطفلة؟ فلمعت في عينيه نظرة حذر وقال:

طبعًا!

فقال عيسى بجرأة وثابت:

كلا..

ثم وهو يضحك:

أنت تعرف الحقيقة وتنكرها أو أنني أعرف أكثر منك..

ماذا تعرف؟

أحب أن أسمع منك وإلا فكيف سنتعامل معا ما دمت تبدأ بالكذب علي!

فقال باستسلام وهو يشيع الحذاء بورنيش:

يقال إنه كتبها باسمه في شهادة الميلاد الرجل الطيب!

ولكن لم؟

عجوز وطيب لا ولا ولد له وأحب السميت وتوجهها على سنة الله ورسوله!

فقال عيسى وهو يزدرد ريقه بصعوبة:

رجل طيب حقا ولا يستحق السجن..

ولذلك فهي تعمل مكانه وتنتظره بصبر وإخلاص.

يستحق ذلك وأكثر..

وأعطاه عشرة قروش، وأمله خيرا فيما سيأتي من أيام..

انتظر عقب منتصف الليل تحت المصباح، ولما لمحته وهي آتية قطبت في غضب

وابتعدت عن موقفه ولكنه قال لها بتوسل:

أنا منتظر ومعذب ولا بد أن نتكلم..

وسارت دون أن تحييه فاعترض طريقها قائلاً:

هي ابنتي، قولي لي ذلك على الأقل...

قالت بحدة:

سأنادي البوليس.

هي ابنتي عرفت الحقيقة كلها.

سأنادي البوليس، ألا تسمع؟

بل نادي الرحمة والصفح.

فهددته بسبابتها قائلة:

أنت تستحق الحرق لا الصفح...

لنبحث عن طريقة لننسى الماضي كله.

نسيت كله فاخفف معه..

اسمعي يا ربي، أنت تنتظرين عبثاً، ستنالين حريرتك ثم..

فقاطعته صارخة:

يا لك من وغد كمال كنت دائماً، لا تتصور الخير أبداً.

تقبض وجهه من الأم ثم أن قاتلا:

الواقع أنني في غاية من العذاب..

فقالته بحدّة قاسية:

لا شأن لي بعذابك..

البنيت ابنتي ولا علاقة لها بالرجل الذي في السجن.

قلبت عينها في وجهه بدهشة ثم سرعان ما استردت قوتها وهي تقول:

هي ابنته، تبناها بأخلاقه فملكها إلى الأبد، وأنا مثلها..

اشتد تقبض وجهه فقالت منذرة:

أحذر أن تلقاني بعد الآن: إني أحذرك..

يا ريري أنت تغلقين باب الرحمة..

أنت الذي أغلقتة فاذهب..

قال بنيرة باكية:

ابني..

فصرخت وهي تندفع في سبيلها:

لست أبا، أنت جبان ولا يمكن أن تكون أبا..

(٣١)

وقف متواريا وراء ضلع كابين بساحل كامب شيزار يسترق النظر إلى أسرته الطبيعية، كانت ريري تجلس تحت مظلة شابكة ذراعها على صدرها وعلى بعد أمتار منها عكفت نعمات الصغيرة على الرمال تحفر حفرة بدأب واهتمام. والصبح كان صحوا والشمس تغمر القلة المتفرقة على الساحل، شمس ناعمة ملاطفة أضاءت جوا منعشا. توارى عن عينها حتى لا تظن مقدمه الطنون، وذابت روحه في نظرتة المركزة على الطفلة يود أن يقها قبلة حارة ثم يذهب إلى الأبد. جسمها صغير لكنه متناسق. ويرسم هيئة امرأة بصورة مصغرة. وساقها الملونتان بالشمس وفخذها وشعرها المرسل المبتل الأهداب وضلعها البارزان العاريان ولبس البحر النصف برتقالي وانهماكها الشديد، وكل أولئك بديع جميع وهي سعيدة حقا. هي ثمرة الملل من ناحيته والخوف من ناحية أمها ولكن الحياة قد خلقت من هاتين الصفتين المرذولتين مخلوقة جذابة مفعمة بالصحة والنهاء. هكذا اقتضت إرادة القوة الخفية وهكذا انهارت العراقيل أمام الوثبة الأبدية الغامضة. هذه الصغيرة شاهد على سخف كثير من المخاوف، شاهد على سخف كثير من المخاوف، شاهد الطبيعة عندما تضرب لنا المثل على إمكان التغلب على المفاسد. الآن ألا نستطيع أن تقلد الطبيعة ولو مرة؟ ألا نستطيع أن نخلق من أحزانك وخسائرنا وهزا عمك نصرا ولو بسيطا؟ وما هو النادر ولا بالجديد فهذا البحر الذي احتفظ بصورته ملايين السنين قد شهد أمثلة على ذلك لا حصر لها، كذلك هذه السماء الزرقاء الصافية.

وأخيرا خرج من مكنمه نحو الطفلة غير مبال بقومة ريري المتحفزة، وهوى نحوها فطبع على خدها-رغم انزعاجها للمباغثة-قبلة حارة طويلة ثم ذهب مغمغا "الوداع" ولم يلتفت وراءه مرة واحدة.

وعندما جاء وقت الغداء لم يجد رغبة في الرجوع إلى البيت فتناول غداءه في "على كيفك". وذهب إلى سينما الساعة الثالثة، ثم دخل سينما أخرى الساعة السادسة، ثم عاد إلى "على كيفك" ليتناول العشاء ويشرب الكونياك. وطال المجلس فانتشى رأسه بنفثات الخمر وهو يتسلى بالنظر والأحلام. وقبليل منتصف الليل رأى شخصا قادما نحو المطعم جذب انتباهه فيما يشبه الصدمة الكهربائية.

فارع الطول مفتول العضل داكن السمرة، يرتدى بنطلونا رماديا وقميصا أبيض يكشف عن ساعديه، وبين أصبعي يسراه وردة حمراء. اقتر خطوات قوية رشيقة تلمع في عينيه نظرة جريئة نافذة. التفت عيناها وهو يدخل المحل فحججه القادم بنظرة قويّة أدرك منها أنه تذكره ثم حول عنه وجهه المستطيل المتناسق وهو يكاد يبتسم ثم مضى نحو ركن عصير الفاكهة، هو هو دون غيره، أيام الحرب الكالحة، ليلة قبض على الشاب فشهد هو التحقيق معه-بصفته الرسمية والحزبية-حتى مطلع الفجر. وكان الشاب جريئا وعنيفا ولم ينته التحقيق معه إلى إدانة ولكنه أرسل إلى المعتقل وبث فيه حتى إقالة الوزارة. ترى ماذا يفعل الآن؟ وهل يحظى في العهد الجديد بمنزلة سامية؟ أم لا يزال نائرا؟ ولم يبتسم؟ ومن المؤكد أنه تذكره فهل يتوقع من ناحيته مفاجأة سيئة؟ وقرر أن يطرده عن خاطره ولكنه التفت نحو ركن الفاكهة بدافع لم يستطع مقاومته فرآه وقافا متجها إلى داخل المحل قابضا على كوب من عصير المانجو، ويرنو إليه بنظرة

استطلاع وتأمل وفي عينيه شبه ابتسامة ساخرة. وأعاد رأسه إلى الخارج وهو من الضيق في غاية، وكان الماضي من خلال هذه النظرة يطارده. وما لبث أن قام ثم غادر المحل أيضا إلى الكورنيش رأسا. ولم يخطر له أن يعود إلى البيت، بل وخيل إليه أنه يم يعد له بيت على الإطلاق، وما بعد مشية غير قصيرة إلى الميدان ثم جلس على أريكة تحت تمثال سعد زغلول. أغلب الأرائك خالية، والهواء البارد في غير قسوة يتجول في الرحبة الفسيحة لاعبا بالنخيل، والنجوم تومض في القبة الهائلة، واللبليل راسخ كالأبدية، ولم يكن قد نجا بعد من ذكريات الشاب الناشبة في مخيلته ولكنه صمم على أن يرسم للمستقبل خطة. ولم يكده يستغرق في أحلامه حتى شعر بخص يجلس إلى جانبه فالتفت نحوه في غيظ مكبوت فرأى الشاب المقتحم. واضطرب في خوف، وقال إنه لا شك قد تبعه خطوة فخطوة وأنه يضمير له شرا!! وتوثب للدفاع ولكنه خجل في ذات الوقت من فكرة الانسحاب. وجاءه صوت حلقي يقول في لطف:

مساء الخير يا أستاذ عيسى، أو صباح الخير فقد انتصف الليل منذ دقائق!

رمقه بنظرة باردة على ضوء غير قريب وقال:

صباح الخير، من حضرتك؟!

لا شك أنك تذكرني!

فقال عيسى مصطنعا الدهشة: آسف جدا، من حضرتك؟!

فضحك ضحكة كأنها تقول "أنت عارف وأنا عارف" ثم قال:

الخصم هو آخر من تنسى!

لا أفهم شيئا!

بل تذكر التحقيق الذي استمر حتى الصباح، واعتقالي بعد ذلك، حتى أنتم كنتم تعتقلون

الأحرار ويا للأسف!

فقال عيسى بنبرة متقهقرة:

لا أدري عما تتحدث بالضبط ولكني أذكر أيام الحرب بلا شك كما أذكر ظروفها القاسية

التي اضطرتنا كثيرا إلى ما نكره..

هذا هو الاعتذار التقليدي، ما علينا، ما فات فات.

ولم يعلق عيسى بكلمة ونظر إلى الأمام معلنا رغبته في الانفصال لعل الآخر يذهب أو يتركه

في سلام ولكنه عاد يقول برقة:

وتغيرت الدنيا، لا تظنني شامتا، أبدا والله، بل إنني في كثير من الأحيان لا أخلو من عطف..

فقاطعه قائلا بشيء من الحدة: لست في حاجة إلى عطفك..

لا تغضب، ولا تسيء فهم تطفلي عليك، إنني أرغب مخلصا في تبادل الرأي...

عن أي شيء؟

الدنيا من حولنا؟

وشعر عيسى بأنه ما زال ثملا ولكنه قال:

لم يعد يهمني شيء..

فقال الشاب بدهشة:

أما أنا ففي الطرف الآخر، كل شيء يهمني وأفكر في كل شيء....

فلتطلب لك الدنيا كما تشاء...

أليس هذا بخير من الجلوس في الظلام تحت تمثال سعد زغلول؟!

هكذا هي تطيب لي فلا تشغل بالك بأمرى...

أنت لم تقرر بعد أن تفتح قلبك لي..

ولم ذلك!، ألا ترى أن الدنيا كلها مملّة؟

ليس عندي وقت للملل!

ماذا تفعل إذن؟

أعابث المتاعب التي ألفتها وانظر إلى الأمام بوجه مبتسم، بوجه مبتسم رغم كل شيء،

حتى ظن بي البله..

وما الذي يدعوك إلى الابتسام؟

فقال الشاب بلهجة أكثر جدية:

أحلام عجيبة، ما رأيتك في أن نختار مكانا أنسب للحديث؟

فقال عيسى بسرعة:

أسف، الحق أنني شربت كأسين وأرغب في الراحة..

فقال الآخر بأسف:

أنت تود أن تجلس في الظلام تحت تمثال سعد زغلول.

ولم يجب عيسى بكلمة فقال الآخر وهو يقول:

أنت لا ترغب في حديثي فلا يجوز أن أزعجك أكثر من ذلك..

وتحول عنه ماضيا نحو المدينة.

وتابعه بعينيه وهو يبتعد. ياله من شاب غريب! ماذا يفعل اليوم؟ وهل رجمته

المتاعب؟ ولماذا ينظر إلى الأمام بوجه مبتسم؟

وظل يتابعه بعينيه حتى بلغ آخر الميدان. لم يكن سيئ النية كما توهم، ولم يقصده

بسوء، فلم لم يشجعه على الحديث؟ ألم يكن من الممكن أن يستعين به على مغالبة املل في

هذه الساعة من الليل؟ أو لم يكن من المحتمل أن يجرحهما الحديث إلى شيء مشترك تطيب به

السهرة؟

ورآه وهو يختفي متجها نحو شارع صفية زغلول. وقال لنفسه أستطيع أن ألحق به على

شرط ألا أضيع ثانية في التردد.

وانتفض قائما في نشوة حماس مفاجئة، ومضى في طريق الشاب بخطى واسعة، تاركا وراء ظهره مجلسه الغارق في الوحدة والظلام.

(تمت)

رواية السمان والخريف

السمان والخريف رواية لنجيب محفوظ نُشرت عام ١٩٦٢، تعتبر من رواياته ذات النزعة الفلسفية، موضوع الرواية هو الاغتراب والماضي والواقع المتغير من خلال شخصية "عيسى الدباغ"، تم تحويل الرواية إلى فيلم سينمائي عام ١٩٦٧ من إخراج حسام الدين مصطفى، ترجمت الرواية إلى الإنجليزية عام ١٩٨٥ بعنوان "خريف السمان" (Autumn quail).

يصور نجيب محفوظ في روايته السمان والخريف الواقع تصويراً أميناً وجسدت شخصية بطل الرواية، عيسى، شريحة اجتماعية برزت في مجتمعات ما بعد التغيير متمثلة في السلوك الاجتماعي والنفسي فعيسى نموذج لشريحة تشعر بأنها زائلة، بلا انتماء ومأزوم العيش بفضاء يتضاءل شيئاً فشيئاً، مع تلازم الإحساس بالألم نتيجة للإحساس بالذنب جراء ما ارتكبت من خطايا بحق مواطنين.

حبكة الرواية

إن الصورة المحلية للقصة هي أزمة عيسى، الحزبي القديم الذي تلوث ولم يستطع أن يتلاءم مع العالم الجديد لأنه من الجيل الزائل، فبطل القصة يعاني مأساة السقوط والخطيئة، لقد أخطأ فسقط، كما أخطأ آدم وسقط من الجنة، وأصبح عليه أن يلتمس طريقاً للخلاص من خطيئته ولو من خلال الألم والعذاب، إن بطل القصة قد أخطأ خطيئته الكبرى وفقد بساطته وطهارته، وهو يقول عن نفسه وحزبه:

«كنا حزب المثل الأعلى، حزب التضحية والفداء، حزب النزاهة المطلقة، حزب: كلائم
 كلا أمام المغريات والتهديدات. فكيف أدركت روحنا الطاهرة الشيخوخة، كيف تدهورنا رويدا
 رويدا حتى فقدنا جميل مزايانا؟ ها نحن نقلب أيدينا في الظلام، يملؤنا الشجن والشعور بالإثم
 فوا حسرتاه.»

فالقصة في حقيقتها قصة الإنسان الذي أكل من التفاحة المحرمة، قصة الإنسان
 الضائع الذي وقع في الخطيئة وأسلمته الخطيئة لعذاب كبير، فقد خرج من جنته السعيدة
 التي ظنها دائمة أبدية خالدة، خرج إلى حياة أخرى أصبح فيها منفيًا زائدًا عن الحاجة، لا دور
 له، يقول عيسى عن نفسه وعن زملائه: «مع أي عمل سنتخذه... سنظل بلا عمل، لأننا بلا دور،
 وهذا هو سر إحساسنا بالنفي كالزائدة الدودية.»

ولذلك فهو يحلم بالهجرة، إنه يريد أن يترك منفاه إلى عالم آخر، لعله يجد له دورًا في
 الحياة، لعله ينتهي إلى شيء، وتطمئن روحه، ويتخلص من «موت الأحياء» الذي هو أفظع ألف
 مرة من «موت الأموات»، وهو يصارح نفسه بالحنين إلى الهجرة التي ترمز رمزًا قويًا إلى الرغبة في
 الخلاص من المأساة التي يعيش فيها: «تمنى يوما لو كان للمصريين كما لغيرهم جالية في أمريكا
 الجنوبية ليهاجر إليها، وقال ساخطا إن المصريين زواحف لا طيور، وراوده حلم بتغيير جذري
 في حياته، ولكنه لم يكن يفعل سوى العبث.»

هذه هي المأساة الوجودية التي يعيش فيها البطل، أو هذا هو جوهرها: الغربة والضياع
 والانفصال عن الواقع والرغبة في الهجرة من هذا الواقع الذي أصبح منفيًا للإنسان. على أن
 نجيب محفوظ لا يقف على سطح هذه المأساة الوجودية، بل يندفع إلى أعماقها ويصورها

تصويراً مثيراً في عدد آخر من المواقف، على رأسها موقفان عنيفان يؤكدان المعنى الوجودي لهذه المأساة.

أما الموقف الأول فيتضح أمامنا عندما يصرخ البطل في داخله، ومن خلال مرارة الشعور بالوحدة، يقول نفسه: «ما أحوجلي إلى مسكن»، إنه الشعور بالحاجة إلى الانتماء، بالحاجة إلى التخلص من «العراء الروحي»، هذا العراء القاسي الأليم الذي يعانيه الإنسان عندما لا يكون له في الحياة فكرة أو هدف أو دور يقوم به عن وعى واقتناع، عندما لا يكون منتمياً إلى شيء ما، ومن الحقائق ذات الدلالة العميقة أن الشعور بالحاجة إلى مسكن عند بطل «السمان والخريف» هو نفسه الشعور بالحاجة «إلى المسكن» عند بطل قصة «اللس والكلاب»، فعيسى بطل «السمان والخريف» وسعيد مهران بطل «اللس والكلاب» يبحثان عن مسكن، ويشعران بأنهما ضائعان حقاً ما داما لا يجدان هذا المسكن.

أما الموقف الآخر الذي يكشف لنا عن أزمة الإنسان في صورتها الجديدة كما يتصورها نجيب محفوظ فهو أن ابنة عيسى بطل «السمان والخريف» تنكره لا تعرفه، وهذه هي نفسها الأزمة التي عاشها من قبل سعيد مهران بطل «اللس والكلاب» فابنته أيضاً تنكره ولا تعرفه، بل وتخاف منه.

هذه هي وثبة التاريخ، وهي الوثبة التي يمكن أن تساهم في تفسير هذه الصورة التي تعيش في وجدان نجيب محفوظ بعنف والتي صورها لنا في «اللس والكلاب» و«السمان والخريف» معاً وهي إنكار الابنة لأبيها أو إنكار الجديد للقديم بعنف وقسوة، ولا أعرف رمزاً أكثر عنفاً لمأساة الإنسان من هذا الرمز الذي يتجسد في صورة إنكار الابنة لأبيها، ومما يساعدنا على

كشفت هذا الاتجاه الوجودي عند نجيب محفوظ أيضاً أنه يستعمل التعبيرات الشائعة في الأدب الوجودي مثل «المنفى» و «العبث» وهو لا يستعملها كألفاظ عادية، بل يستعملها بنفس العمق الذي نحسه في الأدب الوجودي الأصيل، على أننا نلاحظ أن نجيب محفوظ في أعماله الأخيرة يهتم بالتصوف، ففي «اللس والكلاب» نجد الشيخ الجندي، وفي السمان والخريف نجد «سمير» وكلاهما قد لجأ إلى التصوف كماوى روجي يجعل آم الحياة ومشاكلها محتملة وسهلة، ولم يكن نجيب من قبل يعنى بالتصوف كل هذه العناية، مما يؤكد اتجاهه إلى الاهتمام بالمشاكل الإنسانية الكبرى، إنه يهتم بمشكلة «الإنسان والعالم» لا «الإنسان والمجتمع» فقط.

وفي السمان والخريف ربما لأول مرة في أدب نجيب محفوظ يلتقي البطل في النهاية مع صوت يدعوه أن يتخلص من أزمته وورطته، إنه صوت الأمل، وصوت التقدم، ويحاول البطل في السطور الأخيرة أن يلحق بهذا الصوت الذي يعمل على بعثه من العدم، ويبدو هذا الصوت كأنه حلم، أو كأنه نوع من الإلهام الداخلي العميق، ولعلنا نلاحظ في هذه الصورة التي يرسمها نجيب محفوظ معنى الجلوس في الظلام تحت تمثال سعد زغلول، فالبطل متمسك بالماضي متعلق به، فهو وفدى في عالم لم يعد للوفد فيه مكان ولا دور، إن البطل يحن إلى الماضي حيث كان شيئاً في الحياة وحيث كان له دور وآمال وتطلعات، إنه يحاول أن يتعلق بخيوط الماضي الرفيعة لعلها تعطيه من ذكرياتها بعض الدفاء وهو غارق في أزمته، ولكنه في اللحظة الأخيرة ينتفض من مكانه ويحاول أن يتابع الشاب المجهول، وهذا الشاب هو مناضل يساري.

أحداث الرواية

عيسى الدباغ قلب تلك الرواية، موظف بدرجة لا بأس بها حيث بات اقرب ما يكون من الترشيح لوكالة الوزارة، وكان مسؤولاً سياسياً صغيراً، فجمع بين المظاهرات والسجون، السياسة والإدارة، بعد ماضيٍ نضالي في الحزب، لكنه عنيد صموت، وفدي، (نسبة إلى حزب الوفد برئاسة سعد زغلول آنذاك)، يعين العمدة لقاء إتاوات ورشاوى، ويشترك في التحقيق والتعذيب مع - وطنيين آخرين -، حتى الصباح. ثم ها هو ذا يتلقى أول صفعة بنقله إلى وظيفة أدنى شأناً حين خرج حزبه عن مقاليد حكم البلاد على اثر موقعة القتال غير المتكافئة بين الشرطة المصرية والإنكليز وسقط العديد من الضحايا المصريين وحدوث حريق القاهرة، ليتلقى الصفعة الثانية بإحالتته على التقاعد بعد الإطاحة بالنظام الملكي على أيدي الضباط الأحرار عام ١٩٥٢ ويتم التحقيق معه في لجنة التطهير التابعة للوزارة وتثبت إدانته باستغلال النفوذ وتورطه في أعمال التعذيب، وعيسى الذي اعتاد حياة المطاردة والسجن والضرب، ما أهون عقاب اليوم عليه، لم يأبه وكان ينظر نظرة تفاؤل، رغم إدراكه انهيار تنظيمه الحزبي كأنه الغبار، وصعود تنظيم عسكري صغير داخل الجيش ليحتل السلطة ويبدأ عملية تغيير شاملة في السلك الإداري للدولة وفي المجتمع ككل.

إن نجيب محفوظ وهو يرمي بتلك الشخصية في أحداث فترتين متناقضتين، فترة ما قبل -تغيير- الملكية في مصر والفترة التي بعدها ومحاولة اجتثاث مخلفات نظامها، كان يدرك مدى سلوكها الاجتماعي والنفسي، وقد أتقن خلقها، خلقاً لا خوف عليها من الغرق أو الذوبان أو التلاشي في العدم في خضم فترة ما بعد -الثورة- ولا خوف إذ تناقضت مع متغيراتها. فالبطل

لم يكن باحثاً أو مثقفاً كبيراً بل كان حزبياً -حركياً- فكانت ردود أفعاله لا تعدو كونها ملاحظات صغيرة الأحداث والمتغيرات، لهذا لم تكن له القدرة على قراءة الفكر والواقع بعمق... إن الأحداث تتوالى من دون أن يقدر على التأثير فيها، فلا يجد سوى أن يذهب إلى (سراي شكري باشا عبدالحميد)، وهو احد قيادات الوفد لكن (شكري باشا) كان حسب تحديد بطل روايتنا: (هذا الشيخ الذي هبط نشاطه في مكتبه إلى الحد الأدنى، والذي لم يعد له من عمل حقيقي سوى نشاطه باللجنة المالية بمجلس الشيوخ).. ويقول شكري باشا: (قل في هذا اليوم ما شئت، أين الوزير؟... لا احد يدري؟ أين البوليس؟ لا احد يدري؟ ابن الجيش؟...) يبدأ الكاتب بتعريف شخصية البطل والكشف عنها بسعة كبيرة وامتعة راقية. عندما يشتد ضغط الواقع الجديد عليها. فالآن عيسى محاصر. وقد أحيل على التقاعد، وتركته خطيبته الثرية -ابنة علي بك- إلى غير رجعة -.. غدا غريباً في مدينته الكبيرة، تسيطر عليه الدهشة والعجب، إزاء تقوض أركان تنظيمه، والنظام الملكي الذي استمر يقاوم الدهر لربع قرن من الزمن، نراه يراقب الآخرين وسلوكهم بحثاً عن منفذ لإدراك الشبه أو التناقض بينه وبينهم، أو يجلس وحيداً، مع آخرين يناقشهم في آرائهم في -الثورة- والمتغيرات التي استجدت. مختلفاً معهم وعنهم، لبحث عن مخرج، لمساحة أوسع له. و يأسف لان المنجزات التي تحققت، لم تتحقق على أيديهم، هم، وهم بذرة الثورة الأولى!، حسبيما يعتقد فحين قام (جمال عبدا لناصر) بتأميم قناة السويس شعر عيسى بالفخر، وعندما بدأ عدوان عام ١٩٥٦ وأجبر العدوان على الانسحاب والتوقف. ورغم هذا لم يفقد الأمل في إيجاد منفذ للفكاك من التناقض الشائك في موقفه تصالحاً مع الحاضر أو تناقضاً معه وعدم قبوله نهائياً، فكان الهروب وممارسة الجنس ولعبة

النزد والقمار مع العاطلين من أمثاله، أو التسكع والتغرب، يهجر مدينته، ملتجأً إلى الإسكندرية، غريباً بين غرباء. ثم زواجه من (قدريّة) ذات الأربعين عاماً. دروباً ملتوية خاوية يدلّف إليها، وهنا في الإسكندرية يتعرف إلى (ريري) عاهرة، ليكتشف جوانب شبه بينهما مثلما يرى، فكلاهما ضحية الواقع، الجديد، لكنه يطردها حينما تخبره بأنها تحمل - شيئاً منه- في أحشائها- فيزداد تقززه ونفوره، لأنه غير واثق من قدرته على الخلق! والتأثير ولأنه لا يريد ان يضيف شيئاً لهذا الواقع الجديد الذي رماه في الشارع وعطله أيضاً.